



كلية الآداب

مجلة كلية الآداب

العدد ٤٨

لستى ٨٧ ، ١٩٨٨



القاهرة ١٩٨٨



مجلة كلية الآداب

العدد ٤٨
للسنة ١٩٨٧/١٩٨٨

مطبعة جامعة القاهرة
١٩٨٨

هيئة التحرير

عميد الكلية	١ - د. عبد العزيز حمودة
رئيسا	٢ - د. كمال رضوان
عضوا	٣ - د. حسنين محمد ربيع
عضوا	٤ - د. رءوف حامد عباس
عضوا	٥ - د. امين العيسوي
عضوا	٦ - د. احمد اسماعيل
عضوا	٧ - د. حمدى ابراهيم
سكرتيرا اداريا	٨ - السيدة / رجاء خليفة

المحتويات

١ -	رؤية مستقبلية للقاموس الفلسفي العربي	
٥٤ - ١	د. أحمد عبد الحليم عطية	
	٢ - من كنايات الاعداد في العربية	
٧٤ - ٥٥	د. وهبة متولى عمر سالم	
	٣ - الحياة النيابية والمشاركة السياسية في مصر من	
	عام ١٩٢٣ - ١٩٥٢	
١٠٨ - ٧٥	د. وجيه عتيق	
	٤ - وضعية الكويت الدولية بالنسبة للدولة العثمانية	
١٥١ - ١٠٩	د. ميمونة خليفة الصباح	

CONTENTS

OF THE EUROPEAN SECTION

	Page
1. Hjelmslev avant la révélation Saussurienne les Principes de Grammaire Générale Par : CHRISTINE SIRDAR/ISKANDAR.	1
2. Die Mode in Deutschland in der Zeit des Biedermeier, um 1900 und 1930 Als Ausdruck der Jeweiligen Zeit Par : Dr. MONA NOUESHI.	17
3. Feminism in contemporary British Theatre Par : HANA'A HASSANEIN ALY.	41
4. La Guerre du Feu de J.H. Rosny aîné Prehistoire La Découverte du Feu dans un Contexte Littéraire Par : NIRVANA HARRAZ.	65

رؤية مستقبلية للقاموس الفلسفي العربي

تقديم وتطوير محاولة ماسينيون

د. أحمد عبد الحليم عطيه

تمهيد :

هذا مشروع رؤية جديد ، وخطوة أخرى وقراءة مستقبلية تقدم وجهة نظر عربية لمشروع حضاري هام هو « تأسيس قاموس عربي للاصطلاحات الفلسفية الشرقية والغربية » قدمه المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون في بداية حياته العلمية وهو مشروع يغلب عليه الطابع الأكاديمي والبحث الدقيق الذي يعتمد على المصادر والمراجع الأساسية ، ومن هنا فهذا الجهد يستحق منا أن نعرض له ونناقش أفكاره من أجل الاكمال والتطوير .

والمحاولة التي تعد أساس عملنا الحالي هي المحاضرات التي ألقاها لويس ماسينيون Louis Massignon في الجامعة المصرية الحرة « الأهلية » عام ١٩١٢ - ١٩١٣ ، وهي تتكون من أربعين محاضرة بعنوان « تاريخ المذاهب الفلسفية » أو « تاريخ المصطلحات الفلسفية » كانت موضوع للدراسة في مادة « تاريخ الفلسفة » وتهدف كما يقول : « إحياها إلى تقديم طريقة جديدة في تاريخ الفلسفة العربية ، فالمقصود من هذه المحاضرات إنما هو إيجاد طريقة في تاريخ المذاهب الفلسفية ، كما يقول ماسينيون في الفقرة الثانية من المحاضرة الأولى : « تأسيس قاموس عربي للاصطلاحات الفلسفية الشرقية والغربية وبيان فوائدها لإصلاح اللغة الفلسفية الحالية » (١) . « فتاريخ المصطلح الفلسفي مثل مرآة تنعكس فيها النظريات القديمة . . . الفائدة في اقتباس ما ينعكس إلينا في هذه المرآة من أشعة الحياة العظمى ، تاريخ الماضي طريق المستقبل » ، ولا بد لنا من اصلاح مصطلح محاضراتنا في الجمعيات ومقالاتنا في الجرائد بمقتضى ما شاهدنا في الأزمنة السابقة (٢) .

وليس الهدف من هذه الرؤية مجرد عرض وتقديم ونشر محاضرات ماسينيون ، ولكن الهدف منها قراءة ماسينيون قراءة معاصرة ومناقشة مشروعه وتقديم رؤية مستقبلية لعمله تهدف إلى إحياء وإكمال وتطوير مشروع هام يتجاوز جهد فرد ، كما يتجاوز نطاق الأكاديمية الحالية ، أملاً في إيجاد لغة فلسفية معاصرة — تختلف عن اللغة التي سادت الفترة الماضية — وماسينيون نفسه يشير إلى « اصطلاح اللغة الفلسفية الحالية » حيث يبحث في « الفائدة الحالية التي عادت على اللغة والأدب وبالجملة التمدن » (٣). وفي محاضرات خمس قادمة يتحدث عن إحياء الاصطلاحات الفلسفية والاستفادة منها وعن إحياء التمدن العربي بواسطة أحكام الاصطلاح الفلسفي العربي » (٤) . ويتحدث في الفقرة الثالثة من المحاضرة الأولى عن أهمية المصطلح الفلسفي لإحياء التمدن والأدب » .

ويظهر هذا الهدف جلياً ليس في المادة العلمية المكثفة بل والزائدة أحياناً التي قدمها على مدى الثلاثين محاضرة الأولى ، ولا في أسلوب وطريقة تناوله فقط بل في النتائج ، أو الخلاصة التي نجدها في المحاضرات العشر الأخيرة حيث يتحدث على التوالي عن : سلوك العربية في العالم ، فضلها لصناعة النحر والكلام المحاضرة الحادية والثلاثون (٥) وفي صفات العربية وخصائصها المحاضرة (المحاضرات من الثانية والثلاثون حتى الخامسة والثلاثون (٦) . والمحاضرة السادسة والثلاثون في فلسفة المصطلح الدارج (نظرية ترقى الدارج) ثم المحاضرات الثلاثة التالية في شروط إحياء التفكير الفلسفي العربي : الأولى منها في العالم والفلسفة والنقل ، والثانية مراكز المدينة العربية في العالم ، والثالثة دعوة العربية بين الأمم . والمحاضرة الأخيرة (الوصية) حيث يقدم ما يطلق عليه « طريق الحق » .

ونحن في عملنا الحالي لا نخرج عن الحدود التي رسمها ماسينيون نفسه ، فقد وضع الأساس ومهد الطريق حيث يقول : « أن هذا العمل مقدمه عظيمة لعمل كبير ومفيد نشغل فيه معاً — يقصد تلاميذه بالجامعة الأهلية —

حتى يكمل ، فهو يلتقي الضوء وينير الطريق : « سأكون دليلكم حتى أصل إلى أول باب من أبواب الحقيقة فأترككم تلجونه ، مستشهداً بدانتي في أنه يحمل المصباح ويتقدم أمامهم مهتدين بنور مصباحه ثم يدخلون وهو لا يدخل » (٧) — ونحن نسير معه خير مغمضى العينين نهتدى بنور مصباحه إلى طريق الحق : « أرادتنا مائلة إلى حال التأليف والصلح الحقيقي . . أملنا أن نصير معاً من الاختلاف إلى الاتحاد الصحيح فليس الاتحاد مسامحة بعضنا ببعضنا في أباحة الباطل والشر والخلف بل الاتحاد بيننا من تصفية الإرادة وطلب الحقائق » (٨) .

وتسعى هذه الدراسة إلى إقامة حوار مع ماسينيون في عديد من القضايا التي أثارها في محاضراته سواء فيما يتعلق بالعلاقة بين تاريخ الفلسفة والمصطلحات الفلسفية ، أو ما يتعلق بمحاولته وما تحقق منها متخذين من عمل ماسينيون نفسه أساساً لتحليل مضمون محاضراته وتحديد مكانة هذه المحاولة بين المحاولات تسعى لتأسيس قاموس ، وكذلك تحليل تصوره لتاريخ الفلسفة واستخدامه لمصادره المختلفة ومناقشة العديد من القضايا التي تبرز أهمية أنجازات ماسينيون من جهة وبيان ما يمكن أن يندرج في نطاق السلبات متخذين في ذلك هدف ماسينيون هدفاً لنا لكن من خلال رؤية ناقذه للعمل تتجاوز المحاضرات إلى نظرة مستقبلية للقاموس الفلسفي العربي .

أولاً — هذه المحاولة في العربية :

يوضح ماسينيون في المحاضرة الأولى « الطريق » أي الوسيلة أو الخطوة المتبعة في العمل وهي : ذكر المقولات العقلية والأسماء الكلية والمقالات الهامة وتخصيص معانيها على مرور الدهور « في إطار اللغة العربية التي أهتم بها مبكراً ربما منذ لقائه بهنري ماسيرو عام ١٨٩٦ حيث تولد لديهما ميلاً مشترك للدراسات الشرقية ، التي أستطاع

ماسينيون التعمق فيها بدراسة في المدرسة الوطنية للغات الشرقية بباريس. وحصل على دبلومها في فبراير ١٩٠٦ ، وأدى لقائه بجولدزيهر في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر في الجزائر لقائه ١٩٠٥ بإن أوصى جولدزيهر به للتدريس بالجامعة المصرية وتوطدت علاقته بالبلدان العربية فاختير عضواً في معظم مجامعها العلمية : المجمع اللغوي بمصر منذ ١٩٣٣ (٩) والمجمع العلمي في دمشق والمجمع العلمي العراقي (١٠) ويظهر الجانب الهام لماسينيون في الاهتمام الكبير باللغة العربية والإشادة بها وتخصيص العديد من الدراسات والأبحاث بالمجمع اللغوي لمناقشة قضاياها المختلفة .

فهو يتحدث عن : المعاجم الأوروبية ومدى ما تستفيد منها المعاجم العربية منها. ويبدو أن فكرة المعاجم سيطرت عليه فهناك أشياء ضرورية لوضع أطلس لمصطلحات الحرف العلمية . « ويدين المصطلحات العربية في القرى وأكرام الضيف » . وهو في تعامله مع اللغة العربية يتعامل معها كمستشرق ويكتب « خواطر مستشرق في التضمنين » يبحث في « التعاون الثقافي بين اللغة العربية ولغات الغرب » ويقدم « خطرات » في الاحتفاظ بعبيرية النحو العربي « فهو في تعامله معها ليس نحويًا فقط يدرس « الأصول الثلاثية في اللغة العربية » أو يتعامل معها كعالم تاريخ وآثار يهتم بالبحث في « قيمة الخط العربي لتأسيس في النقش الجرد » ، ويقدم « افتراضات في مستقبل الخط بالحروف وانعكاساتها على استيفاء الخط العربي » بل هو مفكر وفيلسوف يدرس « فلسفة التضمنين » و « ميتافيزيقا اللغة » تلك مساهماته في اللغة العربية التي حرص على أن يلتقي بها محاضراته في الجامعة والتي أراد بها تقديم تاريخ للاصطلاحات الفلسفية (١١) .

ويبدء ماسينيون مشروعه بالربط بين الفلسفة واللغة معتمداً على قول الفيلسوف الفرنسي كوندillac (١٢) : « الفلسفة ليست إلا استعمال اللغة بغاية الاتقان في الموضوعات » (١٣) ويتخذ من المعجم النلسني للاجتماعية الفلسفية الفرنسية مثالا يحتذى به مع أحساسه بخصوصية تميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات الفرنسية الإنجليزية فنحن « نرى في اللغة العربية دائماً

تخصيصات لغوية » (١٤) كثيراً من اللغات الا أنها في اللغة العربية خاصة أدق ما تكون واللغة العربية غنية بمفرداتها مدهشة في اصطلاحاتها (١٥) والأساس اللغوي للاصطلاحات إذا كان موجوداً في القاموس يبدأ بالمعنى اللغوي « فاللغة خزانة الحكمة » (١٦) ولها تميزها ولهذه الحكم ذوق دقيق غريب كما قال الصفدي في « ديوان المتنبي » (١٧) وينبغي أن نشير إلى أن ماسينيون تراجع عن دعوته ومناصرته لكتابه اللغة العربية بحروف لاتينية (١٨) وأعلن ذلك على الملأ لما رأى مضارها العديدة التي منها انفصال الأجيال الجديدة عن تراثها القديم .

أن أهمية اللغة تظهر في كل محاضرة من المحاضرات . ورغم أنه يتناول المصطلحات بداية بذكر معناها اللغوي الاشتقاق ثم مصطلحاتها الفرنسية والإنجليزية وأحياناً الألمانية (١٩) ويمضي منها إلى اليونانية واللاتينية (٢٠) إلا أن تركيزه في الغالب ينصب على اللغة العربية واللغات السامية . نجد ذلك فيما يتعلق بالالهيات خاصة ، فهو لا يغفل السريانية والعبرية والآرامية وغيرها (٢١) ويمكن أن نشير إلى المحاضرة الحادية والثلاثون « سلوك وفضل اللغة العربية في العالم » حيث يبين ماسينيون فضل اللغة العربية وهو يناقش آراء رينان ، وإذا كان يعرض هذه الآراء بأمانة إلا أنه لا يقبل كثيراً من الأحكام التي يصدرها رينان على اللغة السامية التي تعد العربية وريثتها الوحيدة ، وإذا كان رينان يرى أن هناك تضاد طبعي بين أحكام اللغة العربية ووضع مصطلح فلسفي بها فإن ماسينيون يناقش ذلك : « فرينان في كتاب (العام للغات السامية) يقول بآراء ضريبة كالقول ان اللغات الآرية ، واللغة العربية هي اللغة السامية الوحيدة الحية الآن ومن ثم فإن حكم رينان موجه إليها هي ، ويرفض ماسينيون أحكام رينان فيما يرى رينان أن هناك ارتباط بين المعنى والالفاظ ناتج عن أن ثلاثي الحروف ثابتة تتركب عليها الفاظ كثيرة ويزعم أن هذا نقص ولكن هذا فيما يرى ماسينيون « فضل » - ويوافقه على ذلك د. إبراهيم مذكور رئيس مجمع اللغة العربية (٢٢) لأنه ظاهر ولو للعوام من الساميين ، بخلاف ما حصل في اللغات الآرية ، ودوام الرابطة بين اللفظ والأشتقاق فضل .

وفي المحاضرة التاسعة والثلاثين « شهادة اللغة العربية بن الأهم وفضلها »
الخاص في تاريخ المدينة العامة » يقول : « مقصدنا بيان ما في تاريخ الفلسفة
العربية من الشواهد الدالة على مزايا هذه اللغة العربية إلى سجاياها وسيلقتها
ونخيلتها إلى الطبع الذي أنطبع بأمر رجاها على التمدن العام » (٢٣) وهو يبين
تأثير اللغة العربية على العبرية في الفلسفة والكلام (٢٤) وتأثيرها على
أسلوب الثبر والشعر في أسبانيا وإيطاليا وجنوب فرنسا . (٢٥)

وانطلاقاً من هذا الاهتمام باللغة العربية يقدم ماسينيون مشروعاً ، وهو
يأخذ مباشرة في بيان المقولات العامة والأسماء الكلية الراجعة إلى الأحكام
الثابتة ، ولا يكتفى بما هو متفق عليه من أصول بل يتتبع الفروع التي تختلف
فيها ، ووجهات النظر المتعددة في المسألة الواحدة وكأنه به يقوم بما قام
به جان فال في كتابه « طريق الفيلسوف » وهو عرض لتاريخ الفلسفة من
خلال تطور المقولات الكلية . وهذه المحاولة في التقصي عن المقولات
الكلية : أصولها وفروعها أفضل طريقة لتدريب الطلاب على قاعات البحث
والمراجع القديمة ، أي أنها نوع من المحاضرات العملية التي من الضروري
أن يتدرب عليها طالب الدراسات الإنسانية النظرية ، فيعرف المصادر ،
ويتعمق المصطلحات ويتناقش فيها مع غيره من الطلاب ، والمهمة هنا
لا تقع على عاتق (الاستاذ) ماسينيون وحده بل هو يحدد الطريق فقط ،
وما هذا العمل إلا مقدمة عظيمة لعمل كبير ومفيد نشتغل فيه معاً حتى
يكمل (٢٦) فإذا أردنا أن نعمل للاصطلاحات قاموسها فإن ذلك سهل
وعلينا من البداية استعمال القواميس الخاصة بمفردات اللغة .

والطريق إلى ذلك هو طريق المحاضرات التي ذكرناها وهو النظر
بالترتيب والنظام في المقالات العامة وفي المعاني المختلفة . وهذا الترتيب على
جروف المعجم مثلما فعل مدرسو الفلسفة في باريس ، الذين أسسوا جمعية
فلسفية يقوم أحدهم فيلقى بحثاً في اصطلاح ما مستشهداً عليه بأقوال التمداء
والمحدثين ، ويشير إلى طلابه بنسخة معه من مجلد المعجم الفلسفي

Vocabulaire philosophique Societe Francaise de philosophie

— وذلك في عام ١٩٠٢ (٢٧) .

وهو يحدد الخطوات العملية لعمله على النحو التالي :

(أ) ذكر المعنى الأصلي اللغوي ، ولا يكتفى ما سينيون بالأصل الاشتقاقى العربى بل يعرض للفظ المستخدم فى اللغات المختلفة فرنسية ، إنجليزية ، ألمانية ، بل حتى آرامية ، سريانية . فحين يتحدث فى المحاضرة السابعة والعشرين عن الالهيات يذكر معنى الإله فى اللغات السامية (إله) وبالعبرانى ، وبالسريانى Elah ، وبالأشورية Elu ، وبالكلدانى Elah هذا فى اللغات السامية وكلها معناها واجب الواجب .

ويذكر الله باللغات الآرية كما يلى : بالسكسكرتية ديفا Deva وباللاتينية Dives و Dues ، وبال يونانية ثيوس Theos ، وبالألمانية Gott ، وبالإجليزية God ، وبالإيطالية Iddis ، وبالفرنسية Dieu . ويذكر ماسينيون أن عند النحويين العرب مذاهب كثيرة فى اشتقاق إسم الإله ، ويعطى معانيه المتعددة (٢٨) . وحين يتحدث عن الحياة (المحاضرة الخامسة عشرة) يأتى بالكلمات الأفرنجية لكلمة الحياة . وهى Zoe اليونانية ، وباللاتينية Vite ، والفرنسية Vie ، والإنجليزية Life ، والألمانية Leben (٢٩) ويبدو ماسينيون هنا عالم فيلولوجى يعرض بالتحليل للفظ وتطورها ، ومعانيها المختلفة ، بل يرجع كثير من الألفاظ فى اللغات المختلفة إلى أصل واحد .

(ب) يدعم ماسينيون كل مصطلح بالأصل اليونانى . يتحدث عن المقولات العشر فيذكر أمام الجوهر Ousia وأمام الكم To pasoo وأمام الكيف To poico والإضافة To-PROS والابن To pou والمهى To pote وهكذا . وحين يتحدث عن الكليات الخمس يذكر الجنس Genus باللاتينى و Genos باليونانى مع ذكر المصطلح الإنجليزى والفرنسى . ويذكر النوع Eidos والفصل Diaphora والخاصة Idion والعرض (٣٠) Symbolokos وهو هنا يعتمد على أرسطو — جاء ذكره ٦٦ مرة — فهو صاحب اللغة الفلسفية المحكمة ، ومن يخالفه يخرج عن التقليد الفلسفى ، فخطا ابن نعمة الحمصى فى ترجمة لكتب أفلوطين المنسوبة إلى أرسطو أنه لم يكن لديه شيء .

من الاصطلاحات الفلسفية المحكمة (٣١) . والحقيقة أن على الباحث في الفلسفة الرجوع إلى الأصل اليوناني الذي أبتعد عنه المحدثون .

(ج) الاصطلاح اللاتيني المنقول من الترجمات العربية القديمة فمن قبيل الأمر المعاد ذكر أهمية الفلسفة العربية كأساس لكل فلسفة العصور الوسطى والحديثة وأن كان من الممكن دراسة نشأة المصطلح الفلسفي العربي النشأة والتطور والتغيرات التي طرأت على المصطلح العربي هي دراسة حضارية في المقام الأول تبحث في نشأة وتطور الحضارة العربية الإسلامية وهي لازمة لتأسيس أي عمل فلسفي جاد ، تتبع ذلك دراسة فلسفات العصور الوسطى دراسة مقارنة مع الفلسفة العربية فلا تكتفي فقط بالمقدمات اليونانية بل بالنتائج ، ومن الجذور تعرف الثمار « والثمار هي ما حصلته الفلسفة الغربية عن العربية » ويعي ماسينيون ذلك تماماً حين يتحدث عن سيجر دي برابنت Siger de Brabant (٣٢) وهو رئيس تلاميذ ابن رشد في الغرب اللاتيني ويتحدث عن تأثير الكلام والمتكلمين العرب من يهود ومسلمين على علم الكلام عند النصاري شرح القديس توماس الأكويني على ابن رشد (٣٣) وعلى الترجمات اللاتينية للمصطلحات الفلسفية الإسلامية أخذ الفلاسفة المحدثون : بيكون وديكارت وليبنتز واسينيوزا « فقد استخدموا الاصطلاحات اللاتينية المأخوذة عن العربية . بل أن المترجمون لهذه الاصطلاحات قد قلدوا مؤسسيها تقليداً أعمى » (٣٤) .

(د) ويقرن ماسينيون الأصل اللغوي واليوناني بالإضافة للترجمة اللاتينية بالمصطلح العربي المستحدث ، فهو يتناول (الحدود) المصطلحات العربية بعد أن تم استقرارها في عهد الفارابي ويذكر مع كل مصطلح لأرسطو المصطلحات العربية عند إخوان الصفا والغزالي وابن رشد .

كل هذه الخطوات تضعنا في إطار تاريخ الفلسفة أو تاريخ الفلسفة العربية إلا أن ماسينيون لا يكتفي بذلك بل يحاول أن يعرب مصطلحات الفلسفة الحديثة ليلائم بينها وبين مصطلحات الفلسفة العربية القديمة لهذا فهو يبحث في المعنى

المعاصر للفظ مثل مصطلح النشوء والا تقاء المترجم عن Evaluation وينظر
في هذه الترجمة ليرى مدى ملائمتها .

وأخيراً يقارن بين هذه المترادفات المختلفة ، لذا نجده قد بين كيف أن
اصطلاحات هيجل في المنطق تختلف عن اصطلاحات أرسطو . وأنه يوجد
في الهند منطقة قبل تأسيس المنطق الصوري الأرسطي ذي المقدمتين والنتيجة (٣٥)
وهكذا . ولما كانت محاولة ماسينيون تستعين بالتاريخ فيلزم الإشارة إلى
ما سبقها من محاولات في هذا السبيل .

وتتدرج المحاولات السابقة إلى محاولات أقرب إلى النموذج والصورة التي
يجتذبها ماسينيون ونعني بذلك المعجم الفلسفي الذي أعده لالند ، أو محاولات
سابقة تعد مصادر يرجع إليها وتكون المادة الأساسية لعمله مثل : رسائل
أخوان الصفا ، وتعريفات الجرجاني وكتب اصطلاحات الصوفية المختلفة .
وهناك محاولات سابقة أنجزت عن طريق غيره من المستشرقين مثل هورثن
وآسين بلاسيوس .

فقد وضع لالند (١٨٦٧-١٩٦٣) المثال والنموذج للعمل الذي يطمح
ماسينيون في القيام به . ولالند من الأساتذة الفرنسيين الأجلاء قام بالتدريس
في الجامعة المصرية . وتخرج عليه العديد من أساتذة الفلسفة المصريين الذين
درس لهم مع زملائه : بربيه ، ربي ، اسريتيه ، وأرجيه وبوايه كما يذكر
د . محمد مصطفى حلمي في تقديمه لترجمة محمود الخضيرى لمقال ديكارت
عن المنهج وكذا يوسف كرم في تاريخ الفلسفة الحديثة (٣٦) والفكرة الأساسية
التي انطلق منها لالند في (المعجم النقدي الفني للفلسفة) والتي - اعتمد
عليها - ماسينيون في مشروعه هي أن الحقيقة ليست نتاجاً لفكر واحد بل
تتكون وتتحدد بالتعاون والاتفاق بين العقول المختلفة كما يظهر في الفقرة الثالثة
من المحاضرة الأربعين « طريق الحق » .

ويرجع إلى تعاون لالند مع اكسافير ليون Xavier leon قيام الجمعية
الفلسفية الفرنسية بالعمل المعجمي يقول ماسينيون : « من التأليفات العامة

التي نستفيد منها (في المحاضرات) ما ظهر في الجمعية الفلسفية الفرنسية في ١٩٠٢ تحت عنوان Vocabulaire Technique Critique Philosophie وقد كان لاند من أهم القائمين بالعمل (٣٧) ويضيف : « وقصدى أن أسالك في كل باب من أبواب القاموس هذا الطريق » (٣٨) . كانت إذن أعمال الجمعية الفرنسية وجهود لاند . نموذجاً أمام ماسينيون لمعجم نقدي فلسفي أراد تأسيسه في اللغة العربية ، لكن من خلال مصادر أخرى أعطته المادة العلمية لصياغة خطته فما هي هذه المصادر ؟

هناك العديد من الجهود التي بذلت في هذا السبيل بعضها ذكره ماسينيون وبعضها الآخر لم يذكره ، ويستخدم ماسينيون هذه الجهود كأدوات في بحثه ، يستمد منها مادته العلمية التي يفرض في بيانها أحياناً بحيث تغطي على هدفه . وماسينيون على وعى بقيمة تلك الجهود « ليس عمل الاصطلاحات التي نريدها ببدعة إنما قد سبقنا إليها كثير في الشرق وفي الغرب قد صنف القدماء والمحدثون في الكتب في مبحثنا شيئاً ليس بالقليل » (٣٩) يذكر منها ماسينيون :

(وسائل أخوان الصفا : التي يعتمد عليها اعتماداً أساسياً يذكرها في كل محاضراته تقريباً وهو دائماً يقرنها بأرسطو بحيث يذكر المصطلح الأرسطي ويليه أخوان الصفا الرسائل هامة إذن استخدمت في العصور الوسطى وتهبنا في مبحثنا (٤٠) وكلها حدود كثيرة كدائرة معارف (٤١) ويذكر أيضاً مفاتيح العلوم للخوارزمي (٤٢) وما بعد الطبيعة لابن رشد خاصة ، في مبحث الجوهر وبيان أصله اللغوي الفارسي واليوناني . Ousia

والجزء الأول من إحياء علوم الدين للغزالي (باب من ألفاظ العلوم) (٤٣) ويشير ماسينيون إلى ما سيستخدمه من صفحاته في الإحياء (من ٢٤ حتى ٢٩) . ويستخدم أيضاً العديد من كتب الغزالي مثل : التهافت ، المقصد الأسنى معيار العلم .

ويلاحظ أن ماسينيون يركز على كتب التصوف كمصدر للمادة العلمية للمعجم أكثر ما غيرها « فهي من الكتب التي لا بد لنا من الرجوع إليها » (٤٤) والصوفية

هم الذين أسسوا تقريباً علم الاصطلاحات ومن كتبهم الى يشير إليها : التعريف على مذاهب أهل التصوف للكلاباذي (٤٥) والرسالة القشيرية (٤٦) وكشف المحجوب للهجويري (٤٧) والشطحيات لروزبهان البقلي (٤٨) واصطلاحات الصوفية لابن عربي (٤٩) والتعريفات للجرجاني والنجاة لابن سينا ويستشعر القاري أن هناك بعض المصادر التي لم يذكرها ماسينيون مثل : رسالة الحدود لابن سينا (٥٠) . وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (٥١) وكتاب أبي البقاء الحسيني الكفوي (الكليات) .

ولا يكتفى ماسينيون ببيان الكتابات العربية التي تملده بالمصادر بل يذكر جهود الغربيين من المستشرقين في هذا السبيل ، فهم وإن كانوا لم يؤسسوا قاموساً للاصطلاحات الفلسفية العربية حتى وقتنا الحاضر إلا أنه يشير إلى اثنين منهما ذكر أنهما يقومان بذلك هما : اسين بلاثيوس المستشرق الإسباني الذي عني بالبحث العلمي في تاريخ الإسلام الروحي في أسبانيا ، وقدم دراسات هامة عن ابن عربي والغزالي وابن حزم وابن مسرة . ولا ندرى إن كان أنجز ما أشار إليه ماسينيون أم لا ؟ فلم يأت في سيرته التي قدم بها د . بدرى ترجمه لكتاب عن ابن عربي أي ذكر لمثل هذا العمل (٥٣) . والثاني هو المستشرق الألماني هورتن Horren (١٨٧٤ - ١٩٤٥) ، الأستاذ بجامعة بينا والذي كتب عن « النظريات الفلسفية للفقهاء المتأملين في الإسلام اعتماداً على مصادر أصلية ١٩١٢ » ، وفلسفة الإسلام في علاقاتها بالنظريات الفلسفية بالجزء الغربي من الشرق ١٩٢٤ ، والجزء الخاص بفلسفة الإسلام - الطبعة الحادية عشر من كتاب أوبرفيج ١٩٢٧ .

ولا زالت المحاولات اللاحقة لعمل ماسينيون - والساعية نحو تأسيس معجم مصطلحات فلسفي - غير مرصودة ، وإن كان هناك اهتمام أكاديمي منذ الخمسينات بعمل مثل هذه المعاجم . ويمكن الإشارة إلى المحاولات المبكرة مثل مصطلحات علوم الفلسفة الحديثة لأمين بك واصف أما الااولات الأحدث والتي أشرف عليها مجمع اللغة العربية فتظهر نواتها في كراسة أصدرها

المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بمصر عن (المصطلحات الفلسفية) أعدها بدرى وزكى نجيب والفندى وعفيفى ، وظهرت هذه النواة بعد ذلك فى المعجم الذى أصدره المجمع بإشراف د. الطويل وهو معجم خاص بالمصطلحات والمذاهب ينبغى توحيد المصطلح دون التوسع فى التفصيلات أو الشرح أو التحليلات - مثله فى ذلك مثل المعجم الذى أصدره كل من يوسف كرم ومراد وهبه ، والذى ظهر بعد ذلك أكبر حجماً بإسم مراد وهبه منفرداً فى ضعف حجمه الأول (٥٤).

وهناك ترجمات لمعاجم وموضوعات فلسفية إنجليزية وروسية ، الأولى أشرف عليها د. زكى نجيب محمود (٥٥) ، والثانية ترجمة للقاموس الفلسفى الروسى قام بنشرها تميم كرم .

يضاف إلى ذلك بعض المعاجم الخاصة بموضوع أو فيلسوف بمفرده وهى أشبه بملاحق للكتب ينحصرها أهمها للموضوعات التى يعالجونها ، مثل ذلك قاموس المصطلحات الهيكلية الذى أعده إمام عبد الفتاح فى العدد الخاص عن هيجل من الفكر المعاصر القاهرية وأيضاً فى المنهج الجدلى عند هيجل (٥٦).

ثم هناك محاولتين أخريتين يمكن الإشارة إليهما لاشتراكهما معاً فى عدة خصائص ، الأولى محاولة جميل صليبا التى صدرت أولاً فى مجلة المجمع العلمى فى دمشق ثم اكتملت فى مجلدين تجاوزت صفحاتهم ١٤٨٥ صفحة (٥٧) ، والثانية نجدها لدى الحبابى فى « المعية » وهو قاموس فلسفى حديث ظهرت بنوره فى أعمال مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة (٥٨) ، وكلاهما يمتاز صاحبه بالباع الطويل فى العربية بالإضافة إلى ثقافته الفرنسية التى تظهر فى ثنايا العاملين . وهناك أخيراً الموسوعة الفلسفية التى يضطلع بها د. بدوى والموسوعة الفلسفية العربية التى يصدرها معهد الإنماء العربى ببيروت وهى عمل ضخم فى ثلاثة مجلدات ظهر المجلد الأول منها (٥٩) . بعد ذلك ينبغى علينا أن نتوقف أمام البنية الداخلية لعمل ماسينيون محاولين قراء خطته الأولى من خلال العمل الذى قدمه ميينيه مدى اتفاه مع المقياس الذى قدمه ماسينيون نفسه .

١ - بين المعجم والتاريخ :

إن مشروع ماسينيون الذى عرضه فى محاضراته هو محاولة فى دور التحقيق وعمل أولى وتحضير لعمل أكبر ، ربما تكون أجزاء منه قد ظهرت فى كتابات ماسينيون اللاحقة بصورة أو بأخرى (٦٠) ، إلا أنه بالنسبة لنا أملا فى حاجة إلى التحقيق ، فمحاولة « تأسيس قاموس عربى للاصطلاحات الفلسفية الشرقية والغربية » هدف ونهاية وحلم ، وإن كان لم يتحقق بعد فهناك محاولات عديدة فردية وجماعية نحو صياغة مثل هذا القاموس . وبالطبع فإن القاموس العربى للاصطلاحات الفلسفية ليس هو فقط القاموس المكتوب باللغة العربية مثل « المعجم الفلسفى » الذى أصدره مجمع اللغة العربية بفضل مذكور وإشراف د . توفيق الطويل . ولا هو القاموس المترجم الذى يضاف إليه أسماء الاعلام العرب : ابن سينا ، ابن رشد ، ابن خلدون . . . الخ ، « الموسوعة الفلسفية المختصرة » بإشراف د . زكى نجيب محمود (٦١) . ولا هو المعجم الذى ينقل المصطلحات الفلسفية الغربية مع بعض آراء الفلاسفة العرب محتذياً القواميس الغربية أو متخذاً بعض المعاجم (معجم لالند) مثلاً وقدوة كما نجد لدى صابيا ومراد وهبه . بل إن هذا الهدف والحلم والغاية لا زال معجم فى طور التكوين ينطلق من اللغة العربية متخذاً وجهة نظر حضارية فى كل تاريخ الفلسفة لا يكتفى بنقل المادة العربية وترجمتها والتعليق عليها ، بل هو نحت فى اللغة والفكر لاشتقاق مصطلحات جديدة كما نجد ذلك بصورة أولية لدى الحبائى .

فالقاموس العربى هو الذى يتخذ موقفاً موحداً من كل تاريخ الفلسفة ويملك رؤياه الخاصة والمحددة لكل المصطلحات الفلسفية بل وله مصطلحاته المختلفة ، يبدأ من الأصول القديمة العربية التى حفظت لنا التراث الفلسفى اليونانى ، ويبدأ من الأصول الغربية التى ترتبط بتاريخ الفكر الغربى . أى أن لهذا القاموس هويته العربية الحضارية التى تميزه . وهذا القاموس لم يقدمه لنا ماسينيون وإن كان يسعى إلى تقديمه وتحديد أطره فى هذه

المحاضرات ، والسؤال إلى أى مدى وصل ماسينيون في سعيه نحو هذا الهدف ؟ هذا ما سيتضح من بيان حدود هذه المحاولة وصلتها بالتاريخ .

لم يقدم ماسينيون معجماً أو قاموساً بل حدد طريق تأسيس مثل هذا القاموس في محاضراته . وقد كان له فضل سبق في إرساء قواعد اللغة الفلسفية لتكون أساساً بعد ذلك لمعرفة طلابه بالمذاهب الفلسفية (٦٢) . وحتى تتضح الصورة أكثر نتساءل ما هي هذه المحاضرات ؟ وفي أى مادة كانت ؟ وما الهدف منها ؟ ومن المعلومات التي لدينا نعرف أن هذه المحاضرات إُلقيت بالجامعة الأهلية في العام الدراسي ١٩١٢ - ١٩١٣ وبالتحديد من ٢٥ نوفمبر ١٩١٢ حتى ٢٤ أبريل ١٩١٣ م . وهي عبارة عن أربعون محاضرة في الفلسفة ضمن ثمانية مقررات يدرسها طلاب الجامعة الأهلية حينذاك من بينها دائماً مقرران في الفلسفة أحدهما محاضرات ماسينيون موضوعنا الحالي ، والثاني هو ما كان يقوم بتدريسه طنطاوى جوهرى عن الفلسفة العربية وعلم الأخلاق .

وقد سبق ماسينيون في التدريس بالجامعة المصرية وتلاه عدداً من الأساتذة المستشرقين والعرب أمثال : سنيتلانا (١٨٤٥ - ١٩٣١) ، ونلينيو (٦٤) والكونت دى جلارزا (٦٥) وكذا سلطان بك محمد (٦٦) وطنطاوى جوهرى ، ثم في فترة لاحقة أعضاء البعثة المصرية بعد عودتهم مثل على أحمد العناني (٦٧) ، ومنصور فهمي (٦٨) . وننوقف عند ما سبق ماسينيون من المستشرقين أعني نلينيو وسنيتلانا ونشير إلى أن حصيلة محاضراتهما بالجامعة كانت نماذج من الأعمال الهامة هي : تاريخ المذاهب الفلسفية وهي دروس في التعاليم الفلسفية ألقاها سنيتلانا حول العلاقة بين الفلسفة اليونانية والمذاهب الإسلامية بهدف التحقق مما اكتسبته كل فرقة من اليونان وكيف أفرغته في قوالب الإسلام (٦٩) . مستخدماً منهج التأثير والتأثر الأثير لدى المستشرقين مصدراً بعض الأحكام حول الفلسفة الإسلام تحتاج إلى نقاش ومراجعة .

بينما قدم نلينيو وكان له تأثير كبير - هو تأثير الجامعة على أدباء ومفكرى مصر في هذه الحقبة المزدهرة - قدم « تاريخ الفلك عند العرب » ولكل من

هذين العاملين أهميهما هنا . يشير إليهما ماسينيون ويقتبس منهما في محاضراته التي اتخذت معهما ذلك المنحى التاريخي ، فهي تلور حول تاريخ المذاهب (المصطلحات) الفلسفية في الإسلام ، وعنوانها تاريخ الاصطلاحات الفلسفية بالجامعة المصرية . وهو أستاذ تاريخ الفلسفة « الذي يقوم بتدريس مادة الفلسفة الحديثة » - المقصود الفلسفة العامة - كما يقول د . طه حسين الذي ألقى عليه وعلى دفعته هذه المحاضرات « فقد انتدبته الجامعة المصرية أستاذاً لتاريخ الفلسفة » فألقى بالعربية في تاريخ المصطلحات الفلسفية أربعين محاضرة « (١٧) أي أنه أستاذ تاريخ الفلسفة وتاريخ الفلسفة الحديثة ومحاضراته في تاريخ المذاهب الفلسفية .

هذا هو الإطار والشكل العام للمحاضرات التي كان محتواها يتأرجح بين التاريخ والمعجم ، أما عن التاريخ فالمقصود : تاريخ الفلسفة العربية ، فهو يبين « الطريق الذي اخترناه لتبيان تاريخ الفلسفة العربية (٧١) ويقول : « المقصود من هذه المحاضرات إنما هو إيجاد طريقة في تاريخ المذاهب الفلسفية » . وقد اخترنا أن نرجع في تاريخ الفلسفة « . . . أي أنه يورخ للفلسفة (العربية) من جهة وللمصطلحات الفلسفية من جهة ثانية (تأسيس قاموس فلسفي عربي » يقول : « وقصدي أن أسلك في كل باب من أبواب القاموس هذا الطريق . . . » ، « فالمحاضرات تتأرجح بين التاريخ والمعجم كما يتضح من عبارات ماسينيون نفسه الذي يبين أن الطريق إلى تأسيس هذا المعجم هو المحاضرات التي ذكرناها » . ويمكن القول ونحن على قدر كبير من الصواب أن ماسينيون يحاول من خلال الفلسفة وتاريخها أن يعطي مادة تصلح أن يقوم نفر من طلابه بتنظيمها وترتيبها على حروف المعجم فيما بعد لصياغة قاموس فلسفي أشبه بالمعجم الذي وضعته الجمعية الفلسفية الفرنسية .

٢ - المادة والمنهج :

ذكرنا تأرجح ماسينيون بين التاريخ والمعجم ، وتردده بين تاريخ الفلسفة العربية وقاموس المصطلحات الفلسفية ، أي أننا في الجزء السابق

كنا بصدد الحديث عن الخطوة التي كان يسعى ماسينيون لتحقيقها . وفي هذا الجزء سوف نتناول العمل الذي قام به ماسينيون بالفعل أي نتجاوز الخطوة الطموحة إلى التحقيق الفعلي وان كنا نود أن نشير إلى أن النص الذي بين أيدينا للمحاضرات لا يمثل ما قدمه ماسينيون تمثيلاً فعلياً ، فقد اكمل ماسينيون الجزء الأخير للمحاضرات التي بدأها أحد تلاميذه بالجامعة المصرية ، ومن هنا فإن بعض القصور قد يكون مرده إلى الطالب — كاتب المحاضرات — وليس إلى الأستاذ ومما يؤكد هذا الموقف من جانبنا أننا لم نعثر من المحاضرات إلا على صورتين لنسخة واحدة كتبها الطالب توفيق حامد المرعشلي (٧٢) . إحداهما بمكتبة المعهد العثماني الفرنسي للدراسات الشرقية بالقاهرة والثاني بمكتبة الدكتور عثمان يحيى والذي وجدنا بها كثير من الإضافات التي جعلتنا نعتمد عليها معاً في هذا العرض التوثيقي .

لن نتناول العمل بالتعليق على المحاضرات واحدة تلو أخرى ، ولن نلجأ إلى تقسيم المحاضرات إلى مجموعات بعضها خاص بمصطلحات المنطق والرياضيات أو الطبيعيات والحياة والنفس ، أو الاجتماعيات والالهيات ، وتصنيفها وبيان حدود العمل وانجازاته على الوجه التالي :

تتوزع الحصيلة العلمية بين نوعين من المواد هما : المصطلحات والاعلام . وكلا النوعين لا يقتصر فقط على اللغة العربية بل يمتد إلى الفرنسية ، ويمكن الرجوع إلى الفهارس العديدة في نهاية المحاضرات التي وضعها ماسينيون حيث نجد الآتي : بالنسبة لأسماء المؤلفين (الاعلام) نجد فهرسين : الأول وبأى صفحة ١١٣ ، ١١٤ والعربي صفحة ١١٥ ، ١١٦ ونلاحظ على هذا الفهرس الخاص بالاعلام ما يلي : الربط بشبه أرسطو وإخوان الصفا ، الغزالي بسكال ، برجسون والرازي .

والفهرست الثاني للمصطلحات الفرنسية والعربية يقدم الأول تحت عنوان

Table des technique en francais latin et grec vocabulaire des terms techniques de la philosophie en arabe.

في صفحات ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ثم الاصطلاحات العربية صفحات ١٢٠ ، ١٢٣ . وكما هو واضح فإن العنوان الفرنسي لفهرس المصطلحات يشي بصلة ما بين مشروع ماسينيون وعنوان قاموس لالند .

ويمكن تقديم الملاحظات الآتية على محاول ماسينيون :

يتصف هذا العمل بأنه ليس قاموساً غربياً مضافاً إليه هوامش عربية ، أى أنه في الأساس محاولة تحت المصطلح الفلسفي العربي أو العثور عليه من خلال مادة تاريخ الفلسفة العربية . وهو قاموس غير منفصل عن الجهود الشرقية والغربية ، بل هو محاولة تأسيس قاموس عربي للاصطلاحات الفلسفية الشرقية والغربية . فكما يذكر اليونان لا يغفل عن الهند في صفحات عديدة (٧٣) ومع ابن قزمان من الأندلس يذكر عمر الخيام من فارس ، ومع هيرودوت يذكر مؤرخ الصين sse ma taien ٢٠٠ ق . م . ومن هنا ضرورة قراءة متأنية للأعلام لا تقتصر على الفهرس بل تبنى أساساً على النص ذاته والسياقات المتلفة للأعلام داخله .

ويأتي في المقدمة أرسطو الذي يحتل المكانة الأولى . ويذكره ستاً وستين مرة في ثلاثين صفحة (٧٤) ، ذكر بعضها ماسينيون في الفهرس وأنفل ذكر صفحات أخرى أشار فيها إلى أرسطو بالفعل (٧٥) . وصورة أرسطو عند ماسينيون هي صورة صاحب الاصطلاحات الفلسفية المحكمة التي لم يعلمها الحمصي في ترجمته لكتاب أفلوطين ومن هنا نسبة لأرسطو (٧٦) وهو مرتبط بمصطلحات العدد والرياضيات والطبيعات وما بعد الطبيعة (٧٧) . وهو يقابل هيغل الذي ذكره ماسينيون سبع مرات (٧٨) منها أربعة يقابل فيها بينهما ، وحين يتحدث عن المصطلحات المنطقية يقرؤها عند أرسطو ويضيف استنتاجها في مذهب هيغل يقول : وحدود المنطق بقيت على حالها ومؤسسها أرسطو ، وهيغل هو أول من بدلها وغير في أصول أرسطو (٧٩) أنها جزئيات من خواطر هيغل إلا أنها تعتمد على مبادئ أرسطو . ومن هنا نجد أن لغة

ماسينيون كما يظهر من الاحصاء السابق أرسطية وليست هيكلية^{٨٠} ، يونانية وليست معاصرة فهو يتبنى الأرسطية مفهوماً واصطلاحاً ولا يتساوى أرسطو عنده بهيجل رغم ازدهار الهيكلية في تلك الفترة ، فالكثير من المفكرين يرفضون هذه التسمية فقد : « أتى هيكل باستنتاج جديد يعتقد بصحته ، وأن أكثر علماء أوروبا يعتقدون بهذا المذهب ولا يودون أن يسموا بالهيجلين » (٨٠).

ويبدو أن ماسينيون قد فهم هيكل خطأ ، ذلك لأنه فهمه عبر أرسطو : فالمنهج الجدلي بخطواته الثلاثة « العدم ، الوجود ، الصيرورة » أسس على النظام المنطقي المعروف (الصوري) (المقدمة الكبرى فالصغرى فالنتيجة) (٨١) بل إن تجديد هيكل وانتقاده لمنطق أرسطو قائم على مبادئ أرسطو (٨٢) وهو — أي هيكل — عنده من السفسطائية « مثل جرجياس الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد وهيكل الذي عاش في القرن التاسع عشر بعد الميلاد » (٨٣) وهو يتحدث عنه في المحاضرة السادسة والعشرين عند الحديث عن (مذهب الاجبار الروحاني في التاريخ) وما التاريخ عندهم إلا إيجاد العقل الكلي بنفسه ، إلا أنه يجمع معه كل من ميكافيلي في « قوة إرادة البرنس » واسبينوزا في رسالة في اللاهوت والسياسة (٨٤) وهو (هيكل) مع هيكل Haecker من فلاسفة « وحدة الوجود » ويذكر معهما اسماً مغموراً تماماً في تاريخ الفلسفة هو P. Carus مدرس في شيكاغو — يرى وحدة الفلاسفة لا وحدة الوجود » (٨٥).

ماسينيون إذن أرسطي يفضل المعلم الأول على هيكل صاحب المثالية المطلقة ، بل يفضلها أيضاً على فيلسوف فرنسا الكبير ديكارت (٨٦) الذي يشيد به دوماً ويعطى له الأولوية . فهو يذكر عشرين مرة . ولديكارت بالطبع وضع أثر لدى ماسينيون يختلف عن غيره من الفلاسفة . فهو من الفلاسفة والرياضيين معاً مثل نصير الدين الطوس (٨٧) وهو الذي اخترع الهندسة التحليلية (٨٨) وينسب ماسينيون نظرية النرة لمؤسسها ديكارت (٨٩).

وديكارت هو الذى أضاف علة خامسة (العلة المنطقية) ولا يكتفى ماسينيون بالإشارة إليه فى مسائل الرياضية والهندسة بل يذكره أيضا فى مسائل الحياة : فهو من « الآليون » الذين « يعتقدون أن المادة لها حركة دائية وأن الحياة من حركة المادة » (٩١). ومن الغريب هنا أن يقرنه بمواطنه وخصمه جاسندى (٩٢). وهو مع أفلاطون من الواقعيين القائلين بأن الاسم له وجود خاص خارج عن الشيء (٩٣). ويذكره أيضا دون أن ينسب له مذهباً أو يعرض رأيه فى قضية ، بل أنه يتناول أيضاً – كان حتى لو لم يكن من المهتمين بالموضوع الذى يعرض له كما جاء فى قوله : « أما فى الغرب فإنه غير موجود العقل المنفعل » (٩٤) وهو مثل النظام الذى يرى أن الإنسان هو الروح وهذا عين مذهب ديكارت . ومن الغريب أنه يعود فى المحاضرة السادسة والعشرون عن التاريخ ليجعل من ديكارت فيلسوف الإجبار المادى مع مونتيسكيو وكومت وتارد وكروتشه وماركس ومؤسسى فلسفة مذهب الاشتراكيين (٩٥).

وديكارت الذى جعله ماسينيون من فلاسفة الإجبار المادى هو « واضح برهان الكمال » (٩٦) وهو القائل بالوضوح والتمييز والبديهى كيتين للعقل (٩٧) وهو الذى رتب العلوم على شكل الشجرة (تصنيف ديكارت للعلوم (٩٨) وحين يتحدث عن الفلسفة والمصطلح الدارج يجعل من ديكارت (الفرنساوى) رئيس مذهب جديد فقد نقل مفكراته Meditation (التأملات) وهى أصلاً باللاتينية إلى الفرنسية (٩٩). ويقارن ماسينيون تلاميذ ديكارت بتلاميذ الأشعرى فى توسعهم فى مذهب النرة (١٠٠).

.. وبينما يهتم ماسينيون بأن يؤكد أن ديكارت هو مخترع الهندسة التحليلية وبأنه مؤسس مذهب النرة الذى نجمه لدى ديمقريطس وأبيقور ولوكريس وهى مسألة فى حاجة إلى نظر ، فإننا لا نجد نفس الاهتمام لديه فى أن يعطى الأولوية والسبق لابن خلدون فى تأسيس علم العمران أو ادلاجتماع أو فلسفة التاريخ الذى يرجع له الفضل الأول فى طرح موضوعاتها وبيان مسائلها .

فرضهم أنه يذكر ابن خلدون ثمان مرات ، وهو عندد يقدم نوعاً من التاريخ العملي (١٠١) ويشير إليه عند الحديث عن اللغة (١٠٢) فأهمية ابن خلدون لغوية (ص ٨٥، ٨٨) . وتصنيفه للعلوم أساس الفنون السبعة في أوروبا (١٠٣) ويضع ابن خلدون بين الاعتقاديون مع كل من « ابن تيمية وابن القيم الجوزية والابجي والتفتازاني وابن خلدون » (١٠٤) . ورغم أنه يشير للطلاب بالرجوع إلى المقدمة إلا أننا لا نجد أى إشارة إلى تأسيس ابن خلدون لعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ ، ولا بيان لأسبقيته فيهما ، تلك المسألة التي تنبه إليها كثيراً من الغربيين . ولئن نلاحظ أن هذا الموقف من الفيلسوف العربي ابن خلدون الذي يتخذه ماسينيون (أستاذ علم الاجتماع الإسلامي بالكوليج دي فرانس - فيما بعد -) يختلف عن موقفه من ديكارت الفيلسوف الفرنسي الذي يجعله مؤسس للذرة وصاحب علة خامسة .

ولا يقتصر اهتمام ماسينيون فقط بديكارت من الفلاسفة الفرنسيين ، بل يقدم لنا ما يقرب من ثلاثين فيلسوفاً فرنسياً هم : ريتان ويذكره (١٤ مرة) . ويذكر برجسون « صاحب الكتب المشهورة في علم النفس وغيره من علوم الفلسفة » (١٠٥) الذي جدد مذاهب الحبريين براهين جديدة في زماننا ويذكره ١٢ مرة ، فقد دقق في بلورية العين (١٠٦) وهو يقول مثل ابن عربي بالخلق كل وقت (١٠٧) ويذكر أيضاً كومت Comte ثمان مرات . وكذلك روسو الذي يذكره ستة مرات .

ويذكر روسو أربعة مرات ويتناوله في مجالات بعيدة تماماً عن الموضوع الذي يوضعه فيه عادة فهو يتحدث عنه في حديثه عن الطبيعة والوجود ويذكره بعد أرسطو مباشرة « روسو الفرنسي يستعمل الطبيعة بمعنى الحالة الأولى الصالحة من كل شيء مثل الإنسان الأول قبل التمدن والطفل قبل التعليم ، ولكن بعد المخالطة يخرج من الطبيعة ويندرج تحت الفساد » (١٠٨) . وهذا الرأي أياً كانت مناقشتنا له إلا أنه أقرب إلى فلسفة التاريخ والسياسة منه إلى مباحث الميتافيزيقيا والأنطولوجيا وهو السياق الذي يستخدمه فيه

ماسينيون . فروسو يتحدث عن تصور ما للطبيعة الإنسانية لكنه لا يبحث في الطبيعة ، فهو حديث عن العقد الإجتماعي الذي يفسره ماسينيون في المحاضرة الرابعة والعشرين بأنه : « حياة الاجتماع نتيجة جهد العقول وأن الترقى الإجتماعي باجتهاد العلماء ، (وتلك هي) نظرية الرابطة الإجتماعية عند روسو » (١٠٩) وماسينيون يصحح هذا الفهم Contract social ويجعله سبباً للحركة الفوضوية عند كربوتكين وباكوتين (١١٠) .

ويذكر لا مارك ثلاث مرات ومثلها يذكر باستير وميخلسون وكوندياك ولوبون ويذكر مرتين كل من دور كايم وبوانكاريه تارد ، ثم يذكر كلا من جاسندي ودوهيم ، وكلودبرنار وتين وفولتير وجويو وبوتروا مرة واحدة بالإضافة إلى ذكر العديد من العلماء الفرنسيين أيضاً حتى لو لم يكن لهم ذلك الوزن العلمي ، فمع دارون ولا مارك وسبنسر (أصحاب نظرية التطور من الإنجليز والفرنسيين يذكر فاير Faure والأخير من علماء الحشرات يعيش الآن كفلاح في جنوب فرنسا وله تجارب مهمة وتدقيق في غريزة الحيوان من فصيلة الزنابير (١١١) .

ويلاحظ أيضاً كثرة الاستشهاد بأعلام الصوفية وأصحاب الفلسفات الغامضة ، فبالإضافة إلى استخدام المادة الصوفية والتركيز عليها نجد ذكر عدد كبير من المتصوفة والغنوصيين وأصحاب الفلسفات السرية أو الباطنية يذكر أخوان الصفا في معظم صفحات النص (٣١ مرة) فهو يرجع إلى كتبهم (صفحات ٤ ، ٥ ، ١٨ ، ٢٣) ، ويربط بينهم وبين أرسطو صفحات ٤ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ٣٧ ، ٩٤) ، فهم أساس الرياضيات والموسيقى (ص ٢٣ - ٢٤) ولهم تعريفهم للطبيعة في الجزء الثالث من الرسائل ، وللهيولي والصورة (ص ٢٧ - ٢٨) والحركة (ص ٣٠) والنفس (ص ٢٣) والغريزة (ص ٤٦ - ٤٧) والعقل (ص ٥٠) ويورد ترتيبهم للعلوم (ص ٨٦) وتقبلهم لثنائية الطبيعة (ص ٩٤) ويقصد بها ثنائية تفسير الوجود عند أرسطو وهي المبادئ الهولي كالهولي والصورة .

ويذكر الغزالي ٣٦ مرة في معظم صفحات المحاضرات من الصفحة الأولى
للأخيرة، يستشهد بمعظم كتبه بدأ من الأحياء وما فيه من الفاظ تدل على معاني
العلوم وتفيدنا في بيان المصطلحات حتى «كتاب المنقذ من الضلال» الذي يعده
ماسينيون «تاريخ أحوال النفس ويذكره في حديثه عن فلسفة التاريخ» (١١٢).

ولا يغفل عن ابن عربي — الذي يكتبه أحياناً ابن العربي — ويعتمد
على مصطلحاته الصوفية (صفحات ٦ ، ٨ ، ٧٥) ويقارنه ببرجسون
(٢٤ ، ٣٩ ، ٧٣) وهو عنده يقول براءة الفلاسفة (٣٤) أي أنه من
متفلسفة الصوفية يجمع بين العقل والروح (ص ٥٢) ويتخذ منه ماسينيون
مصدراً لمعرفة سهل بن عبد الله التستري الذي ذكر في الجزء الأول من
الفتوحات المكية (ص ٥٠) وهو — أي ابن عربي باحث محقق يرجع
البحث المنسوب للغزالي في «المغنون الصغير» إلى أبو علي المسمر السبتي.
(ص ٥٣ ، ٩٣) يقول بوحدة الوجود والغناء المطلق (ص ٥٨ ، ٧٦
١٠٥) ومن نتائج مذهبه «أن المعدوم شيء لأن العدم عين الوجود» (ص
٧٧) ومن تلاميذه : الصدر الرومي وعفيف الدين التلمساني (ص ٧٧)
رد ابن تيمية عليه (ص ٧٦ ، ٧٧) ونحدث ماسينيون عن نظريته في وحدة
الأزمان دون أن يسميها (ص ٨٠ — ٩٦) ويحدد موقعه في تاريخ الفلسفة
العربية (ص ٣) .

ويتحدث ماسينيون عن التشيرى ورسائله (ص ٦ ، ٥٧٦ ، ٢) وعن
كتاب روزبهان والكلاباذى والعروسي والهجویری (١١٣). وابن برجان
السلمی (ص ٦٢ ، ٩٣) وابن سعيد بن أبي الخير (ص ٥٧) والحسن
البصري وابن مسرة والمحاسبي (ص ٩٢) وعبد القادر الجيلاني (ص ٩٣، ٩٦).
وابن سيعين الذي يذكره خمس مرات صفحات (٤٩، ٧٧، ٩٣) . وابن سالم
والسالمية الذي كتب عنهما في دائرة المعارف الإسلامية (١١٤) يذكرهما
صفحات (٥٠، ٧٦، ٩٢) وابن طالب المكي الذي يؤكد على أهمية كتابه
(١١٥) وابن عطاء الله (ص ٥٢) . ويذكر كل من النابلسي ثلاثة مرات

(ص ٧٨ ، ٨٠ ، ٩٣) وكذلك الجنيد (٨ ، ٥٧ ، ٧٦) والكرخي مرتين .
(١٨ ، ٧٨) وابن الفارض (٥٧ ، ٥٨) ثم الحريري والحريرية والرفاعي .
(٧٨) والكاشاني (ص ٦) وابن خزيمة البغدادي (ص ٥٦) .

ولا يغفل عن اهتمامه الأساسي بالحلاج الذي يذكره عشر مرات (١١٦) كما يذكر أيضاً الحلاجية . فقد فرق الحلاج بين الإرادة (المشيئة) والأمر بالمعروف ، الأمر غير مخلوق أم الإرادة مخلوقة (ص ٥٠) . والحلاج شهيد المحبة وقتيل الاستياق يعرض مذهب في الحب بعد الحديث عن ستانдал في كتابه De l'amour وعند أفلاطون في المأدبة (النادي . وبعد أن يتحدث عن كتب ابن داود الأصفهاني ويستشهد بأشعار ابن الرومي وابن الفارض ، وبعد أن يذكر المذاهب القديمة في الحب ويعطيها أسماء غريبة مثل : مذهب طالع النجوم (تسديس أو تربيع) لبطليموس ، والطبائع لجالينوس والمغنطيس المذكور في النادي (المأدبة) لأفلاطون يذكر الحب العذري ويتوسع في المحبة الصوفية متناولا مذهب الحلمانيين وهم قوم عباد للجمال ينظرون للوجوه الجميلة ويسجدون لكل صورة حسنة (ص ٥٦) نقى طويلا مع مذهب الحلاج . والمحبة عنده ذات الأهمية ومحبة العبد للرب أفضل من الإيمان . ويذكر كثيراً من أشعار الحلاج في الحب والحلول مثل قوله :

للناس حج ولى حج إلى سكنى تهدي الإضاحى واهدى محبتي ودى
ويقول :

ليبك لبيك ياسرى ونجـواى لبيك لبيك يا قصدى ومعنى
أدعوك بل أنت تدعوني إليك فهل تأديت أياك أم ناديت أياى

وهو يبين مذهبه في أن (الأمر عين الجمع) (ص ٥٨) ويظهر ذلك من قوله المشهورة أنا الحق (ص ٧٨) وهو القائل لكل حق حقيقة ولكل خلق طريقة ولكل عهد وثيقة (ص ٨٠) ويحدد ماسينيون له مكانته في تاريخ

الفلسفة العربية (ص ٩٢) ويقارن قياساته في الطواسين في التنزيه باب (١١) والحلول مع قياسات Raman bull المتوفى سنة ١٣١٥م (١١٧) .

٣- بين الحقيقة الفلسفية الواحدة والفلسفات القومية المتعددة :

ومن بين التباينات العديدة بين ما قدمه أو أقترحه ماسينيون في مشروعه وما قدمه بالفعل تأرجحه بين الميتافيزيقا والتجريب أو الواحدية والتعددية الذى ظهر في التناقض بين القول بحقيقة فلسفية واحدة خالدة وبين القول بفلسفات قومية ودينية متعددة . لقد أحتذى ماسينيون فكرة لالند القائلة بأن الحقيقة نتاج العقول ، وليس فقاً على جهد فرد واحد ، وبين ذلك ذلك في خطته بأن مشروعه (القاموس) جماعى يصل إليه طلابه بالتعاون وأطلق على ذلك أسم طريق الحق كما يظهر من قوله : « أرادتنا ماثلة إلى حال التأليف والصلح الحقيقى والاتفاق الجوهرى بين الأمم والأشخاص ، أملنا أن نصير معاً من الاختلاف إلى لاتحاد الصحيح وطلب الحقائق مع نظام » (١١٨) يتضح ذلك من العبارة التى ختم بها محاضراته والتى تذكرنا بمذهب الحلاج وابن عربى في وحدة الأديان وهى قوله : « جمعنا الله تعالى إلى الأبد في تحقيقه وتصديقه واشتياقه سبحانه وتعالى » (١١٩) .

ورغم هذا الإيمان بالحقيقة الواحدة فالفلسفة كما تظهر في النص الذى بين أيدينا تبدو مرتبطة بالأديان المختلفة أى دينية وكذلك البلدان المختلفة أى قومية أن لم تكن عنصرية . فديكارت فيلسوف « فرنساوى » (ص ٢٧) وهو ينسب للغرب (ص ١٨ ، ٥٣) وكوندياك الفرنسى (ص ٢) ولا يقتصر ذلك على الفلاسفة الفرنسيين فقط فترجعه إلى نوع من الحماسه العاطفية بل يفعل ذلك مع غالبية من يذكرهم من أعلام .

يذكر بوختر الالماني (ص ٣٨) وفندت Wundt الالماني (ص ٨٧) وليبنز الالماني (ص ٩٨) والعالم الالماني المستشرق ديتريشى (ص ٥) ، وهيغل أحد الفلاسفة الألمان (ص ٧) وهيغل الالماني (ص ٨٦) وفولوجل الالماني (ص ٦) وتظهر الغمزات العنصرية حين يذكر Sprenger

الالماني ، عاش في الهند وخدم انجلترا (ص ٦) وهورتن الالماني (ص ٦)
و Eisler الالماني (ص ٧) والفيلسوف الالماني شوبنهاور
(ص ١١) وجورج كانتور ، وهو فيلسوف الماني (ص ٢٠) وحقق
الالماني شوبنهاور (ص ١١) وجورج كانتور ، وهو فيلسوف الماني (ص ٢٠)
وحقق الالماني Weirstress (ص ٢٤) .

كما يذكر اشهر المؤرخين الصينيين (١٢٠) ومحمد بن أحمد أفندي
الأسكندراني ١٢١، والعلامة الأسباني Ribera (ص ٨٩) واسين بلاتيوس وهو
أسباني (ص ٦) بالإضافة إلى اسبينوزا الهولاندي الذي يذكره صفحات
(٢٧ ، ٩٨) ودي فريس فريس الهولاندي (ص ٤٥) وفي مجال العلوم
يذكر نظرية Sorenzi الهولاندي لونهوك الهولاندي (ص ٤٢) .
ويذكر بيكون أنجليزي « (ص ٨٦ ، ٩٧) الأنجليزي فورمن دالب
والفيلسوف الأنجليزي والاس Wallace (ص ٣٥) P. Carus
مدرس في شيكاغو ، ودانتى « الطلياني » (ص ١) ابن قرمان القرطبي
والكلاباذي من كلا باذ (ص ٦) بلدة في خراسان ، وروزيهان البقلي
وهو شيرازي (ص ٦) ابن مسرة القرطبي (ص ٩٢) وكذلك يتناول
مذهب ديمقريطس وابقرر ولو كريتش عند اليونان (ص ٣١) وفيثاغوريس
أحد فلاسفة اليونان (ص ١١) وهو لا يكتفي بذكر الأشخاص فقط ونسبها
إلى قوميتها بل يتناول كذلك البلدان والأعمال المرتبطة بقوميته الخاصة .
مثل : السنغال الفرنسي (ص ٨٩) ، و « دائرة المعارف الفرنسية » ص ٨٦

ولا يكتفي بربط الأعلام والأعمال بالقومية فقط بل كذلك ينسبها إلى
دينها : فأسبينوزا يهودي هولاندي (ص ٤٧) بوثيوس رجل مسيحي
(ص ١١) وابن جبيزول من اسبانيا وهو يهودي (ص ٧٥) ويتحدث عن
موسى بن ميمون في اليهودية ١٢٢ وإيلارد في النصرانية وابن سينا وابن رشد في
الاسلام (ص ٧٨) ويذكر الفرس الشيعة (ص ٨٨) ويحيى بن عدي في
النصرانية وابن الحسين يهوذا اهلوى في اليهودية ، والأشاعرة في الاسلام

وأبو الوليد بن جناح (ص ٨٣) بل أنه يضع بين المتكلمين (علماء الكلام) سعيداً الفيومي اليهودي (ص ٥٢) بين الحكماء قسطاً بن لوقا نصراني ، ويحيى بن عدي نصراني وعيسى بن زراعة نصراني ، وأبو أيوب جبيرول يهودي وموسى بن ميمون يهودي وأبو الحسين يهودي وشبلي شميل نصراني (ص ٣) .

وبعد هذا الوصف التحليلي لمضمون نص ماسينيون علينا أن نتوقف قليلاً إذا كنا نريد تطوير محاولته من أجل بناء (تحديد بنيه) القاموس الفلسفي ، وذلك من أجل بيان بعض الملاحظات حول إيجابيات العمل وأهم إنجازاته وكذلك ما يندرج في السلبيات وما يجب تجاوزه حتى يتضح في أي اتجاه يكون التطور وإلى أي الجوانب ينبغي أن يقدم النقد :

ثالثاً - النقد والتطوير (السلبيات والإيجابيات) :

أن الوصف التحليلي لنص محاضرات ماسينيون لن يكتفي بعرض المشروع القاموسي ، بل من الممكن ، وهذا ما يطمح إليه أن يعيد بناء المشروع ، هذا القسم - من الدراسة - هو نوع من إعادة البناء أي إعطاء تصور كامل لسلبيات وإيجابيات المشروع - وفي أظهار الأولى والتأكيد على الثانية يمكن دفع المحاولة للامام . ولسنا نريد طرح آمنيات ومطالب إلى المؤلف والمؤلف فكلهما تحدد مكانه في تاريخ الفكر أي أنهما أصبحا مشروعاً مكتملاً ومن هنا دورنا نحن ، ولا نريد بالطبع التهميش على العمل أو الاجتهاد في شرح المتن أو كتابة حاشية على الشرح أو التعليق على الحاشية والشرح . بل تهدف إلى إعطاء قراءة جديدة لها رؤية مستقبلية للقاموس الفلسفي العربي من أجل تطوير محاولة ماسينيون . ويتم ذلك بانتقاء بعض المواقف وإبراز ما إذا كانت إيجابية أم سلبية .

١ - الإيجابيات :

(أ) ١ - الاهتمام بقضايا معاصرة : ويظهر ذلك في أحساس ماسينيون بالواقع والتاريخ ، أى أنه يملك كلا المحورين الأفقى والرأسى . فآلم يتطور الفكر العربى الاسلامى من جهة ، وهو على وعى بعمق الواقع الاجتماعى والسياسى العربى المعاصر له من جهة ثانية . لذا نجده يتناول العديد من القضايا الهامة التى تحفل بها حياتنا الفكرية وإن كان يمر عليها مر أم خشية التوقف والتحليل وتقديم الحلول ، يظهر ذلك فى العديد من المسائل التى أثارها : فهو يذكر مراكز المدنية الاسلامية فى العالم ودورها - وهى أشبه بالمراكز الثقافية للدول الآن - ويبين مدى انتشارها فى آسيا وأفريقية وأوربا وأمريكا (١٢٣) وهو ثانياً يشير إلى المجلات والدوريات الثقافية والفكرية فى هامش جانبي صفحة (٩٧) يحيل القارىء إلى المؤبد أغسطس ١٩١١ ، وحين يتحدث عن المستشرق الالماني هورنن يشير إلى مقالة ترجمت له فى المؤبد منذ ثلاثة سنوات (ص ٦) ، كما يشير إلى مجلة العالم الاسلامى المجلد السابع (ص ٩٧) وحين يتحدث عن هيجل ومؤلفاته يرجع إلى مجلة *Revue des deux mondes* وكما يشير إلى دائرة المعارف الانجليزية والفرنسية . وينطلق منها ليطرح قضية هامة ملحة إلا أنه يتخذ منها مواقف متناقضة . وهى قضية اللغة العربية نكتفى هنا بابرار مواقفه : الأول يتعلق بفرقة رينان بين اللغات السامية والآرية ، أو بين العقلية السامية والآرية ، وقد بينا رأى ماسينيون فى أنه لا يوافق على بعض أحكام رينان . وإن كان عرضه لذلك تم بشكل غامض غير محدد ، إلا أن وجهة نظره تظهر أوضح فى الفصل الذى كتبه فى كتاب « جب » « مصير الاسلام » حيث يقول : « أن ربط الحوادث المتتالية لتكون سلسلة يظهر فيها التطور وهو المنهج الذى الفناه أكثر من سواه هو (المنهج) الذى ينذر وجوده بين المسلمين . . فلا جرم كان منهج المسلمين فى التاريخ ينزع غالباً إلى

التجزئة لا إلى ربط الحوادث لتكون سلسلة متصلة الحلقات (١٢٤) .

والمثال الثاني الذى يبين قدرة ماسينيون على أبرز المشاكل الدقيقة في الفكر العربى المعاصر له يتمثل في موقفه من مشكلة « اللغة العربية » العامية والفصحى ، وهى المشكلة التى شغلت الفكرين والكتاب والأدباء العرب أمثال : عبد العزيز فهمى ، ولطفى السيد وجميل صدقى الزهاوى وسلامه موسى وغيرهم ويتوقف ماسينيون طويلا أمام هذه القضية بحكم دراسته ويحولها إلى قضية فلسفية يخصص لها المحاضرة السادسة والثلاثون بعنوان (الفلسفة والمصطلح الدارج) . ويعرض لوجهة نظر الشاعر والمفكر العراقى جميل صدقى الزهاوى الذى يرى أن المستقبل للدارج (العامية) وذلك نتيجة من قوانين نشوء اللغات وتطورها ، وأدلة ذلك عنده أن الدارج أوفق للتحليل من الفصحى وأن الدارج هو مرآة الواقع الفكرى والوجدانى - وبعد أن يبين الاسانيد التاريخية لرأى الزهاوى وهو رأى أعتنق هو نفسه لفترة يرجع ثانية في فقرة هامة عن ضرورة اللغة العربية تحت عنوان أنجال الشعوبية وعمومية اللغة العربية يتوقف عند هذا الرأى وبتنقده برفق فالعربية الفصيحة عامل توحيد تصل عن طريقها الأمة إلى عموميتها « فإذا تغلب الدارج على الفصحى تفقد الأمة عموميتها (١٢٦) .

(ب) الإشارة إلى المفكرين المعاصرين : إن وجود ماسينيون بمصر ودراسته السابقة بالأزهر ، وانفتاحه على العرب مصريين وعراقيين وشوام ومغاربة عن طريق رحلاته وصادقاته كل ذلك جعله على صلة بالحياة الفكرية والثقافية في مصر داخل وخارج الجامعة وجعله على بينة بنتاج الكتاب والمفكرين ، يقرأ لهم ، ويستشهد بأرائهم ويشير إلى أفكارهم ، لا يقتصر ذلك على المصريين فقط بل غيرهم من العرب والمستشرقين فبالإضافة إلى أشارته إلى كتابات سنبلانا ونلينو يذكر جميل صدقى الزهاوى كما يذكر

توفيق صدقي (١٢٧) ، ويتوسع في شرح نظريتهما ويعرض لشبلى شمبلى
(صفحات ٤٣ ، ٤٤ ، ٩٤) ويشيد بعمله ويرى عمله (في ترجمة دارون
نجر) نموذجاً للرسائل التي يجب أن ينقل على غرارها إلى اللغة العربية
(ص ١٠٠) كذلك يعرض لفارس الشدياق - (ص ١٠٢) ومحمود
شكري الالوسي حين يتحدث عن معنى التاريخ (ص ٦٦) ومحمد
أقبال (ص ١٠٥) ويشير إلى كتاب الشيخ محمد شريف في علم النفس
(ص ٤٦) .

كما يشير إلى كثيراً من الغربيين المعاصرين له مثل P. Carus مدرس
الفلسفة في شيكاغو . إلا أن ما يجب أن نتوقف عنده هو اشارته إلى عدد
من الاعلام الذين قدموا اسهامات عديدة ومن الممكن اعادة كشف اعمالهم
وبيان جهودهم مثل « توفيق صدقي » الذي يكتب عنه في المحاضرات مضيفاً
إلى ما كتبه الناسخ بخط يده ما يلي في « حديثه عن النشوء » والارتقاء :
« وصف مشكلات المبحث ومناقشة الاكثرين شبلى شمبلى وتوفيق صدقي
في زماننا هذا » مذهب توفيق صدقي في الأعضاء الاثرية هو القائل بابقاء
النوع مع تغير صفاتها (١٢٩) بالاضافة إلى ذلك يذكر جمال الدين الافغانى
ومحمد عبده ورشيد رضا (ص ٩٣) والكواكبي (ص ١٠٣) .

(ج) الاجتهاد في الترجمة ، وتقديم ترجمات خاصة به :

ففى موضوع « الحياة » ومصطلحاتها ، المحاضرات من ١٥ حتى ١٨
نجده يقدم ترجمة صوتية لمصطلحات المذاهب الحيوية ينهج فيها نهج القدماء
في نقلهم للفلسفة اليونانية والافغانى في « الرد على الدهريين » فيتحدث عن :
الميكانيكسيم ، الاليون والاورجانيكسيم أى العضويون والفيثاليم أى الحيويون ،
واحياناً لا ينقل النعلق الأعجمى إلى حروف عربية ، بل يجتهد في أن يصل
إلى الفاظ عربية للمعاني الدقيقة النفسية والشعورية ففى المحاضرة التاسعة عشر
في « معنى النفس » الاحساس ، الفكر ، الارادة يعطى قائمة بترجمة حوالى
سنة عشر مصطلحات في معنى الاحساس فاللفظة Sensation يشتق منها جملة
كلمات لكل منها معنى خاص بها نضع لها اصطلاحات عربية على قدر

الامكان مثل : حى ، حساس ، احساسية ، ثم يذكر من الاصطلاحات الخاصة بذلك فى علم النفس ما يأتى : انفعالات ، عواطف . (نزعات) اهواء أو ميول شعور ، لا شعور انتباه ، هذيان ، أنانية ، الفه ، انشراح ، ألم وغيرها (ص ٤٧ ، ٤٨) .

(د) الوعى بتاريخ الفلسفة-يونانية ووسيطه وحديثة ومعاصرة : والذى يتضح فى تحديد خطوات منهجه السابق واستشهاده بالفلاسفة القدامى والمحدثين حسب الاهمية التاريخية والوظيفية لكل منهم . ويظهر ذلك أيضاً فى نزعة التأثير والتأثر التى تغطى على نص المحاضرات . فهو يتعمق تأثير الفلسفة الإسلامية على اليهود والنصارى خاصة تأثير ابن رشد على الاكويين وسيجر دى برانت من جهة ، وأثر المسلمين على التصوف اليهودى من جهة ثانية . ويظهر وعى ماسينيون بتاريخ الفلسفة فى عدة نقاط ، منها : بيان التفصيلات الدقيقة داخل المذاهب الفلسفية المختلفة مثل قوله : توسع مذهب اللرة المقتبس من ديمقريطس بين أصحاب الأشعرى كمثل توسعه بين أصحاب ديكارت ، وكما تفرع ديكارت إلى مالبرانش واسبينوزا تفرع الأشعرى إلى الباقلانى وابن عربى » (١٣٠) .

كذلك يمتلك ماسينيون قدرة فائقة على الربط بين المذاهب المختلفة ، فنظرية برجسون فى الزمان هى رجوع إلى نظرية محمد بن زكريا الرازى ، والكشف (الحدى والالهام) عند الغزالى مثل الكشف عند بسكال (١٣٢) . وبين انتقادات زينون للكثرة والحركة ويوضح كيف يتجاوز النظام ذلك إلى القول بالطفرة (١٣٣) .

(هـ) تنوع المصادر المستخدمة : يرجع ماسينيون إلى المراجع الأساسية التى يحتاجها بحته سواء كانت غربية أو عربية ، ويشير إليها وينقل عنها ، ويذكرها . ومن هذه المصادر والمراجع : كتب أرسطو فى المنطق كلها ، وكتب أفلاطون : المأدبة ، الجمهورية والقوانين ورسائل إخوان الصفا ، ومقابسات أبو حيان التوحيدي وكتب الغزالى : الاحياء ، المنقذ من الضلال ، ومعيار العلم . وفتوحات ابن عربى المكينة بالإضافة للكتب العلمية : لداروين

أصل الأنواع ، وللامارك وشبلى شمبل وكتب الرياضيات عند فيثاغورس
والبتاني والظوسي وثابت بن قرة واقليدس وغيرها .

وتوجد بالإضافة للكتب الفلسفية والمنطقية والعلمية مصادر أخرى يشير
إليها ويعتمد عليها توسع من الفهم الضيق لمعنى الفلسفة ، فهو يشير إلى آيات
القرآن وكذلك الأناجيل ويرجع إلى ترجمة نشيد الانشاد وديوان شعر المتنبي
وابن الرومي وأشعار الحلاج ، وكتب ابن داود للأصفهاني وغيرها مما يجعل
القارئ يشعر برحابة الفلسفة وعدم اقتصرها على المجردات والمقولات
الفلسفية الخالصة . حيث يغلب على أسلوبه الثراء والخصوبة اللغوية التي
تحل محل جفاف التجريدات .

(و) الاجتهاد في التخریجات والنتائج : وتبرز النزعة الابداعية الخلاقة
ليس فقط في الوعي بتاريخ الفلاسفة ودقائق مشكلاتها ولا في تناول القضايا
المعاصرة والحجاء في معالجتها ، ولكن في تلك اللمحات الخاطفة والحدوس
السريعة التي تظهر بين الحين والحين مثل : « أن العرب لم يأخذوا النحو
عن اليونان ، بل أنه إبداع عربي خالص ، ورغم أن تلك حقيقة تاريخية
إلا أن ميل المستشرقين إلى إرجاع كل إبداع لإبداع سابق ، جعل إقرار
ماسينيون لهذه الحقيقة لمحمة خاطفة ذكية . ونفس الموقف يظهر بوضوح في
تفسيره لنشأة التصوف الإسلامي نشأة بيئية خالصة من عناصر إسلامية تعتمد
على بعض نصوص القرآن وحياة النبي وأقواله وحياة الصحابة ، دون رد
هذه النشأة إلى عوامل خارجية سواء هندية فارسية أو مسيحية ، يونانية
فقد تحدت معالم التصوف كعلم للأخلاق والنفس قبل التأثر بالعلوم
الدخيلة (١٣٤) .

وفي بيانه اسهامات البيروني في فلسفة التاريخ حدس هام يجب أن يتابع
وتفسير كتاب الغزالي « المنقذ من الضلال » على أنه كتاب في التاريخ :
تاريخ تطور النفس قدرة تخريبية خلاقية ، والإشارة إلى رأى توفيق صدق

في التطور يجعلنا نضع يدينا على أنه من أهم اعلام التيار العلمي في الفكر العربي المعاصر مع شبلي شميل واسماعيل مظهر وجميل صدقي الزهاوي (١٣٥) وإسماعيل أدهم (١٣٦) وعصام الدين حفي ناصف .

وبالإضافة إلى ذلك نجد الجراءة في تناول « الاتجاهات الهامشية » في تاريخ الفلسفة الإسلامية ، وتعميقها تلك النزعات التي تستهوي أمثال ماسيون وكراوس حيث نجده يشير هنا في المحاضرات وكذا في دائرة المعارف الإسلامية (١٣٧) إلى ابن حائط - وابن يانوش والرازي الطيب . ويتناول القائلين بالتناسخ في الإسلام ويذكر الزنادقة الثلاثة : أبو حيان والرواندي والمعري وإن كانت الدراسات الدقيقة من الممكن أن تعطى أحكاماً أخرى في هذه القضية وصورة مغايرة لهؤلاء تضعهم في القلب من تاريخ الفلسفة

وبجانب هذه المزايا والإيجابيات التي يمكن أن نضيف إليه إرجاعه لإبداع الفلسفة اليهودية إلى فضل المسلمين ، ومقارنته لاسهامات العرب مع الفلاسفة المعاصرين . مع هذه الإيجابيات هناك العديد من الملاحظات التي تؤخذ على المشروع يمكن إجمالها فيما يلي :

٢- المآخذ والسلبيات :

(أ) التراجع بين التصورات الفلسفية والمعرفة العلمية ، والخلط بين الفلسفة والعلم : يفهم ماسينيون الفلسفة باعتبارها أم العلوم ، وهذا صحيح تاريخياً ، ومن هنا تقسيمه للمحاضرات إلى محاضرات في المنطق باعتباره المدخل أو إله الفلسفة أي الاورجانون . ثم يتناول الكليات العلمية وهي على التوالي : أصناف العدد ، حساب المعلومات ، والمجهولات (الجبر والمثلثات ، ثم السماء والدمر ويقصد بهما (المكان والزمان) أي نظريات الهندسة ، ثم علم الموسيقى .

ويتناول في الأربعة محاضرات التي خصها « لمعنى الحياة » : الحياة ومعناها ، الأعضاء والتناسل ، أصل الأنواع ، النشوء والارتقاء من وجهة

نظر عالم لا فيلسوف أى أنه يقدم لنا العلوم ذاتها خالصة بدلا من فلسفة العلوم طبيعية كانت أم رياضية ، ويذكر بالتفصيل العلامات الرياضية المختلفة $Z, +, -, =, \sqrt{}, <, >$

كما يذكر من اخترع هذه العلامات ؟ ومتى اخترعت ؟ واستعمالاتها (١٣٨) وهو حديث أقرب إلى العلم وتاريخه منه إلى الفلسفة ومذاهبها .

ويغرقنا في الحديث عن : جيب الزوايا ، وجيب التمام والظل ، وظل التمام ، القاطع ، القاطع التمام ، والسلسلة المائلة أو سلسلة تايلور ، والقاسم المشترك الأعظم والمضاعف البسيط ، والعدد متناسب أو الحدود والغير متناسب أو الأصم ، يغرقنا في دقائق علم الجبر وعلم الحساب ويبعدنا عن الفلسفة . وفي المحاضرة السادسة عشر عن الحياة يتحدث عن الوظيفة والعضو ويذكر العديد من أسماء العلماء مثل برتلوط Bertlalt ، وكانتور وابقراط وجالينوس واقاطنيوس واسليباد دى بتين وباستير ومتشكوف دون ربط جهودهم بمباحث الفلسفة . وفي المحاضرة السابعة عشر نجد التوسع في بيان نظريات وتجارب كل من لوينهوك ، وبارى Parry ولوب وباستير وداروين ولامارك وكوفيير ومنديل ودى فريس وويسمان وريزك وينتج عن هذا الحشد إيهام بوفرة المعلومات ولا يعطى فلسفة وينشأ عدد من المغالطات .

(ب) فوضى المعلومات وغياب المنهج :

ينشأ عن الخلط السابق بين العلم والفلسفة مغالطات نتيجة الحرص على تقديم مادة علمية كثيرة ومكثفة ، ويؤدى بالتالى ازدحام المعلومات إلى الفرق في التفصيلات على حساب الفكرة العامة أى التشتيت والتجزئ بدلا من التعميم والتركيز . ومن يطلع على النص يلحس بنفسه ما تحتوى عليه الصفحة الواحدة من أسماء الأعلام ومصطلحات العلوم والنظريات المختلفة ، بل ويجد تفصيلات كثيرة في الآراء المختلفة فيما يتعلق بأى علم من العلوم . فنذكر في علم الاحياء أولا معانيه في اللغات المختلفة . ثم يذكر اختلاف العلماء فيه

« اختلاف الطبيعيون والمتكلمون في معنى هذه الكلمة فاستعمل الغزالي في كتاب المقصد الاسنى « صحيفة ٦٣ — طبعة مصر » كلمة الحياة » ويصححها في الهامش (الصفة الالهية) بمعنى عام خلافاً لاستعمال علماء هذا العلم « (١٢٩).

ويبين ماسينيون معنى الحياة عند الانيميسم (النفسانيون) Animisme وفلاسفة هذا المذهب يعتقدون أن المادة الحيوية مركبة من سببين : (١) النفس ، (٢) العناصر المادية . وأن هذا الرأي يوافق رأى أرسطو ، وتبع أرسطو إخوان الصفا (الرسائل — ج ٢ ص ٣٣٢) . وكتاب تبيان الأسرار الربانية في النبات والمعادن والخواص الحيوانية لمحمد بن أحمد أفندى الاسكندراني . وقد أنكر وجود النفس الحيوانية ديكارت وبخلافه في ذلك لينتز واستاهل . ثم يتحدث عن الميكانيسم (الاليون) ويعطى كما هائلا غير مترابط من المعلومات فالآليون من الآلة ، وهم الذين يعتقدون أن المادة لها حركة ذاتية وأن الحياة من حركات المادة . وهؤلاء قسمين : النريون (القائلون) بالذرة والمذهب الأول من المذاهب القديمة منهم انكسماندر وجماعة يونان ، وكذلك جالينوس القائل بالاعتدال بين الأخلاط الأربعة وكذلك مذهب ديكارت وجاسندى من القرن السابع عشر و Buchmer بوخمر الألماني المتوفى من نحو ٢٠ سنة (١٤٠) ، ومذهبه واضح بكتاب النشوء والارتقاء ترجمة الدكتور شبلي شميل ، وهو مذهب مادي محض .

ويذكر المذهب الثاني ويمثله أوستولد Astuold ولوب Loeb وبرتلوط Berthelot صاحب النجيب المشهورة في تركيب المادة العضوية وجداول الأطعمة . . (بيان درجة تحولات القوى الطبيعية والكماوية إلى القوة الحيوية على اختلاف الأطعمة ١١ ص ٣٨) ويتابع ماسينيون في الصفحات التالية ٣٩ و ٤٠ ، حيث يتحدث عن « تركيب الأعضاء عند المتأخرين من فلاسفة الافرنج عبارة عن معمل متحرك فيه شغل لا يقف أو قوة محبوسة في صورة محدودة من ضغط الأحوال الخارجية وهذه القوة

تجهد باجتهاد مستمر واحتزار دائم وتجدد في كل وقت بشرط اعتدائها
الخارجي « (١٤١) .

ويتحدث في الهندسة عن: (١) مصطلح علم الهندسة ، (٢) والمكان

١ — القضاء الاقليدس وانتصار لوبتشفسكي Lobatahewsky .

٢ — مسألة التحويل (يقصد الديمومة) في مذهب برجسون .

٣ — مذهب انقباض الدهر في تجارب ميكلسون Michalson .

وهو يفيض في بيان هذه النظريات بشكل أقرب إلى العلم — إلى الفلسفة
ونفس الأمر نجده في حديثه عن الموسيقى في المحاضرة العاشرة .

ويلاحظ أن الحيرة تنتاب القارئ من الإغراق في الجزئيات العلمية
بدلاً من إعطاء التفصيلات في الفلسفة نفسها ، وبدلاً من تحرى الدقة في
مسائل تاريخ الفلسفة . إن طلاب الفلسفة المبتدئين يعرفون أن انكسناندر
ليس من الليرين ، وإن جماعة يونان إسم واسع فضفاض لا يعنى شيئاً
محدداً . وإن طبيعة بحث ومنهج ومجال الطبيعيون يختلف عن المتكلمين ،
لكن كيف يسلك كل منهم ؟ وما هي آرائهم المختلفة فيما نحن بصددده ؟
وأين نجد هذه الآراء في كتبهم وما هي أهم نظرياتهم في ذلك ؟ هذا ما لم
يوضحه ماسينيون . فهو بدلاً من ذكر فلسفة الدين ومكانها في العاوم
الفلسفية يتحدث عن الدين . وبدلاً من الحديث عن القيم أو فلسفات السياسة
والتاريخ يتحدث عن جهود أشهر مؤرخي الصين Sse ma laien
(٢٠٠ ق . م) الذي جمع من علوم النجوم كل حوادث الكسوف والخسوف
لينشئ تاريخ الصين . وأن لكل سلطان من المغول من يكتب له تاريخه .

والإغراق في تفصيل جزئيات العلم ، والذي هو نوعاً من التعالم يؤدي
إلى أخطاء أخرى تظهر في بيان ماسينيون للمذاهب الحديثة في فلسفة التاريخ ،
التي يدرج تحتها مسألة تقسيم العلوم التاريخية : (١) علم الآثار إما في الفنون
الجميلة وإما في الصنایع وله أقسام للنقود . والحوائيم والشعارات (والآثار

الآن تخصص مستقل عن التاريخ) ، (٢) ويتحدث عن علم الكتابات وعلم القراطاس) وهو أقرب إلى تخصص الوثائق والمكتبات منها للتاريخ (١٤٢) (٣) علم الفرامين وتصحيح الاسناد أى المتون والشهود ، (٤) علم الطقوس أى السنوات وعلم الأنساب ، (٥) علم الجغرافيا التاريخية وعلم الأساطير .

(ج) تقديم معلومات خام أولية لا تخضع للتصنيف والتبويب والتحليل :

وتعطى صورة فضفاضة ليست محددة ، يتضح ذلك بصورة جلية فى المحاضرة الثلاثون ، حيث يبدأ ببيان معنى الدين عند نولدكه Noldeke ثم كانط الذى يقول : « أن الدين هو شعور الامر الالهى ، ليس بواسطة العقل إذ أن العقل عنده ربما لا يوافق حقيقة الاشياء » . ويعرض لرأى رينباخ S. Reinbach وهو على قيد الحياة الآن بقول فى كتابه أورفيوس أن الدين مجموعة وساوس وخيالات تمنع النفس فى حريتها ، ويضيف : « وهذا المذهب لا يجب الاخذ به فى مصطلح الدين بل يجب الرجوع إلى اراء الدينين » . (١٤٣) ثم يفيض فى تاريخ اساطير الاولين أو القصص الخرافى ويطلق عليه (علم تاريخ أدب العامة Folklore أى الادب الشعبى بمصطلحنا الحديث . ويشير إلى كتاب الفهرست حيث نجد كثير من عناوين كتب الحكايات الخرافية الجن والعفاريت وغيرها ثم يتحدث عن مجلة مذاهب فى اصل حكايات العامة بالتفصيل عند ماكس موللروكوسكين ، واندريه لانج Andre lang وسبنسر ، وفولتير ، واميرسون وكارليل (١٤٤) . ثم يتحدث عن عمومية الحرمة (التابو) Tabou . ومثال آخر يظهر فى حوار مع اراء رينان المحاضرة الحادية والثلاثون . حيث يببى لنا اراء رينان مجزأة غير واضحة نستنتج منها فى احسن الفروض عدم الوضوح لدى ماسينيون نفسه . (كتب ماسينيون هذه المحاضرات والقها وعمره حوالى ٢٩ عاما ويحاول ماسينيون هنا محابة من يحاضرهم بعدم عرض ارائه بالوضوح الذى يعرضه فى كتبه الأخرى التى يتبنى فيها آراء رينان فى العرب والعقلية السامية (١٤٥) .

(د) ابتلاع العلم الفلسفة : ونتيجة أخرى يودى إليها خلط العلم بالفلسفة

وهى ابتلاع العلم للفلسفة ، التى تتضاءل وتتوارى أمام نظرياته المختلفة

فما سينيون المفكر الذى يرى فى نظرية داروين مجرد افتراض قابل للنقاش يقول : « أن مذهب النشوء فرضى محض ولو أن أكثر العلماء متمسكون ويعتقدون به ، فإن العقل وهو آلة التمييز لا يمكن أن نفهم شيئاً متصلاً مطاقاً (وهو النشوء) بواسطة شيئاً منفصلاً (وهو الاختلاف بين الانواع) (١٤٦) ومع أن نظرية داروين مجرد افتراض وليست حقيقة مؤكدة فإنه يوضح من كل جزئية ادلى بها داروين ، جاعلاً منها نظرية كبرى ، ويتوسع فى إطلاق لفظ مذهب أو نظرية على أقل اجتهد . ففى كتابه اصل الانواع ١٨٥٩ ، ومن مذهبه نشأت النظريات باصطلاحاتها الآتية ونظرية تنازع البقاء Struggle farlife نظرية الانتخاب الطبيعى Selection naturelle ونظرية وبقاء الاصلاح "Surviance des plus aptes" ولا يكتفى ماسنيون بعرضها هنا فقط بل يستخدم هذه المادة مرة ثانية فى حديثه عن الاخلاق : « سنشرح هذه النظريات فى تاريخ الاصطلاحات فى دروس الاخلاق الاجتماعية والحقوق الدولية » . ولو أن أكثر العلماء فى علم الحياة صاروا على مذهب النشوء والتحول الا أنهم لا يعتقدون بالنظريات الثلاثة . ويضيف أيضاً : إذا خرجت من الجسم الحى كل قوة داخلية على مذهب داروين فان هذا الجسم يتقدم « نظرية البقاء للاصلاح » (١٤٧)

(هـ) الربط بين الافتراض الفلسفى لفكرة والتحقيق التجريبي لها : بل ونسبها ليس إلى أهم من قال بهاء فأفترض اليونانيون للذرة عند ابيقور ديمقراطس ولوكرييتس يحول إلى حساب ديكارت فهو « مؤسس مذهب الذرة » (١٤٨) ونظرية العقد الاجتماعى التى يطلق عليها اسم « الرابطة الاجتماعية » يرجع إلى الفرنسي ساوى روسو ، وليست إلى الأنجليزى هربرز أولوك ولا حتى اسپينوزا . هذا التضخيم لجهد الفلاسفة الفرنسيين من ماسنيون يتفق مع الميل الغريزى للانحياز العرقى والجنسى والعنصرى . وهذا الميل الغريزى يصبح فى حالة مفكر بزعم البحث — عن الحقيقة الكلية المجردة — التى تشترك فيها كل العقول الانسانية وبتساوى دماغها كل الاديان — يصبح ميلاً غير مقبول بالمرّة . أن ابراز دور بعض المفكرين والفلاسفة

يأتى على حساب إهمال البعض الآخر وينشأ عن ذلك اغفال متعمدة لجهود بعض العلماء والمفكرين السابقين إلى الكشف والابداع فى مجالات عديدة يظهر ذلك فى عرضه لابن خلدون الذى كان فى نظر ماسينيون مجرد لغوى فقط .

(و) الميل إلى تقديم مادة علمية مكثفة على حساب تحديد ودقة الفكرة :
ويؤدى ذلك إلى الانتشار — أكثر من التعمق وإلى العرض أكثر من التحليل ويكتفى باعطاء معلومات دون تقديم بناء متكامل . ومن هنا يكتفى ماسينيون بتناول عناوين فقط ، رؤوس موضوعات ، ولا يتسع له المجال للامسام والاحاطة بجوانبها المختلفة ، فهو يكس العناوين وقد يصلح كل منها لعمل مستقل بل احيانا تكفى جزئية من جزئياته لذلك تعطى مثال هنا بالمحاضرة الرابعة والثلاثون الذى يوحى عنوانها بذلك (رؤوس المسائل ورؤوس المذاهب) فهو حين يقدم على عرض تاريخ للمذاهب الفلسفية العربية — لا يجد كتاب فيه جدول يبين لنا خطوات النشوء ، وتقدم الفلاسفة والحكماء لذلك فهو للتار لذلك كتاب الغزالي « المنفذ من الضلال » لحسن تأسيسه وهو دليل اليقين ومقياسة ثم يقسم هذا التاريخ تقسيما من ثلاثة أقسام من السنة ٢٠٠ تاريخ هجرى إلى السنة ٥٠٠ ومن ٥٠٠ حتى ٧٠٠ ومن ٧٠٠ حتى الآن ١٣١٩ ولنا على هذا التقسيم الذى يقترحه ماسينيون وعلى هذه المحاضرة (١٤٩) (٣٤) وهى هامة للغاية ملاحظات هى :

١ — يحاول ماسينيون تقديم تخطيط لتاريخ الفلسفة ويسمىها الفلسفة العربية وليس الاسلامية ولذلك مغزاه عنده وان لم يصرح به .

٢ — الفلسفة تعنى العلوم العقلية وتشمل : علم الكلام والتصوف والحكمة (الفلسفة) والفقه . مما يجعله احيانا يضع الفيلسوف الواحد بين (داخل) علمين من العلوم كأن يضع ابن الرواندى بين الحكماء (الفلاسفة) والباطنية الذين يطلق عليهم التعليمية (الزنادقة) . وهذا توسع لا لزوم له من ماسينيون حيث من الصعب أن نفرّد علما خاصا يسمى الزنادقة او حتى مذهبا للزنادقة .

كذلك يفعل مع أبو عيسى بن اسحاق الوراق ، والسهروردى الحلبي .
وبينما يضع عربي « ابن عربي » بين الباطنية والصوفية يضع ابن سبعين
والششتري بين الحكماء والباطنية والافغانى بين المتكلمين والحكماء .

٣ - يقدم في هذه المحاضرة مراحل تاريخ الفلسفة وليس رؤوس المسائل
والمقصود بالمذهب هنا ليس سوى العلوم الاسلامية المختلفة التى يخلطها
أحيانا بالفرق : الباطنية ، التعليمية ، الزنادقة . لئلا يخلطها أحيانا بخصائش
العلماء الذين يطلق عليهم (الاعتقاديون) فنحن لسنا بازاء مذاهب بل بازاء
اربعة علوم وفرقة من الفرق .

٤ - تقسيم التاريخ إلى مراحل ثلاثة هو تقسيم افتراضى يتجاهل البذور
التي وضعت في المائتي سنة الاولى من الاسلام (مرحلة التكوين والتأسيس
والترجمة) والتي يعتمد عليها هو نفسه في كتابات تاليه في تفسيره نشأة
التصوف الاسلامى .

٥ - اتخاذ التقويم الهجرى أساسا للتقسيم التاريخى يتعارض أصلا مع
وصفه للفلسفة - وإطلاق لفظ عربية عليها - فهو لفظ اسلامى من جهة
ويتناول العلوم الاسلامية بمعناها الواسع من جهة ثانية ومن هنا عليه تصحيح
التسمية الخاصة بالفلسفة أو اتخاذ تقويم آخر . .

٦ - يخلط ماسينيون بين المجال (ميدان البحث) والمنهج (وسيلة البحث)
حين يتحدث عن الدليل (المنهج) عند المتكلمين هو التواتر والقياس والالهام
عند الصوفية ، لكن حين يتحدث عن الحكماء يضيف العقل (مجال علم
الوجود) وعند التعليمية يضع عصمة الامام . وهما مبحثين أو مجالين للدراسة
وليسا منهجين لها .

٧ - تحتوى هذه المحاضرة التى لاتريد عن صفحتين فقط على حوالى
ثمانون اسما من متكلمي وفلاسفة وصوفية دون حديث عن المذاهب
أو غيرهما .

ثالثاً - التطوير والإكمال :

أن العرض السابق الذى يبين المشروع الماسينيونى الخاص بتاريخ المصطلحات الفلسفة العربية بجوانبه المختلفة . وكذلك عرض الملاحظات المختلفة حول المشروع ايجابا وسلبا لن يفى فى تحقيق القاموس المنشود بل حاول فقط رصد الهدف المطلوب وجعله فى بؤرة الملاحظة من أجل قراءة جديدة وروية أخرى تعمق وجهة نظر عربية فى المشروع الماسينيونى . من أجل بيان كيفية رعاية البذور الحسنة فى المحاضرات لتطوير الفكرة وأكمال المحاولة . ومن هنا نكتفى بعرض نماذج من الافكار التى نستطيع بواسطتها تأسيس قاموس فلسفى عربى ، وهى مهمة تحتاج جهد جيل كامل من الباحثين .

وسوف اعرض هنا بعض البذور التى يجب الاهتمام بها اهتمام خاصا لأهميتها ليس فقط فى المجال الاكاديمى ، وانما تعد من وجهة نظر معاصرة موضوعات ذات أهمية حضارية ، أى نستطيع من خلالها « خدمة التمسك بوجه عام بلغة ماسينيون » وهذه الموضوعات هى على التوالى :

١ - اعادة كتابة تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية بصورته الشاملة .

٢ - تصحيح ، واكمال صورة الفلسفة العربية الاسلامية والتاريخ الفكرى العربى بتنفيذ القراءات الغربية له واعادة القراءة العربية النقدية للمواد الفلسفية فى الموسوعة اليهودية التى تزيف كل تاريخنا الفكرى .

٣ - ازالة الحواجز المختلفة المصطنعة بين الفلسفة العربية (التى تعتبر فى نظر البعض فلسفة تاريخية ميتة) وبين تاريخ الفلسفة الحديثة والمعاصرة . . ويمكن أن نضيف إلى هذه البذور أفكارا عديدة مثل :

- استحدثت مناهج جديدة غير تقليدية فى دراسة الفلسفة الاسلامية .

- التركيز على دراسة موضوعات معاصرة تظهر جوانب مجهولة من الفلسفة العربية الاسلامية .

— الدراسات المقارنة —

— البحث في أصل ونشأة وتطور المصطلحات الفلسفية . وهي دراسة هامة لم يقترب منها ماسينيون بالرغم من أنها الهدف لمحاضراته .

(أ) الصورة الشاملة لتاريخ الفلسفة العربية الإسلامية :

لو تناولنا معظم الكتابات التي تورخ للفلسفة العربية الإسلامية نجد أنها غير مكتملة نكتفى بناحية واحدة فقط ، أو نعرض لاتجاه خاص ينطاق للتأريخ للفلسفة الإسلامية من خلال فرقة ما أو مذهب بعينه صابغا إياه والفرق والمذاهب المخالفة بما يتبناه هو من عقيدة أو مذهب ويظهر ذلك في مؤلفات المستشرقين التي تتناول تاريخ الفلسفة الإسلامية مثل كتاب هنري كوربان بالاضافة إلى نوعية ثانية اقرب ما تكون إلى المقدمات والتمهيدات مثل الكتاب الهام الذي رسم الطريق للتأريخ للفلسفة الإسلامية « التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » للشيخ مصطفى عبد الرازق وهناك تواريخ الفلسفة الانتقائية الجزئية التي نكتفى بإبراز نماذج معينة غالبا ما تقتصر على الاسماء الرئيسية فقط دون غيرها . أو تطرق نفس الموضوعات والشخصيات المطروقة فلا نتناول سوى فلاسفة المشرق الكندي ، الفارابي ، ابن سينا ، أو فلاسفة المغرب ابن باجة ابن طفيل ابن رشد . وحيانا نضيف بعض الشخصيات اكتمالا للصورة فنذكر الغزالي وابن خلدون كما نجد ذلك لدى خليل الجروحي الفاخوري في تاريخ الفلسفة العربية . وهناك الدراسات التي نتناول الفلسفة فقط أو التي تكتفى بالتأريخ لمذاهب علم الكلام مثل كتاب عبد الرحمن بدوي « مذاهب الاسلاميين » وغالبا ما تتوقف عند ابن رشد أو ابن خلدون ، وبعضها يمد التأريخ إلى فترة لاحقة ليصل إلى العصر الحاضر مثل ماجد فخري في « تاريخ الفلسفة الإسلامية » . والبعض يكتفى بتناول ودراسة شخصية واحدة أو موضوعا معيناً لدى هذه الشخصية مثل الطبيعة أو المعرفة عن ابن سينا ، أو السياسة عند الطوسي أو الفارابي أو اخوان الصفا .

أما التعرض للمناطق الهامشية والشخصيات الخطرة فتلك المسألة أثيرة

لدى المستشرقين إلا أنها تبعد بالموضوع أو الشخصية مدار البحث عن السياق العام لتاريخ الفلسفة لتضعه في الهامش مثلما فعل عبد الرحمن بدوي في

«تاريخ الاتحاد في الاسلام» وعبد الأمير الأعمى في «تاريخ ابن الرواندي وغيرها . وتظل جزئيات وتفصيلات تاريخ الفلسفة مجهولة ومراحل الانتقال غير واضحة أو محددة ، رغم عدم توقف الفلسفة بعد ابن رشد وظهورها بشكل واضح في علوم مختلفة مثل علم الكلام أو التصوف كما تشهد بذلك كتب أبو اليوكات البغدادي «المعتبر في الحكمة» وكما تعرض لنا كتابات ابن عربي الفلاسفة في أكتافها داخل غلاف التصوف .

ويظهر فضل ماسنيون هنا في محاولته للتأريخ ولتأسيس القاموس ويتجلى ذلك في نواحي عديدة مبتكرة وإن كان قد مسها مساً ولم يتوقف عندها خاصة في المحاضرة الرابعة والثلاثون . فيضيف أسماء جديدة ويلقى الضوء عليها ، ويعتمد على كتابات قديمة يبتعد عنها المؤرخين ، ويقارن بين جهود الفلاسفة العرب والمسلمين وجهود غيرهم من اليونان والمعاصرين لا يفصل بين عصر وعصر ، أو بين اتجاه واتجاه . لا يكتفى بأسماء محددة سلفاً بل نجد أسماء جديدة تضاف إلى الأسماء المعروفة في تاريخ الفلسفة مثل : المعري ، أبو حيان التوحيدي ، ابن كرام ، يحيى بن عدي ، سعيد بن الفيومي ، أبو الحسين البصري ، أبو عيسى بن الوراق ، ابن زراعة ، ابن الهيثم ، ابن جبيرول ، ابن مسرة ، القداح ، ابن يانوش ، الطوسي ، الأبهري ، الكاتبي ، ابن برجان ، الدواني ، خواجه زادة ، بهاء الدين العاملي ، أمير داماد ، صدر الدين الشيرازي ، شبلي شميل ، فضل الله الحروفي أكبر شاه ، أحمد البحراني ، الباب ، صبح الازل ، بها الله وغيرهم .

وجهد ماسنيون في إضافة أسماء جديدة كانت هامشية أو منبوذة أو مصنفة داخل أطر مختلفة يوسع من دائرة التاريخ ويجعله أكثر شمولية ويظهر ذلك في نقطة هامة ستحدث عنها بالتفصيل فيما بعد ، وهي احتواء تاريخنا الفكري على شخصيات كثيرة استظلت يظاه ونهلت من معينه الخصب ، درست على أيدي أئمتنا بالمدارس والمساجد أيا كانت مواطن

هذه الشخصيات أو دياناتها إلا أنها في النهاية تنتمي إلى تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية أكثر من انتمائها لأي تاريخ أخرى فقد اتاح التسامح الديني والازدهار الحضاري والتفتح الفكري لغير المنتمين للإسلام أو العربية أن يصبحوا جزءا من هذه الحضارة المزدهرة ويبدعوا من خلالها وبلغتها أهم تراثهم الفكري ويذكر لنا التاريخ من هؤلاء : سعيد بن الفيومي اليهودي - ٣٣٠ وقسطا بن لوقا ويحيى بن عدي ، وعيسى بن زراعة ، وأبو أيوب بن جبرول - ٤٥٠ وحمة الدير وأبو الحسن يهودي صاحب كتاب الحرزي - ٥٥٧ ، وموسى بن ميمون والابهرى والكاتبى والدوانى وعلى القارى ، خواجه زادة والقوقانى ابن كمال باشا ، بهاء الدين العاملى وأمير داماد ومحسن الفيضى وهم على التوالي فلاسفة ومفكرون يهود ونصارى وفرس وأتراك . ومن الهنديذكر ما سنيون : كبيره تانك اكبر شاه ويوسف النبهانى وهى ، شخصيات تهم طوائف دينية معينة حيث يكتب اسرائيل لفنسون عن ابن ميمون أو يورخ زكريا ابراهيم لكل من يحيى بن عدي وابن زراعة وللوراق فى كتابه عن أبو حيان التوحيدى أو يورخ الفرس الابهرى والكاتبى والدوانى والشيرازى وأمير داماد وغيرهم كذلك يفعل الترك والهنود لمواطنيهم . هذا الاهتمام بالتاريخ الشامل للفلسفة الإسلامية ينقلنا للموضوع الثانى ، وهو عدم الاكتفاء بنقل وعرض تاريخنا والانعزال عن جلوره وتأثيره والانطواء على الذات ، بل يجب الحوار النقدي الدائم مع تاريخنا الفكري العام بصورته الشاملة التى تحتوى جزئياته المختلفة بحيث لا نهمل الفلاسفة الكبار ولا نتغافل عن دور المفكرين الذين عاشوا وانتجوا فى ظل الحضارة العربية الإسلامية مثل ابن ميمون مثلاً حتى لا نعطي الفرصة لبعض الكتب أن تحول التلاميذ إلى أساتذته ونقرأ فى إحدى الموسوعات كيف أخذنا نحن العرب عن ابن ميمون الفلسفة والطب وكيف تعلم كبار الفلاسفة العرب على يديه .

(ب) القراءة النقدية للمواد الفلسفية : فى دائرة المعارف اليهودية وغيرها من دوائر المعارف . فهذه الأعمال مليئة بالأغاليط عن الإسلام

والعرب وتاريخهم وفلسفتهم وهي تملأ معظم الكتابات التي صدرت وتصدر عن الفكر والفلسفة العربية والاسلامية . والتي يحاول فيها الكتاب والمؤرخون الغربيون أضعفاء نوعاً من العملية على كتاباتهم التي يشهد كل ما فيها بالعنصرية أن واجبنا العلمي وواقعنا التاريخي يقتضي إقامة حوار مع الغير والنفس حوار حضارى فى المقام يلتزم فيه الباحثون الوطنيون بقضية الوطنية والهوية والهوية القومية . إلى مناقشة للفكر اليهودى القديم والمعاصر ومواجهته حضارياً وكما تدرس الفلسفة الغربية فى العصور الوسطى فى معاهدنا وجامعاتنا علينا دراسة أفكار هؤلاء ومناقشة انتماءاتهم المختلفة والقوى التي يعيرون عنها ظننا موضعين أهدافهم مظهرين أغاليطهم .

لقد أدرك ماسنيون فى محاضراته ببصيرة نافذة الدور الحضارى للفلسفة العربية الاسلامية ، وأهميتها وتأثيرها على غيرها من الفلسفات سواء الغربية فى العصور الوسطى ، وتأثيرها على الرشدين اللاتين توماس الاكوينى وسيجردي برابات . أو تتلمذ الفلاسفة اليهود العرب على المسلمين فى بغداد وقرطبة والأندلس والقاهرة . أن القيام بالدور الذى قام به علماء الفرق الاسلامية الذين تناولوا بالدرس والتحليل والنقد الفرق غير الاسلامى هو أحوج ما نحتاج إليه أن مواصلة جهد الشهر ستانى وابن حزم والبيرونى هو الدور الذى ينبغى علينا القيام به من أجل تصحيح تاريخنا الفكرى . وتوسيع هذا المنظور الضيق لتاريخ الفلسفة العربية الاسلامية يقتضيها إزالة الحواجز - الحواجز - التخصصية وغير التخصصية - بين الفلسفات قديمها وحديثها وعقد المقارنات بين مراحلها المختلفة وموضوعاتها المتباينة أى النظرة المتصلة لتاريخ الفلسفة .

(ج) النظرة المتصلة لتاريخ الفلسفة : وإزالة الحواجز بين عصورها المختلفة : القديمة والوسيطه والحديثة والمعاصرة ، بل أننى أزعم أن مثل هذه النظرة مقدمة لتاريخ شامل للفلسفة لا يقتصر على بلد معين مثلما فعل متس فى تاريخه للفلسفة الإنجليزية فى مائة عام أو جان فيل وينروبي فى تاريخهما للفلسفة الفرنسية أو لوسكى فى تاريخ الفلسفة الروسية ، بل يجب

علينا كتابة تاريخ للفلسفة يشمل كل التيارات وتمثل فيه الفلسفة الإسلامية نسيجاً أصيلاً بحث لا يكتفى المؤرخ بذكرها هامشياً في أقل من فصل واحد - لا يتجاوز عشر صفحات - مع الفلسفة اليهودية كما فعل رسل في كتابة ذا الثلاث مجلدات عن تاريخ الفلسفة الغربية .

وقد قدم ماسنيون بذور صالحة تماماً لذلك في المقارنات العديدة التي تسرى في كل صفحات المحاضرات . فمع أرسطو نجد أخوان الصفا ، ومع الأشعري وتلاميذه نجد ديكارت وتلاميذه ، ومنهج الكشف عند الغزالي هو عينه منهج بسكال ، ولا يتقل النظام عن منهج اليونان بل يستخدمه ويوظفه للقول بالطفرة . « في المنطق : قياس أخيلس والسلحفاة عند زينون شكله في فلسفة النظام الطفرة (أى النجاة بالعمل عن الاستحالة العقلية) . ونجد قياس الكذب من أهل كربت (مغالطة السفسطائية) نجدها في رد جعفر بن حرب - ٣٤٨ على الثنوية . . راجع البدء للمقدسى » . ونجد اعتراضات ابن الصائغ على بطليموس . ومقارنة نظرية برجمون في الزمن مع نظرية محمد بن زكريا الرازي . بل أن أفكار بعض الناصخية مثل ابن يانوش وابن حائط تقرب من مذاهب الروحيين . ومذهب وحدة أو وجود عند ابن عربي نجده عند الغربيين وهكذا .

وبالطبع نحن لا نقصد ضئيد فكرة من هنا تشبه فكرة من هناك ، بل ننبه إلى أن العرض المعاصر للفلسفة الإسلامية قد يجد موضوعات هامة أكثر حيوية وحدائه بين طيات الالفاظ والمصطلحات التقليدية القديمة والدراسة الخاصة بالمصطلح الفلسفى نشأته وتطوره منذ اللفظ اليونانى المنقولة للعربية أو السريانية ، ثم تحديد هذا المصطلح وبقائه أو هجره ونسيانه ، وتطور هذا المصطلح وأرتباط بتطور الترخة ثم أستقراره مع بداية الانتاج الفكرى الفكرى العربى الاسلامى فى جوانبه المختلفة هو المقدمة الأساسية للمشروع المستقبلى الذى يتناول الالفاظ وردالاتها الحضارية مثلما فعل الفارابى فى المبادرة لنا ثانية وهى مسألة ربما تتجاوز تاريخ الفكر إلى جزئه الواقع السياسى نفسه . ونقصد بالمبادرة هنا مشاركتنا مرة أخرى فى الإسهام الفلسفى بحثاً

وابداعاً ودراسة وتأريخاً أى قيامنا بالعمل ثانية وتحويلنا من مشاهدين إلى مشاركين . فقد قام المستشرقون فترة طويلة من الزمان بالعمل على مادة جاهزة خاصة بنا تولوها العناية والتحقيق والدراسة فى نطاق حضارتهم هم . واهتمامهم العلمى والسياسى والاستعمارى خدمة لانفسهم ، إلا أن ماقوا به من عمل وما توصلوا إليه من نتائج تعبر عن واقعهم الخاص - وأهتماماتهم الذاتية خدمة لاهدافهم التى تختلف تماماً عن أهداف الباحثون الوطنيون . لقد أنتجوا وابداعوا على هامش كتاباتنا القديمة مثلما فعل ديتريش على أنوان الصفا « رسائل أخوان الصفا طبع بمباى ثم طبع منها مقتبسات العالم الالمانى ديتريش Dieterici فصحح الطبعة الهندية وبخـجـ اقتباسان فى مجلدين » . وصحح فإن فلوتن (مفاتيح العلوم للخوارزمى لبدن ١٨٩٥ . وكتاب كشف المحجوب للهجوبرى ترجم إلى الإنجليزية - وطبع باجتهاد العلامة المستشرق نيكلسون Nichalson فى مجموعة جب وكتاب ابن العربى فى اصطلاحات الصوفية طبعة فلوجل الالمانى على ماهش كتاب التعريفات للأجرجانى . وكتاب الكاشمالى طبعة Splenger هذا ما ذكره ماسنيون المستشرق الفرنسى الذى عمل بدوره على كتابات الحلاج ويمكن أن نذكر العديد من الأعمال الأخرى للدلالة على قيام المستشرقين بالعمل على مادتنا القديمة واكتفائنا نحن بالفراءة وعلى تمكّنهم من الإلمام بترائنا وغيابنا نحن عن الساحة .

وقد أن الآوان الآن للمسح الكامل لتراثنا واعادة اكتشاف المخبوء ومداومة تحقيقه ونشره وإبراز مواطن القوة فيه وعرضه بالطريقة الحديثة به ولتكن تلك البداية الحقيقية للباحث الوطنى الذى يمعن فى الإلمام بالمناهج المعاصرة من أجل فهم وأحياء المادة القديمة تحقيقاً للروية المستقبلية للفكر العربى .

الهوامش والملاحظات :

- (١) نعتد في هذه الدراسة على محاضرات ماسينيون التي القاها بالجامعة الأهلية . بمصر ١٩١٢ - ١٩١٣ . وللأسف لا توجد أية نسخة منهما بمكتبة جامعة القاهرة التي هي امتداد للجامعة الأهلية. وما اعتمدنا عليه هو نسخة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة وهي «صورة» ونسخة ماسينيون نفسه وهي الاصل لنسخة المعهد إلا أنها أكل منها من حيث الهوامش التعليقات المثبتة بخط ماسينيون ، وهذه النسخة موجودة لدى الدكتور عثمان يحيى . نظراً لأن الأرقام واحدة منهما فسنشير إلى الصفحات تحديد الا في حالات الإشارة للزيادة فنذكر نسخة د . عثمان يحيى . أنظر ماسينيون : محاضرات في تاريخ الاصلاحات الفلسفية العربية (المخطوط) ص ١ .
- (٢) ماسيدون : المصدر السابق ص ١٠٧ .
- (٣) المصدر السابق ص ٣ .
- (٤) المصدر نفسه ص ٤ .
- (٥) أنظر صفحات ٨٣ - ٨٥ من محاضرات ماسينيون .
- (٦) أنظر الصفحات من ٨٥ حتى ٩٧ .
- (٧) المصدر نفسه ص ١ .
- (٨) نفس المصدر ص ١١٠ .
- (٩) د . مهدي علام : المجمعيون ، المطابع الأميرية القاهرة ١٩٦٦ ص ١٥٢ - ١٥٤
- (١٠) أنظر مجلة المجمع العلمي العراقي ؛ المجلد الثاني ١٩٥٢ ص ٣٩٤ .
- (١١) د . مهدي علام . المصدر السابق ص ١٥٣ - ١٥٤ .
- (١٢) أنظر في بنروبي : مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا ج ١ ترجمة د . عبد الرحمن بدرى - مكتبة الانجلو المصرية ط ١ القاهرة ١٩٦٤ ص ٨ - ٩ .
- (١٣) ماسينيون : المحاضرات ص ٢ .
- (١٤) ماسينيون : ص ١ .
- (١٥) ماسينيون : ص ١
- (١٦) ماسينيون : ص ٢ .
- (١٧) نفس المصدر . : ص ٢ .
- (١٨) د . إبراهيم مذكوي : مع الخالدين ، المطابع الأميرية ، القاهرة ١٩٨١ ص ١٠٥ ، « ماسينيون المجمعى » في الكتاب التذكاري عن ماسينيون الذي أصدرته جامعة القاهرة ١٩٨٤ ص ٣٦ .
- (١٩) ماسينيون : ص ٣ .
- (٢٠) نفس الموضع .

- (٢١) المصدر السابق ص ٧٠ .
- (٢٢) د. مذكور : « ماسينيون المجمعى » ص ٣٥ وما بعدها .
- (٢٣) ماسينيون : المحاضرات ص ١٠٣ .
- (٢٤) المصدر نفسه ص ٩٢ - ٩٣ .
- (٢٥) المصدر نفسه ص ١٠٤ .
- (٢٦) نفس المصدر ص ١ .
- (٢٧) اندريه لالند (١٩٦٣ - ١٩٦٧) فيلسوف واستاذ فلسفة فرنسى ، أسس وشارك في الجمعية الفلسفية الفرنسية . أهم أعماله « المعجم النقائى الفنى للمصطلحات الفلسفية » درس بجامعة القاهرة . أنظر عنه بى بى ج ٢ ص ٨٠ - ١١٥ . د . نجيب بلدى . الفلسفة واللغة ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية المجلد ٤ لسنة ١٩٤٨ ص ١٨٠ - ١٩٢ .
- (٢٨) ماسينيون ص ٧٠ .
- (٢٩) ماسينيون ص ٣٧ .
- (٣٠) ماسينيون ص ١٠ .
- (٣١) ماسينيون ص ٢ .
- (٣٢) ماسينيون ص ٥٢ .
- (٣٣) ماسينيون ص ١٠٤ .
- (٣٤) ماسيليون ص ٣ .
- (٣٥) يمكن الرجوع إلى الدراسات المختلفة عن الفلسفة الشرقية خاصة ما كتبه بول ماسون أو رسيل ، محمد غلاب . كذلك كتب تاريخ العلم والحضارة ، سارتون ول ديورانت حيث نجد التأكيد على وجود مثل هذا النظر العقلى (المنطقى) لدى الشعوب الشرقية .
- (٣٦) د . محمد مصطفى حلمى : مقدمة تقديم ترجمة الخضيرى لكتاب ديكارت « المقال فى المنهج » ط ٢ دار الكاتب العربى بالقاهرة ص ٤٧ .
- 37 — André Lalande : Vocabulaire Technique et Critique De la philosophie, Presses Universitaires De France, 13e edition, 1980.
- (٣٨) ماسينيون ص ٢ .
- (٣٩) نفس المصدر ص ٥ .
- (٤٠) الموضع السابق .
- (٤١) ماسينيون ص ٤ .
- (٤٢) ماسينيون ص ٥ .
- (٤٣) ماسينيون ص ٦ .
- (٤٤) الموضع السابق .
- (٤٥) الموضع السابق .
- (٤٦) يعتمد ماسينيون هنا على الرسالة القشيرية وفى المواد التى كتبها بدائرة المعارف الإسلامية : خراز - الشبلى .

- (٤٧) يذكرها ماسينيون في مواد : غراز - الشبل - سهل الترى - الترمذى - زهد - حلول .
- (٤٨) أنظر مادة الشبل بدائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ج ١٣ ص ١٦٥ ، مادة شطح .
- (٤٩) أنظر دائرة المعارف الاسلامية ج ٨ ص ١٨١ (زاهد) ، ج ١٠ ص ٤٥ حيث يعتمد على الفتوحات المكية .
- (٥٠) ابن سينا : رسالة الحدود ، رسائل في الحكمة والطبيعات ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ١٢٩٨ هـ ص ٧٠٠٥ .
- (٥١) التهانوى : كشف اصطلاحات الفنون ، تحقيق د . لطفى عبد البديع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة .
- (٥٢) د . عبد الرحمن بدوى : مقدمة ترجمته لكتاب بلاثيوس : ابن عربى ، الانجلوالمصرية - القاهرة ١٩٦٥ .
- (٥٣) أمين واصف بك :
- (٥٤) قارن يوسف كرم ، يوسف شلالة ، مرار وهبه : المعجم الفلسفى ، مراد وهبه : المعجم الفلسفى ط ٣ ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٨٠ ، القاهرة ١٩٨٠ ، راجع مقدمات وهبه لطبعات المعجم الفلسفى المختلفة .
- 55 — Concise Encyclopedia of Western Philosophy and Philosophers.
- أشرف على ترجمتها وراجعها وأضاف اليها شخصيات اسلامية د . زكى نجيب محمود ، والانجلو المصرية . القاهرة ١٩٦٣ .
- (٥٦) د . أمام عبد الفتاح : دراسات هيجلية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع . القاهرة . ١٩٨٥ ص ٣٧٧ - ٤٠٦ والمنهج الجدلى (الخاتمة) دار المعارف القاهرة .
- (٥٧) د . جميل صليبا : المعجم الفلسفى في جزئين ، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان . ط ١ ٧١ - ١٩٧٣ .
- (٥٨) د . محمد عزيز الجبائى : المعين في مصطلحات الفلسفة والعلوم الإنسانية دار الكتاب المغربى ج ١ ١٩٧٧ .
- (٥٩) د . محسن زيادة (محرر) : الموسوعة الفلسفية العربية معهد الانحاء العربى ج ١ بيروت . ١٩٨٦ .
- (٦٠) نخص بالذكر هنا دراسته (بحث في نشأة المصطلح الفنى في التصرف الاسلامى) ، باريس ١٩٢٢ .
- (٦١) أنظر هامش ٥٥ .
- (٦٢) ماسينيون : محاضرات ص ١ .
- (٦٣) نجد نص هذه المحاضرات في اعداد الشعب القديمة ، ديسمبر ١٩١٢ ويناير وفبراير ١٩١٣ .

(٦٤) ستيلا ، مستشرق ايطالى درس بالجامعة الاهلية ١٩١١ « محاضرات في تاريخ المذاهب الطبقية » .

(٦٥) الكونت دى جلارزا : مستشرق اسباني عاش بالقاهرة دروس لمدة طويلة بالجامعة الاهلية سنوات ١٩١٤ - ١٩٢٠ وبمدرسة المعلمين العليا بالقاهرة ، نشر جزء من محاضراته في كتابين عن الفلسفة العامة وتاريخها ١٨-١٩١٩ ، الفلسفة العامة وتاريخها ١٩-١٩٢٠ .

(٦٦) سلطان بك محمد : درس بمدرسة الحقوق بالقاهرة وعمل مدرساً بدار العلوم ثم انتدب للجامعة الاهلية ومن كتبه : « الفلسفة العربية » و « الاخلاق » القاهرة ١٣٢٩ هـ . « الدروس المنطقية » المدارس الثانوية ، « دروس البلاغة » بالاشتراك مع حفي ناصف .

(٦٧) الدكتور على أحمد العناني : استاذ بالجامعة الاهلية ودار العلوم .

(٦٨) الدكتور منصور فهمي (١٨٨٦ - ١٩٥٩) ولد بالدقهلية والتحق بمدرسة الحقوق العليا ، وارسل في أولى بعثات الجامعة الاهلية إلى باريس للحصول على الدكتوراه في الفلسفة وكانت عن « حالة المرأة في الاسلام » عاد للتدريس بمدرسة المعلمين ، وعين أستاذ للفلسفة بكلية الآداب ثم عميداً لها ومديراً لدار الكتب المصرية .

(٦٩) ماسينيون ج ١ ، وهامش جانبي ص ٩٩ .

(٧٠) د . طه حسين : أستاذي وصديقي ماسينيون « الكتاب التذكاري لوفاة ماسينيون دار السلام القاهرة ١٩٦٢ .

(٧١) ماسينيون : محاضرات ص ١ .

(٧٢) درس توفيق حامد المرعشل بالجامعة الاهلية مع طه حسين وكانا تلميذين لماسينيون ، والمحاضرات التي بين ايدينا هي حصيلة كتابته لمحاضرات ماسينيون . وكان ضمن سبعة حصلوا على الدكتوراه من الجامعة الاهلية ، عمل مدرساً بالثانوية الثانوية . أول من ادخل درس التربية الوطنية بالمدارس المصرية عام ٢٥-١٩٢٦ . كتب في التاريخ والتعاونيات كتب عديدة .

(٧٣) ماسينيون : محاضرات ص ١ ، ص ١٠١ .

(٧٤) يذكر ماسينيون ارسطو في محاضراته صفحات ٢ ، ٤ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٩٤ ، ٩٩ .

(٧٥) ويذكر ارسطو في صفحات كثيرة لم يذكرها في الفهرس النهائي .

(٧٦) ماسينيون : محاضرات ص ٢ .

(٧٧) المصدر السابق ص ١٩ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٧٩ .

(٧٨) نفس المصدر ص ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٥٤ ، ٧٩ ، ٧٧ ، ٨٦ .

(٧٩) نفس المصدر ص ٧ .

(٨٠) نفس المصدر ص ٨ .

(٨١) الموضع السابق .

- (٨٢) نفس الموضع .
- (٨٣) المصدر ، نفسه ص ٥ .
- (٨٤) نفس المصدر ص ٦٩ . وانظر ترجمة د . حسين حنفى لرسالة اسينو في اللاهوت والسياسة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة .
- (٨٥) ماسينيون محاضرات ص ٧٧ .
- (٨٦) أنظر صفحات ٢ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ٩٨ ، و ص ٢٩ ، ٥٤ ، ١٠٥ حيث يذكره مرتين .
- (٨٧) ماسينيون ص ١٨ .
- (٨٨) المصدر نفسه ص ٢٩ .
- (٨٩) المصدر نفسه ص ٢٩ .
- (٩٠) المصدر نفسه ص ٢٨ .
- (٩١) المصدر نفسه ص ٣٧ .
- (٩٢) المصدر نفسه ص ٣٨ .
- (٩٤) المصدر السابق . ص ٥٣ .
- (٩٥) المصدر السابق ص ٦٩ .
- (٩٦) نفس المصدر ص ٧٤ .
- (٩٧) نفس المصدر ص ٧٩ .
- (٩٨) نفس المصدر ص ٧٨ .
- (٩٩) انظر ترجمة د . عثمان أمين لتأملات ديكارت . الانجلو المصرية القاهرة .
- (١٠٠) ماسينيون ص ١٠٥ .
- (١٠١) المصدر السابق ص ٦٨ .
- (١٠٢) نفس المصدر ص ٨٥ - ٨٨ .
- (١٠٣) نفس المصدر ص ٨٦ .
- (١٠٤) نفس المصدر ص ٩٣ .
- (١٠٥) نفس المصدر ص ٤٥ .
- (١٠٦) نفس المصدر ص ٤٦ .
- (١٠٧) نفس المصدر ص ٧٢ ، ٥٥ .
- (١٠٨) المصدر السابق ص ٢٧ .
- (١٠٩) نفس المصدر ص ٦١ .
- (١١٠) نفس المصدر ص ٦٥ .
- (١١١) نفس المصدر ص ٤٧ .
- (١١٢) المصدر السابق صفحات ١ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٧ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠٥ .

- (١١٣) المصدر السابق ص ٦ ، ٥٧ ، ٦٢ .
- (١١٤) ماسينيون : دائرة المعارف الاسلامية ج ١١ ص ٦٩ ، ٧٢ .
- (١١٥) الموضع السابق ص ٧١ ، ج ١ ص ٤٥٢ .
- (١١٦) اخلص ماسينيون للحلاج ، ورأى فيه صورة نفسه وكتب عنه دراسات عديدة .
- أهمها رسالته للدكتوراة عن الآلام الحلاج ١٩٢٢ .
- (١١٧) ماسينيون : محاضرات ٥٨ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٩٢ .
- (١١٨) المصدر السابق ص ١١٠ .
- (١١٩) الموضع نفسه .
- (١٢٠) نفس المصدر ص ٦٧ .
- (١٢١) المصدر السابق ص ٣٧ .
- (١٢٢) المصدر السابق ص ٩٣ .
- (١٢٣) المصدر نفسه ص ١٠١ - ١٠٣ .
- (١٢٤) ماسينيون ، جب : مصير الاسلام . محمد عبد الهادي أبوريث القاهرة ١٩٣٤ .
- ص ٥ .

- (١٢٥) ماسينيون : محاضرات ص ٩٨ .
- (١٢٦) المصدر نفسه ص ٩٨ .
- (١٢٧) د . توفيق صدق عمل فترة مع رشيد رضا ، وكتب في المنار حول تفسير الكتب المقدسة التاريخ الديني والحديث (السنة النبوية) محاولا تفسير هذا التاريخ تفسيراً اجتماعياً بما أوجد خلافاً بينه وبين رشيد رضا .
- (١٢٨) تتلمذ ماسينيون على الالوس الذي افاده كثيراً ابان فترة وجوده بالعراق . انظر مقدمة تحقيق عدنان الدوري لكتاب الالوس (اتحاد الامجاد في ما يصح به الاستشهاد) ص ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٨ مطبعة الارشاد بندا ١٩٨٢
- (١٢٩) ماسينيون محاضرات ص ٤٤ .
- (١٣٠) المصدر السابق ص ١٠٥ .
- (١٣١) الموضع نفسه .
- (١٣٢) الموضع السابق ، ويبدو ان زكي مبارك اعتمد في رسالته للدكتوراه عن الغزالي على المقارنة التي عقدها ماسينيون بين الغزالي وبسكال . انظر زكي مبارك : التصوف والاخلاق . عند الغزالي ط ، مؤسسة دار الشعب القاهرة .
- (١٣٣) ماسينيون : محاضرات ١٠٥ .
- (١٣٤) المصدر السابق ، وابو الوفا التفتازاني : المدخل إلى التصوف الاسلامي دار الثقافة . للتشريع والتوزيع بالقاهرة .
- (١٣٥) يحتاج اعلام التيار العلمي في الفكر العربي إلى دراسات مستفيضة لبيان دورهم في الفكر العربي المعاصر .

- (١٣٦) اسماعيل ادهم مفكر مصري من اصل تركي حصل على الدكتوراه في العلوم من ألمانيا حول نظرية النفسية كتب في تاريخ الرياضيات العربية ، وتاريخ محمد محولا تفسير التاريخ الديني تفسيراً مادياً ، اتسعت اهتماماته لتشمل الادب العربي الحديث مكتبته عن أهم اعلامه .
- (١٣٧) مثل مواد : زنديق - الزنج - الحلاج - شطح - حلول ، بدائرة المعارف الإسلامية . أنظر هامش ١١٦ ، الاصول الشيعية للأسرة المستوزرة بين الفرات ، الخبئي والعصر الاسماعيل في الاسلام ، كتب القرامطة . بحوث عن الشيعة المبطرقة في بغداد .
- (١٣٨) ماسينيون : محاضرات ص ٢١ .
- (١٣٩) المصدر السابق ص ٣٧ .
- (١٤٠) يرجع هذا التحديد إلى تاريخ الغاء المحاضرات عام ١٢-١٩١٣ .
- (١٤١) ماسينيون : ص ٤٠ .
- (١٤٢) المصدر السابق ص ٢٢ .
- (١٤٣) المصدر نفسه ص ٨١ .
- (١٤٤) المصدر نفسه ص ٨٢ .
- (١٤٥) تقصد الفصل الذي كتبه في كتابه المشترك مع هاملتون جب : « مصير الاسلا .
- (١٤٦) ماسينيون المحاضرات ص ٤٥ .
- (١٤٧) نفس المصدر ص ٤٤ .
- (١٤٨) نفس المصدر صفحات ٢٩ - ٣١ - ٣٨ - ١٠٥ .
- (١٤٩) المصدر السابق ص ١٠٥ .

من كُنَايَاتِ الأَعْدَادِ فِي الْعَرَبِيَّةِ
إعداد الدكتور وهبة متولى عمر سالمه
كلية التربية للبنات بحجة

الكناية لغة مصدر كنى عن كذا يكنى كناية : تكلم بما يستدل عليه ولم يصرح ، وقد كنى بكذا عن كذا فهو كان ، وكنى الرجل بأبى فلان . وأبا فلان كنية سماه به ، ويقال تكنى فلان . : ذكر كنيته عند الحرب . ليعرف وهو من شعار المبارزين ، وتكنى بكذا تسمى والكنية ما يجعل علما على الشخص غير الاسم واللقب نحو أبى الحسن وأم الحسن وأم الجير وتكون بمصدره يلفظ أب أو أم وتستعمل مع الاسم واللقب أو بدونهما تفخيما لشأن صاحبها أن يذكر اسمه مجردا وربما كنى الولد تفاولا ، وقد كنى بعض أجناس من الحيوان ، فلأسد أبو الحارث وللضبع أم عامر .

والكناية في علم البيان لفظ أطلق وأريد منه لازم معناه مع وجود قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي كقولك زيد طويل النجاد ، أى علاقة السيف كناية عن طول قامته ، ويصح أن يراد المعنى الحقيقي .

والمراد في هذا البحث الكناية عن عدد مبهم ومما يكنى به عن ذلك في اللغة العربية ألفاظ منها ما يلي :

أولا : كم :

كم كناية عن عدد مبهم وهى اسم دليل اسميتها الإسناد إليها وعود الضمير عليها نحو : كم رجلا حضر ؟ ودخول حرف الجر عليها نحو على كم جذع

(المعجم الوسيط) : مجمع اللغة العربية بالقاهرة (كنى صحتكى ، كنية) .

(١) كتاب سيبويه تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ٢-١٥٦ - ١٧١ وشرح الأشموني

سقطت بيتك ؟ وتسليط عوامل النصب عليها نحو : كم كانت دراهمك ؟
وكم يوما صمت ؟ وكم فرسخاً سرت ؟

وهي في حالتها أعنى الاستفهامية والخبرية أشد إبهاماً من أسم العدد ،
لأن أسمى يدل على العدد نصاً ، ولا يدل على جنس المعداد ، والأمران في
كم مبهمان ، فاقتقارهما إلى ميمز أشد من افتقار أسم العدد وفي البسيط أن
بعض النحويين ذهب إلى أن كم الخبرية حرف للتكثير في مقابلة رب ،
ويرده ، ماسبق من دليل أسميتها .

والجمهور على بساطة كم ، وذهب الكسائي والفراء إلى أن كم
بوجهيها مركبة من كاف التشبيه وما الاستفهامية وحذفت ألفها كما تحذف
مع سائر حروف الجر نحو : بم ؟ ولم ؟ وعم ؟ وكثر الاستعمال لها فأسكنت
ميمها ، وحدث لها بالتركيب معنى غير الذي كان لكل واحد من مفرديهما
كما قال التحويون في لولا وهلا .

وتستعمل كم على وجهين :

استفهامية بمعنى أي عدد ، وهي صالحة لقليل العدد وكثيرة .

وخبرية بمعنى عدد كثير وكل منهما تفتقر إلى تميز .

وحاشية الصبان عليه ٤-٥٧-٦٣ وشرح ابن عقيل وحاشية الخضرى عليه ٢-١٤١-١٤٢ ،
شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ٢-٢٧٩-٢٨١ وشرح المفصل لابن
يعيش ٤-١٢٥ ، ومعنى اللبيب لابن هشام ص ٢٤٣ : ص ٢٤٩ - (طبع بيروت) ومع
المواضع للسيوطى ١-٢٥٤ ص ٢٥٥ .

(٢) شرح التمهيل لابن عقيل - المساعد على تمهيل الفوائد لبهاء الدين بن عقيل على كتاب
التمهيل لابن مالك تحقيق د. محمد كامل بركات ٢-١٠٦ (بتصرف) جامعة أم القرى .

(٣) مع المواضع شرح جمع الجوامع للسيوطى ٢-٧٥ (دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت) .

(أ) كم الاستفهامية :

تميزها يكون مفردا منصوبا وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله :

ميز في الاستفهام كم يمثل ما ميزت عشرين ككم شخصاً سما
أما أفراد تميزها فلازم على رأى جمهور البصريين خلافاً للكوفيين ،
فأنهم يجيزون جمعه مطلقاً ، وفصل بعضهم فقال : إن كان السؤال عن
الجماعات نحوكم غلمانا لك ؟ إذا أردت السؤال عن أصناف الغلمان جاز ،
ولاً فلا وهذا مذهب الأنخفش .

وذهب البصريون إلى أن ما أوهم الجمع بعد كم الاستفهامية يجعل حالا ،
ويجعل التمييز محذوفاً ففى قولك كم عبيدا ملكت ؟ التقدير : كم نفسا ملكت
فى حال كونهم عبيدا أى مملوكين وإذا قلت كم لك غلمانا ؟ فالتقدير :
كم نفسا استقروا لك فى حال كونهم غلمانا أى خداما ، ولو قلت كم
غلمانا لك ؟ لم يتمش هذا التخريج إلا على رأى الأنخفش فى تجويز تقديم
الحال على عاملها المعنوى .

قال ابن السراج : ولم يجز يونس والخليل : كم غلمانا لك ؟ لأنك
لا تقول أعش ون غلمانا لك ؟ إلا على وجه لك مائة أيضاً ، وعليك راقود
خلا ، فإن أردت هذا المعنى قلت كم لك غلمانا ؟ ويقبح أن تقول كم
غلمانا لك ؟ لأن (لك) سبب نصب غلمان ، ولا يجوز أن يتقدم عليها ،
كما لم يجز زيد قائماً فيها ، وقد بينا أن العامل إذا كان معنى لم يجز أن يتقدم
معموله عليه .

وقال السيرافى ماملخصه : كم فى الاستفهام تنصب لاغير ، أما إذا
قلنا كم غلمانا لك ؟ لم يجز لأنك إن نصبت غلمانا على التمييز لم يجز لأن كم

(١) شرح الأشموني لألفية ابن مالك وحاشية الصبان عليه ٤-٨٥ (ط مصطفى محمد
بمصر)

(١) الأصول فى النحو لآبى بكر محمد بن سهل بن السراج تحقيق د . عبد الحسين الفغل
١-٣٢٢ (ط مؤسسة الرسالة - بيروت) .

في الاستفهام لا يميز الا بواحد كعشرين وإن نصبها على الحال لم يجوز لأن العامل (لك) . وهي مؤنخوة فإن قلت (لك) جاز كما يجوز عبد الله فيها قائما .

وأما نصب تمييز كم الاستفهامية ففيه ثلاثة مذاهب :

أحدها : أن نصبه لازم ، ولا يجوز جره مطلقاً ، وهذا مذهب بعض النحويين .

والثاني : أن نصبه ليس بلام بل يجوز جره مطلقاً حملاً على تمييز كم الخبرية وإلى هذا ذهب الفراء والزجاج والنيرافي .

والثالث : أن نصبه لازم إن لم تدخل على كم حرف جر فإذا دخل عليها حرف جر ترجح نصبه وجاز جره وهذا هو المذهب المشهور ولم يذكر سيبويه جواز تمييزها إلا إذا دخل عليها حرف جر حيث قال : وسألته (يعني الخليل بن أحمد) عن قولهم : على كم جذع بيتك بني ؟ فقال : القياس النصب ، وهو قول عامة الناس ، وأما الذين جروا فلأنهم أرادوا معنى (من) ولكنهم حذفوها ههنا تخفيفاً على اللسان وصارت (على) عوضاً منها .

وإلى هذا المذهب أشار ابن مالك بقوله :

وأجز ان تجره من مضمر إن وليت كم حرف جر مظهر

فيجوز في نحو : بكم درهم اشتريت هذا الثوب (نصب درهم وهو الأرجح ، ويجوز جره أيضاً ، وفي جره قولان : أحدهما أنه مجرور بمن مضمر وهو مذهب الخليل وسيبويه والفراء وخماعة من النحويين . والثاني :

(٢) كتاب سيوبه تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ٢-١٦٠ المامش رقم ١ (دار الكاتبة العربي للطباعة والنشر - القاهرة) .

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

أنه مجرور بالإضافة وهو مذهب الزجاج ورد بأن كم بمنزلة عدد مركب والعدد المركب لا يعمل الجبر في مميزه فكذا ما كان بمنزلة قاله ابن خروف (١) .

والظاهر منع ظهور (من) عند دخول حرف الجر على كم ، وهذا هو المشهور لأن حرف الجر الداخِل على كم عوض من اللفظ بمن المضمرة وقيل يجوز نحو : بكم من درهم اشتريت ثوبك ؟

ولا يجوز حذف تمييز كم الاستفهامية إلا للدليل نحو : كم مالك ؟ أى كم درهماً أو ديناراً ؟ وكم سرت ؟ أى فرسخاً أو يوماً قال تعالى :

« قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم » - الكهف الآية ١٩ - قال المفسرون إنهم دخلوا الكهف صبيحاً وبعثهم الله في آخر النهار فلما استيقظوا ظنوا أن الشمس قد غربت فقالوا لبثنا يوماً ثم رأوها لم تغرب فقالوا أو بعض يوم، وما دروا أنهم ناموا ثلاثمائة وتسع سنين (٢) . أو ديناراً ؟ وما أشبه ذلك .

قال أبو بكر بن السراج (٣) وتقول كم زيد قائم؟ وبكم ثوبك مصبوغ؟ تريد : كم مرة أو ساعة زيد قائم ؟ وما أشبه ذلك وبكم درهماً أو ديناراً ثوبك مصبوغ ؟ وما أشبه ذلك .

وقال أبو القاسم الزجاجي (٤) وإذا وقع بعد كم معرفة رفعتها وأضمرت التمييز كقولك كم مالك ؟ وكم غلمانك ؟ وكم ثوبك ؟ فكم مرفوع بالابتداء والخبر الأسماء المرفوعة بعدها والتقدير كم درهماً مالك ؟ وكم غلاماً غلمانك ؟ وكم ذراعاً ثوبك ؟ فقس عليه نصب إن شاء الله .

(١) التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ٢ - ٧٩ (ط عيسى البابى الحلبي وشركاه بمصر) .

(٢) شرح التسهيل لابن عقيل ٢ - ١٠٦ ص ١٠٧ .

(٣) الأصول في النحو لابن السراج ١ - ٣٢٤ .

(٤) كتاب الجمل في النحو لأبي القاسم الزجاجي تحقيق د. على توفيق الحيد ص ١٣٨

(ط ١ مؤسسة الرسالة - بيروت) .

(ب) كم الخبرية :

كم الخبرية أسم دال على عدد مجهول الجنس والمقدار وتقيد التكثير ولهذا تستعمل غالباً في مقام الافتخار والتعظيم وتحتاج إلى تمييز وتمييزها تارة يكون جمعاً مجروراً كميز عشرة وتارة يكون مفرداً مجروراً كميز مائة ، وإلى ما تقدم أشار ابن مالك بقوله :

واستعملتها خبراً كعشره أو مائة ككم رجال أو مره
تقول : كم غلمان ملكت ، وكم ثوب لبست ، وتمييزها بالمفرد أكثر
من تمييزها بالجمع وقال بعض النحويين إن تمييزها بالجمع شاذ وهي في
الحالتين للتكثير عند المبرد ومن بعده من النحاة وخالف أبو بكر بن طاهر
وقلميزه ابن حروف فزعم أنها للتقليل والتكثير كرب وقال انه مذهب
سيبويه والكسائي .^(١)

قال الفرزدق يهجو حريراً :

كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت على عشاري

يروى هذا البيت يجر (عمة وخالة) على أن كم خبرية وهي مبتدأ
وخبرها جملة (قد حلبت) وأفرد الضمير جملاً على لفظ كم ، أو أفراد
الضمير لأن التاء للجماعة لأن عمة وخالة في معنى عمات وخالات .

ويروى هذا البيت أيضاً بنصب (عمة وخالة) ورفعها ، أما نصبهما
فقليل إن لغة بني تميم تنصب تمييز كم الخبرية إذا كان مفرداً وسفرزدق تميمي .

(١) للشرح التمهيل لابن عقيل ٢ - ١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) البيت من شواهد سيبويه ٢ - ١٢٦ (تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون) والأشموني
٥٨-٤ ومغنى اللبيب لابن هشام ص ٢٤٥ (طبع بيروت) والمجمع للسيوطي ١-٢٥٤ والدور
الوامع للشنقيطي ١-٢١١ والفدعاء : المعوجه الرسغ من اليد أو الرجل والعشار جمع عشاء
وهي الناقة التي أتي على حملها عشيرة الهر .

وقيل كم استفهامية تدل على التهم أي أخبرني يا جرير بعدد عماتك وخالاتك
اللاتي كن يخدمني فقد نسيت .

وأما من رفعهما فعلى أن (عمة) مبتدأ وسوغ الابتداء بالنكرة أنها
موصوفة بقوله (لك) والخبر (قد حليت) وخبر (نخالة) محذوف
تقديره : قد حليت وكم على هذا الوجه ظرف أو مصدر والتمييز محذوف
والتقدير : كم وقت أو كم حلبة .

تنبيهات :

١ - أفراد تميز كم الخبرية أكثر وأفصح من جمعه ، وجمعه ليس بشاذ
كما زعم بعضهم وقيل الجمع على معنى الواحد فقولك كم رجال على معنى
كم جماعة من الرجال .

٢ - ذهب البصريون إلى أن حر تميز كم الخبرية بإضافة كم إليه على
الصحيح إذ لا مانع من الإضافة وذلك خلافاً لما على ما هي مشابهة له من العدد
الصريح وذهب الكوفيون إلى أن جره بمن مقدرة لأنه لما كثر دخول
من على تميز كم الخبرية جاز تركها قال تعالى (كم من فئة قليلة غلبت فئة
كثيرة بإذن الله) سورة البقرة الآية ٢٤٩ .

واحتج الكوفيون على أن تميز كم الخبرية مخفوض بمن المقدرة بالنقل
والقياس أما النقل فقط قال الشاعر :

كم بجود مقرف نال العلا وكريم بخله قد وضعه

(١) شرح الأشموني وحاشية الصبان عليه ٤-٥٩ ، ٦٠ والإنصاف في مسائل الخلاف
لأبي البركات الأنباري تحقيق الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد ١-٣٠٣ - ٣٠٩ ، توضيح
المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي تحقيق د . عبد الرحمن علي سليمان ٤-٣٢٨
٣٣٢ (الناشر مكتبة الكليات الأزهرية) وشرح أبيات سيويه لأبي جعفر النحاس تحقيق
(٢) هذا البيت من شواهد سيويه ٢-١٦٧ وشرح أبيات سيويه لأبي جعفر النحاس
تحقيق د . وهبة مشولى عبر ص ٢٣١ الناشر مكتبة الشباب بالمنيرة بالقاهرة . والإنصاف ص ٣٠٣

فخفض (مقرف) بمن مقدرة مع الفصل بينا وبين كم بالجاء والمجرور .

وقال آخر :

كم في بني بكر بن سعد سيد ضخم الدسيعة ما جدد نفع

الشاهد فيه خفض (سيد) بمن مقدرة مع الفصل بينه وبين كم

وأما القياس فلأن خفض الاسم بعد كم في الخبرية بتقدير (من) لأنك إذا قلت كم رجل أكرمت وكم امرأة أهنت كان التقدير فيه كم من رجل أكرمت وكم من امرأة أهنت والمعنى يقتضى هذا التقدير وهذا التقدير مع وجود الفصل بالظرف والجار والمجرور كما هو مع عدم وجوده فكما ينبغي أن يكون الاسم مخفوضا مع عدم الفصل كذلك منع وجوده .

وقال البصريون إن كم الخبرية هي العاملة فيما بعدها الجر لأنها بمنزلة عدد مضاف إلى ما بعده وإذا فصل بينهما بظرف أوجار ومجرور بطلت الإضافة لأن الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف أو الجار والمجرور لا يجوز في اختيار الكلام فعدل إلى النصب لامتناع الفصل بينهما وما استشهد به الكوفيون لاحتاجة فيه لأنه ضرورة ولا يقاس عليه .

والأشعري ٤-٥٩ والجمع ١-٢٥٥ ، الدرر الامع ١-٢١٢ وذكر الأستاذ عبد السلام هارون في تحقيقه لكتاب سيويه أن قائله أنس بن زعيم أو عبد الله بن كريز أو أبو الأسود الدؤلي والمقرف الذى أبوه عجمي وأمه عزييه ، والكريم الذى أبوه وأمه عريبان ، والوضيع الحسيس وأراد بالمقرف الذى ليس له أصالة من جهة أبويه واستثيد سيويه بالبيت على جواز الرفع والنصب والجر في قوله (مقرف) فالرفع على جعل كم ظرفا لتكثير المرات ويرتفع بالابتداء وما بعده خبر والتقدير كم مرة مقرف نال العلا والنصب على التمييز لقبج الفصل بين كم وما عملت فيه والجر على جواز الفصل بين كم وما عملت فيه بالمجرور ضرورة وموضع كم في التقديرين الأخيرين رفع بالابتداء والتقدير كثير من المقرفين نال العلا بجوده .

(١) هذا البيت من شواهد سيويه ١-٢٩٦ (ط بولاق) والأشعري ٤-٥٩ والأنصاف ١-٣٠٤ ورواية سيويه (كم في بني سعد بن بكر سيد) ورواية الأعم (كم في بني بكر بن عمرو سيد) والدسيعة : المطبوعة ويقال هي الحفنة والمعنى أنه واسع اجمروف وأنه ما جد شريف .

وقال البصريون إن حرف الجر لا يجوز أن يعمل مع الحذف وإنما يجوز أن يعمل حرف الجر مع الحذف في مواضع يسيرة على خلاف الأصل إذا حذف مع وجود عوض أو بدل كعمل رب مخلوقة بعد الواو والفاء .

٣- شرط جر تمييز كم الخبرية بالإضافة عند البصريين الاتصال فإن فصل بينهما نصب التمييز خلا على تمييزكم الاستفهامية فإن ذلك جائز في السعة وقد جاء تمييزكم الخبرية مجرورا مع الفصل بينهما بالظرف أو الجار والمجرور كقول الشاعر :

كم دون مية مومة يهال لها إذا تيممها الحرث ذو الجلد
فوماة تمييز كم الخبرية وهو مجرور وفصل بينهما بالشظرف .
وقول الشاعر :

كم بجود مقرف نال العـلا وكريم بخله قد وضعه
فمقرف تمييز كم الخبرية وهو مجرور وفصل بينهما بالجار والمجرور .

والصحيح أن جر تمييزكم الخبرية مع الفصل بينهما بالظرف أو الجار والمجرور خاص بالشعر وذهب الكوفيون إلى جواز ذلك في الاختيار وقيل يجوز جر التمييز إذا فصل بينهما بناقص نحو : كم اليوم جائع أتاني ، وكم يك مأخوذ جاءني ولا يجوز الجر إذا فصل بينهما بتمام وهو مذهب يونس ، فإن كان الفصل بينهما بجملة أو بظرف وجر ومجرور معا تعين النصب عند البصريين ، فالأول كقول الشاعر :

كم نالني منهم فضلا على عدم إذ لا أكاد من الإقتار أجتمل

(١) نسب هذا البيت إلى ذي الرمة ومية اسم محبوبته ومومة بفتح الميم وسكون الواو المفازة يهال بالبناء للمجهول يفزع منها وتيسرها قصدها ، الحرث بكسر الحاء وتشديد الراء الحاذق الماهر (. شرح الأثموني لألفيه ابن مالك وحاشية الصبان عليه ٤-٥٩) .
(١) قائله القطب وهو من شواهد سيويه والعدم : فقد المال والإقتار : الافتقار

ففضلا تميزكم الخبرية وفصل بينهما بجملة (نالئ) .

والثاني كقول الآخر :

توأم سنانا وكم دونسه من الأرض محدود باغارها
فحدودبا تميزكم الخبرية وفصل بينهما بالظرف والجار والمجرور .

مواضع اتفاق كم الاستفهامية والخبرية :

تنفق كم الاستفهامية والخبرية في أمور منها :

الأول : كونهما كنايةتين عن عدد مجهول والمقدار .

والثاني : الاحتياج إلى التمييز لأن كلا منهما كناية عن عدد مجهول .

الثالث : كونهما اسمين خلافاً لمن زعم أن الخبرية حرف ودليل
اسميئها الإسناد إليها وعود الضمير عليها وتسليط عوامل النصب عليها .

وأجتمعت بالجيم أجمع العظام لاستخراج جميلها أي رسمها ويروى (احتمل) بالحاء المهملة أي لا أستطيع
الارتحال لطلب الرزق لضيق، يقدح الشاعر ، هؤلاء بأنهم أفضلوا عليه أيام فقرة وحالته .
والشاهد فيه نصب (فضلا) على التمييز لوجود فاصل بينه وبين كم الخبرية، يجوز رفعه على
أنه فاعل للفعل (نالئ) على أن تجعل كم ظرفا لتكثير المراتم التقدير كم مرة نالئ منهم
فصل (سيويه تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ٢-١٦٥ ، الأشمونى ٤-٥٩ ، والجمع ١-٢٥٥
والدر اللوامع ١-٢١٢) زبزيبيويه لأبي جعفر النحاس تحقيق د. وهبة متولى عمر .
ساله ص ٢٣٠ (ط نهضة مصر) .

(٢) من شواهد كتاب سيويه ونسب فيه إلى زهير ولكن الأستاذ عبد السلام هارون.
ذكر أن البيت ليس في ديوانه .

والشاهد فيه نصب قوله (محدوديا) على أنه تميزكم الخبرية اقبح الفصل بينهما بالظرف
والجار والمجرور سيويه يوجب نصبه حيثلذ إلا للضرورة والغاز : الغائر وهو المطمئن من
الأرض وجعله محدودبا لما يتصل به من آكام (سيويه تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون
٢-١٦٥ - الإنصاف ٣٠٦ والإشمونى ٤-٥٩ واللسان (غور) . وشرح أبيات سيويه لأبي
جعفر النحاس تحقيق د. وهبة متولى عمر ساله ص ٢٣٠ (ط نهضة مصر) .

(١) معنى اللبيب لأبن هشام ص ٢٢٤ (طبع بيروت) والتصريح على التوضيح للشيخ
خالد الأزهرى ٢-٢٧٩ وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ابن مالك المرادى ٤-٢٣٢
وشرح الأشمونى ٤-٦٠ .

الرابع : كونهما مبنيتين ، وبنيت كم الاستفهامية لتضمنها معنى حرف بالاستفهامية لفظاً ومعنى إذ هي لعدد مبهم كالاستفهامية وقال الشلوين : بنيت لتضمنها معنى حرف الكثرة الذي كان حقه أن يوضع وهو نظير ما قاله ابن مالك في أسماء الإشارة ورد ابن هشام قول الشلوين بأنه لا يعرف لأحد ولا نظير له في كلامهم والقياس لا يعطيه لأن التضمين فرع الوجود فما لم يوجد لا تضمن كلمة معناه

الخامس : كون البناء فيهما على السكون وهو الأصل في البناء .

السادس : أنهما يلزمان صدر الكلام أما الاستفهامية فلزومها صدر الكلام واضح وأما الخبرية فللحمل على رب فلا يعمل فيها ما قبلها إلا المضاف وحرف الجر ولهذا امتنع النصب في نحو زيد كم ضربته وزيد كم دراهم أعطيته لأن ما لا يعمل لا يفسر عاملاً وحكى الأنخفش أن بعض العرب يقدم العامل على كم الخبرية فيقول : ملكت كم غلام ، ولكن هذه اللغة من القلة بحيث لا يقاس عليها .

قال ابن هشام : (١) قول ابن عصفور في قوله تعالى (أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون) — السجدة الآية ٢٦ — إن كم فاعل مردود بأن كم لها الصدارة وقوله إن ذلك جاء على لغة رديئة حكاهم الأنخفش عن بعضهم أنه يقول : ملكت كم عبيد فيخرجها عن الصدرية خطأ عظيم إذ خرج كلام الله سبحانه على هذه اللغة وإنما الفاعل ضمير اسم الله سبحانه أو ضمير العلم أو الهدى المدلول عليه بالفعل أو جملة (أهلكنا) على القول بأن الفاعل يكون جملة إما مطلقاً ، أو بشرط كونها مقترنة بما يعاق عن العمل والفعل قلبي نحو ظهر لي أقام زيد .

السابع انهما يشتركان في وجوه الإعراب :

فكم بقسميها إن تقدم عليها حرف جر نحو بكم درهم اشتريت هذا ؟

(١) معنى اللبيب لابن هشام ص ٢٤٤ (طبع بيروت) .

أو تقدم عليها مضاف نحو غلام كم رجلا ضربت؟ ورقبة كم أسير ملكت؟
 فهي في محل جر ، وإلا فإن كانت كناية عن مصدر أو ظرف فهي في محل
 نصب على المصدر أو الظرف نحو كم ضربة ضربت زيدا ؟ وكم طعنات
 طعنت؟ وكم ميلا سرت؟ وكم يوم صمت؟ وإلا فإن لم يلها فعل نحو كم درهما
 عندك؟ وكم درهم عندي ، أو وليها وهو لازم نحو كم رجلا قام ؟ وكم حاج
 طاف بالبيت ، أو متعد رفع ضميرها أو سببية نحو كم رجلا ضرب عمرا؟
 وكم رجلا ضرب أخوه عمراً ؟ ففي هذه الأحوال كلها تعرب (كم)
 في محل رفع مبتدأ . وإن وليها فعل متعد ولم يأخذ مفعوله فهي في محل نصب
 مفعول به نحو كم جزءا قرأت ؟ وكم رجال صحبت ؟ وإن كان بعدها
 فعل متعد أخذ مفعوله فهي مبتدأ نحو كم رجلا ضرب زيد عمرا عنده؟
 إلا أن — يكون المفعول به ضميرا يعود عليها فيجوز في كم حينئذ الرفع
 على الابتداء والنصب على الاشتغال نحو كم رجلا ضربته ؟ .

مواضع اختلاف كم الاستفهامية عن كم الخبرية :

تختلف كم الاستفهامية عن كم الخبرية في أمور منها (١) :

أحدها : أن الكلام مع الخبرية يحتمل التصديق والتكذيب لأنه خبر ،
 والأخبار تحتمل الصدق والكذب ، بخلاف الاستفهامية لأن المتكلم بهامشيء
 والإنشاء لا يحتمل ذلك .

الثاني : أن المتكلم بالخبرية لا يستدعي من مخاطبة جوابا لأنه خبر ،
 والمتكلم بالاستفهامية يستدعي الجواب لأنه مستخبر ، والأجود في جوابها
 أن يكون على حسب موقعها من الأعراب ، ولو رفع مطلقا لجاز .

الثالث : أن الاسم المبدل من كم الخبرية لا يقترن بهمزة الاستفهام
 لأن الكلام خبر لا يضمن معنى الاستفهام بخلاف المبدل من كم الاستفهامية

(١) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمراي ٤-٣٣٣ ، ٣٣٤ وشرح
 الأشموني لألفية ابن مالك ٤-٦٠ ، ٦١ وشرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى
 ٢- ٢٨٠ ومعنى اليب لابن هشام ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ (طبع بيروت) .

فإنه يجب اقترانه بهمزة الاستفهام ، نقول في الخبرية : كم رجال في الدار
عشرون بل ثلاثون ، وتقول في الاستفهامية : كم مالك ؟ عشرون أم
ثلاثون ؟ فكم في موضع رفع بالابتداء ومالك خبره عند سيبويه ، وعند
الأنخفش بالعكس وأعشرون بدل من كم وأم عاطفة وفيها معنى الاستفهام
وتسمى معادلة للهمزة وثلاثون معطوف على عشرون .

الرابع : أن تميزكم الخبرية أصله الجر ، وتميزكم الاستفهامية واجب
النصب ، ولا يجوز جره إلا إذا دخل على كم حرف جر .

الخامس : أن تميزكم الخبرية يكون مفردا أو جمعا ، وتميز الاستفهامية
لا يكون إلا مفردا خلافا للكوفيين .

السادس : أن كم الخبرية تختص بالزمن الماضي كرب ، ولهذا لا يجوز
أن يقال كم غلمان سأملكهم ؟ كمالا يجوز أن يقال : رب ضيوف
سأكرمهم ، لأن التكثير والتقليل يكونان فيما عرف حده ، والمستقبل
مجهول ، ويجوز في الاستفهامية أن يقال : كم جزءا ستحفظه ؟ لأن الاستفهام
لطلب تعيين المجهول .

عود الضمير على كم :

قال ابن يعيش : اعلم أن كم اسم مفرد مذكر يعبر به عن كل معدود
كثيرا كان أو قليلا وسواء في ذلك المذكر والمؤنث ، فقد صار لها معنى
ولفظ وجرت في ذلك مجرى كل وأى ومن وما في أن كل واحد منها له
لفظ ومعنى فلفظه مفرد مذكر وفي المعنى يقع على المؤنث والمثنى والجمع
فإذا عاد الضمير إلى كم من جملة بعدها جاز أن يعود نظارا إلى اللفظ ،
وجاز أن يعود خلا على المعنى فتقول : كم رجلا جاءك ؟ فتفرد الضمير
وتذكره حالا على اللفظ ولو قلت : جاءك بلفظ التثنية أو جاءوك بلفظ
الجمع لجاز حالا على المعنى ، وكذلك في المؤنث تقول : كم امرأة جاءك ؟
حالا على لفظ وجاءتك وجاءتك وجئتكم حالا على المعنى ، قال الله تعالى :

« وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً - النجم من الآية ٢٦ -
فجمع الضمير نظراً إلى المعنى ، وقال « وكم من قرية أهلكناها » - الأعراف
من الآية ٤ - فأنت الضمير حلاً على المعنى لأن كم مفسرة بقرية ولو جاء
على اللفظ لقال أهلكناه (١) .

وقال ابن السراج (٢) : تقول : كم امرأة قد قامت ، ولا يجوز أن تقول :
كم امرأة قد قمن ، لأن المعنى كم من مرة امرأة قد قامت ، فإن كان امرأة
مبينة فقلت : كم امرأة قد قامت ، جاز أن تقول قامت وقمن لجعل الفعل
مرة على لفظ المفسر ومرة على معنى كم قال الله عز وجل « وكم من ملك
في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً - النجم من الآية ٢٦ - فردّه إلى معنى
كم وقال جل ثناؤه « وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً » - الأعراف
الآية ٤ - فجاء على لفظ المفسر فإدخال من وإخراجها واحد ، لأنك تريد
التفسير .

ثانياً : كأي (٣) :

من كنايات الأعداد كأي ، وهى أسم مركب من كاف التشبيه وأى
المنونة ، ولذلك جاز الوقف عليها بالنون لأن التنوين لما دخل في التركيب
أشبه النون الأصلية ولهذا رسم في المصحف نوناً ولكونها صارا كلمة واحدة
لم تتعلق الكاف بشيء قبلها من فعل ولا معنى فعمل كما لا تتعلق في كأن
وكذا بشيء لأن حرف الجر لا يعلق عن العمل ، وقيل الكاف زائدة
قاله ابن عصفور لأنك تريد بها معنى التشبيه ولكنها لازمة ، وقيل : هى

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٤-١٣٢ ، ١٣٣ (باختصار) .

(٢) الاصول في النحو لابن السراج - الجزء الأول مبحث كم - ١-٣٢٣ .

(٣) شرح الفية ابن مالك للمرادى ٤-٣٣٤ - ٣٣٩ ، وشرح التصريح على التوضيح
للشيخ خالد الأزهرى ٢-٢٨١ وشرح التسهيل لابن عقيل ٢-١١٥ - ١١٩ وشرح المفصل
لابن يعيش ٤-١٣٤ - ١٣٦ ومعنى اللبيب لابن هشام ص ٢٤٦ ، ص ٢٤٧ (ط بيروت)
ومع الهوامع للسيوطى ١-٢٥٥ ، والدرر اللوامع للشنقيطى ١-٢١٢ ، ٢١٣ .

هي اسم بسيط واختاره أبو حيان ، قال : ويدل على ذلك تلاعب العرب في لغاتها .

ومن شواهدا في القرآن الكريم قوله تعالى : « وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير » - آل عمران الآية ١٤٦ - وقوله : « وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » - سورة يوسف الآية ١٠٥ - وقوله « وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكتهم فلا ناصر لهم » - سورة محمد الآية ١٣ - .
وتوافق كأي كم الخبرية في أمور ، منها :

١ - البناء .

٢ - والإيهام .

٣ - وإفادة التكثير .

٤ - والافتقار إلى التمييز .

٥ - ولزوم التصدير .

وتجالف كأي لم في أمور ، منها :

١ - أنها مركبة من كاف التشبيه وأى المنونة و لم بسيطة على الصحيح كما تقدم .

٢ - أن ميم كأي مجرور بمن غالباً حتى زعم ابن عصفور لزوم ذلك ويرده قوله سيوييه : كأي رجلا قد رأيت زعم ذلك يونس وكأين قد أثنى رجلا ، إلا أن أكثر العرب إنما يتكلمون بها مع من .

ثم قال سيوييه ، فإنما ألزموها من لا توكيد ، فجعلت كأنها شيء يتم به الكلام وصار كالمثل ومثل ذلك ولا سيما زيد (أى في لزوم ما الزائد للتوكيد قرب توكيد لازم حتى يصير كأنه من الكلمة) .

أما تمييز ثم الخبرية فمجرور بالإضافة .

ومن مجيء تمييز كأي منصوباً قول الشاعر :

اطرد اليأس بالرجا فكأي ألما حم يسره بعد عسر (١)

٣- أنها لا تقع مجرورة خلافاً لأبن قتيبة وابن عصفور حيث أجازا :
بكأي تدع هذا الثوب ؟ قال أبو حيان ويحتاج دخول حرف الجر عليها إلى
سماع ولا ينبغي القياس على ثم الخبرية لأن ذلك يقتضي أن يضاف إليها
كم ، ولم يحفظ من كلامهم (٢) .

٤- أنها لا تقع استفامية عند الجمهور خلافاً لأبن قتيبة وابن عصفور
وابن مالك ، واستدل ابن مالك لذلك بقول أبي بن كعب لعبد الله بن مسعود
رضي الله عنهما - كأي تقرأ سورة الأحزاب آية ؟ فقال : ثلاثاً وسبعين .

٥- إذا وقعت مبتدأ لا يخبر عنها إلا بجملة فعلية مصدره بماض أو
مضارع نحو قوله تعالى : « وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير » - آل
عمران الآية ١٤٦ - وقوله « وكأين من آية في السموات والأرض يمرون
عليها » - سورة يوسف الآية ١٠٥ - قال أبو حيان : قد استقرأت ما وقعت
فيه فوجدت الخبر فيه لا يكون إلا كذلك ولم أقف على كونه أسماً مفرداً
ولا جملة أسمية ولا فعلية مصدره بمستقبل ، ولا ظرفاً ولا مجروراً فينبغي
ألا يقدم على شيء من ذلك إلا بسماع من العرب (٣) .

وتقع كأي مبتدأ ومفعولاً ، قال في البسيط وخبراً ، والقياس يقتضي
وقوعها ظرفاً ومصدرراً وخبراً لكان مثل ثم الخبرية (٤) .

(١) لم أشر على قائله والشاهد فيه إتيان ألما بالنصب تمييز الكأي واليأس : القنوط
والرجا الأمل وقصر للضرورة ، وحسم بالبناء للمجهول ، قدر يقول : لا تقنط وترج حصول
الفرج بعد الشدة فكمن من فقير معدم قدر الله غناه بعد فقره (معنى اللبيب لابن هشام ص ٢٤٧
ط بيروت) .

(٢) جمع الهوامع للسيوطي ٧٦-٢ .

(٣) المرجع السابق ٧٦-٢ .

(٤) شرح التمهيد لابن عقيل ١١٧-٢ .

ومن اللغات التي وردت في كأي مايلي (١) :

الأولى : كأي المركبة من كاف التشبيه وأى المنونة وهي أفصحها
وبها قرأ السبعة إلا عبد الله بن كثير .

الثانية : كأبن بالالف بعد الكاف وهمزة مكسورة منونة وبها قرأ ابن
كثير وورد كثيراً في الشعر قال عمرو بن شأس :

وكائن رددنا عنكم من مدجج يحىء أمام الألف يردى مقنعاً (٢).

الثالثة : كأ محذف الألف وهمزة مكسورة منونة بعد الكاف وهذه
اللغة حكاها أبو الحسن ابن كيسان .

الرابعة : كى بياء ساكنة بعد الكاف وهمزة مكسورة منونة وهذه اللغة
حكاها المبرد والأصل كى بتقديم الياء المشددة على الهمزة ثم خففت الياء .

الخامسة : كأي بهمزة ساكنة بعد الكاف وياء مكسورة خفيفة منونة ،
وهي مقلوبة من كىء وبها قرأ ابن عيصن وحكاها ابن كيسان والأعلم .

ثالثاً : كذا (٣) :

من كنايات الأعداد (كذا) ويكنى بها عن العدد القليل والكثير .

(١) شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٤-٦٣ وشرح التسهيل لابن عقيل ٢-١٧١ ، ١١٨
وشرح المفصل لابن يعيش ٤-١٣٦ .

(٢) من شواهد سيبويه ٢-١٧٠ وشرح أبيات سيبويه لأبي جعفر النحاس ص ٢٣٢
ومع الموامع للسيوطي ١-٢٥٦ والدرر اللوامع للشنقيطي ١-٢١٣ والشاهد فيه إتيان كائن
بمعنى كم الخبرية مع الإتيان بعدها بمن جارة للتمييز والمدجج لابس السلاح يردى : يمشى
والرديان مشى فيه تبختر ، والمقنع الذى تقنع بالسلاح كالقبضة ونحوها يقول : كم رددنا
عن عشرتنا في الحرب من مدجج بارز لم .

(٣) كتاب سيبويه تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ٢-١٧٠ ، ١٧١ وشرح الأشموني
لألفية ابن مالك ٤-٦٢ ، ٦٣ وشرح ألفية ابن مالك للمرادى ٤-٣٣٦ ، ٣٣٧ ، وشرح
التسهيل لابن عقيل ٢-١١٥ - ١١٩ ، وشرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى
٢-٢٨١ .

وتوافق كذا كأي في أربعة أمور .

توافقها في التركيب فإنها مركبة من كاف التشبيه وذا الإشارية وكأي مركبة من كاف التشبيه وأي المنونة كما تقدم وتوافقها في البناء وفي الإبهام وفي الافتقار إلى التمييز .

وتخالفها في ثلاثة أمور :

١ - أنها ليس صدر الكلام تقول قبضت كذا وكذا درهما .

٢ - أن تميزها واجب النصب فلا يجوز جره بمن اتفاقاً ، ولا بإضافة بخلاف الكوفيين حيث أجازوا في غير تكرار ولا عطف أن يقال : اشتريت كذا ثوب وكذا أثواب بالجزم قياساً على العدد الصريح وقال فقهاؤهم يلزمه يقوله : له عندي كذا درهم يلزمه مائة ويقوله : كذا دراهم يلزمه ثلاثة ويقوله كذا وكذا درهماً يلزمه أحد عشر ويقوله كذا درهماً يلزمه عشرون ويقوله كذا وكذا درهماً يلزمه واحد وعشرون وذلك خلا على العدد الصحيح من نظائرها ووافقهم في غير مسألتى الإضافة المبرد والأخفش وابن كيسان والسيرافي وابن عصفور وجاء في شرح التسهيل لأبن عقيل وليس لهم في هذا سماع أستندوا إلى الرأي لا الرواية ثم قال ومذهب جمهور البصريين أن التمييز لا يكون إلا مفرداً منصوباً كيف كانت كذا ، أريد بها عدد قليل أو كثير وإليه ذهب الفارسي مرة وزعم أبن عصفور أن ما اختاره مذهب البصريين (١) .

٣ - أن كذا لا تستعمل غالباً إلا معطوفاً عليها مثلها كقول الشاعر :

عد النفس نعمى بعد بوئسالك ذاكرأ

كذا وكذا لطفاً به نسي الجهد (٢)

(١) شرح التسهيل لابن عقيل ٢-١١٩ .

(٢) هذا البيت من شواهد الأثني ٤-٦٢ ومثله اللبيب ٤٨ ، ومعجم الجامع ١-٢٥٦

لم ينسب إلى قائله الشاهد فيه استعمل كذا معطوفاً عليها مثلها لكونها كناية عن عدد والإتين بتمييزها مفرداً منصوباً .

وزعم ابن خروف أنهم لم يقولوا كذا درهماً ولا كذا درهماً بدون عطف ، وقال ابن مالك في التسهيل : وقل ورود كذا مفرداً أو مكرراً بلا واو وذلك يدل على ورود الأمرين ولم يذكر لهما شاهداً (١) .

وجاء في لسان العرب : قولهم كذا كناية عن الشيء تقول فعلت كذا ، وكذا يكون كناية عن العدد (٢) فتنصب ما بعده على التمييز تقول : له عندي كذا وكذا درهماً كما تقول له عندي عشرون درهماً . أ هـ .

والله ولي التوفيق . . .

الدكتور : وهبة متولى عمر سالمه

كلية التربية للبنات - بحجة

(١) شرح الفية ابن مالك للحرادى ٤-٣٣٧ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ٢٠ - ٨١ مائة كذا) .

مراجع البحث

- ١ - الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج تحقيق د. عبد الحسين الفتلي (ط مؤسسة الرسالة بيروت) .
- ٢ - الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد (ط السعادة بالقاهرة) .
- ٣ - تحصيل عين الذهب . . . في علم مجازات العرب (شرح شواهد كتاب سيبويه) للأعلم الشتمري هامش كتاب سيبويه - مطبعة بولاق .
- ١ - توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن لك للمردى تحقيق د. عبد الرحمن علي سليمان (الناشر مكتبة الكليزات الأزهرية) .
- ٥ - الجمل في النحو لأبي القاسم الزجاجي تحقيق د. علي توفيق الحمد (ط ١ مؤسسة الرسالة بيروت) .
- ٦ - حاشية الخضري على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك (ط دار احياء الكتب العربية بمصر) .
- ٧ - حاشية الصبان على للرح الأشموني لألفية ابن مالك (ط مصطفى محمد بمصر) .
- ٨ - الدرر اللوامع على مع الهوامع للشنقيطي (دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت) .
- ٩ - كتاب سيويه تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون (ط دار الكاتب في القاهرة) نسخة أخرى من كتاب سيويه - مطبعة بولاق .
- ١٠ - شرح أبيات سيبويه لأبي جعفر النحاس تحقيق د. وهبه متولي عمر سالمه (ط ١ الناشر مكتبة (الشباب بالمنيرة بالقاهرة) ط نهضة مصر بالقاهرة) .
- ١١ - للرح الأشموني لألفية ابن مالك (ط مصطفى محمد بمصر) .
- ١٢ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (ط دار احياء الكتب العربية بالقاهرة) .
- ١٣ - شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى (ط عيسى الحبي وشركاه بمصر)
- ١٤ - شرح المفصل لابن يمين (مكتبة المتنبي بالقاهرة) .
- ١٥ - لسان العرب لابن منظور (ط بيروت) .
- ١٦ - المساعد على تسهيل القوائد لابن عقيل على كتاب التسهيل لابن مالك تحقيق د. محمد كامل بركات (جامعة أم القرى بمكة المكرمة) .
- ١٧ - المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
- ١٨ - معنى اللبيب لابن هشام تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي نمد الله (ط بيروت) .
- ١٩ - مع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي (دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت) .

الحياة النيابية والمشاركة السياسية في مصر من عام

١٩٢٣ - ١٩٥٢

د. وجيه عتيق

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

بكلية الآداب - جامعة القاهرة

هناك علاقة وثيقة بين المشاركة السياسية ومفهوم الديمقراطية ، فكلما اتسعت قاعدة المشاركة السياسية من قبل الشعب ، عبر ذلك على مدى ادراك الشعب لمفهوم الديمقراطية . وقد فرضت قضية المشاركة السياسية للشعب المصري نفسها على المهتمين بالحياة النيابية في مصر وعلى المشتغلين بالسياسة فيها ، خاصة منذ أصبح النظام السياسى فى البلاد يقوم على أساس تعدد الأحزاب وحرية تكوينها وممارسة نشاطها بين جماهير الشعب المصري .

وتمر الحياة الحزبية الآن في مصر بمرحلة دقيقة للغاية ، وقد سمح الدستور الأخير (المادة ٥) بعودة الحياة الحزبية في مصر منذ الغائها في أعقاب ثورة ١٩٥٢ .

لأننا إذا قلنا أنه على ضوء نجاح أو فشل هذه التجربة الجديدة سوف يتحدد مستقبل مصر السياسى كله ، وسوف ينعكس هذا بالطبع على حياة الشعب المصري سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعلى علاقة هذا الشعب بشعوب العالم الاخرى ، ومن هنا تأتى أهمية دراسة « موقف المصريين من الانتخابات النيابية في الفترة من ١٩٢٣ إلى ١٩٥٢ » كأهم مظهر من مظاهر المشاركة السياسية للشعب المصري لتحديد موقفه من النظام السياسى القائم . والمشاركة السياسية للشعب في أى دولة مستقلة يمكن تعريفها ببساطة بأنها ذلك الدور الذى يلعبه الشعب في اختيار النظام السياسى لتلك الدولة ، وهى السلطة السياسية التى يكفلها الدستور في إطار النظام الديمقراطي الذى يطبق في تلك

الدولة ، والعبرة هنا ليست بما ينص عليه الدستور نظرياً بل العبرة بما يحدث عملياً وبما تسمح به الحكومة القائمة ، ومدى إتاحة الفرصة أمام الشعب دون أدنى تدخل لكي يمارس حقه الذي كفله له الدستور .

ولعل القضية الهامة التي تطرح نفسها أيضاً تكمن في الممارسة الصحيحة للحياة النيابية من قبل الأحزاب السياسية ، وفي مدى التزام النواب الذين اختارهم الشعب بالنزاهة والنضج في ممارسة العمل النيابي ، وهو ما يمكن أن نسميه بالمسئولية النيابية، والتي على ضوءها يتحدد لنا إلى أي مدى أصاب الشعب قدراً من النجاح في المشاركة السياسية التي تبدأ أول ما تبدأ عندما يقوم الشعب بممارسة حقه في اختيار نوابه وحكومته من خلال انتخابات حرة ، ثم تظهر بعد ذلك الدلائل على نجاح الحياة النيابية تحت قبة البرلمان ، سواء من خلال حكومة شعبية متفهمة لاحتياجات الديمقراطية أو معارضة جادة موضوعية . وعلى ضوء هذه الدلالات سوف تحدث المتغيرات الإيجابية المنتظرة في سلوك ومفاهيم وقيم الإنسان المصري .

ولا نتصور نجاحاً للتجربة النيابية الحالية في ظل تعدد الأحزاب دون الاستفادة من دروس التجربة الحزبية قبل عام ١٩٥٢ ، ولا نتصور تطويراً لهذه . التجربة دون تفادي سلبيات التجربة السابقة ، ومن هنا تأتي الحاجة لمعرفة موقف المصريين من الانتخابات النيابية قبل عام ١٩٥٢ .

وفي الواقع فإن موقف المصريين من الانتخابات يعطى الكثير من الدلائل والمؤشرات التي لا نستطيع أن نخض البصر عنها ونذكر أهمها : -

أولاً : أن الشعب المصري بحسه السياسي الواعي يزد من فعالية مشاركته في الانتخابات عندما تكون خالية من كل وسائل التدخل وتتميز بالمنافسة الشريفة ، والعكس صحيح فإن الشعب يتقاعس حتى عن ممارسة حقه في التصويت عندما يحس أن الانتخابات ليست أكثر من إجراء شكلي تتخذه السلطة لأسباب سياسية دون أن تضع هذه السلطة في الاعتبار أهمية الدور الذي يلعبه هذا الشعب في الانتخابات ، والممارسة النيابية نفسها أثبتت

أنه لاهياة نياوية سليمة دون أن تكون هناك انتخابات حرة شارك فيها جماهير الناخبين مشاركة قوية .

ثانياً : أن جماهير الناخبين تدلى بأصواتها للأحزاب التي تلمس ان نوابها تخدم قضايا المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بكل أمانة ، والشعب يقف بحماس بجانب الأحزاب التي يشعر فيها انها تحقق آماله وترفع من مستوى معيشته ، والعكس فان الشعب يدير ظهره للأحزاب التي يلمس فيها الانتهازية .

كان النظام السياسي للمجتمع المصري قبل عام ١٩٥٢ ، بما يتضمنه من وجود ملك ووزارة وبرلمان ، يتأثر بالوجود الانجليزي ، وكان لهذا الوجود أثره الكبير في رد فعل الشعب المصري وفي البرلمان وخوله . وكان الصراع يدور بين الشعب المصري والملك ، وبين الشعب المصري والنفوذ الانجليزي حول الدستور والحياة النيابية ، وكان البرلمان يتكون من مجلسين مجلس الشيوخ ومجلس النواب (المواد ٧٣ وما بعدها من دستور ١٩٢٣) .

فمجلس الشيوخ كان يتألف من أعضاء يعين الملك خمسينم ويتتخب الثلاثة أخماس الباقون بالاقتراع العام حسب دستور ١٩٢٣ ، ثم عدلت هذه القاعدة في دستور ١٩٣٠ فأصبح الملك يعين الثلاثة أخماس من أعضاء المجلس ويتم انتخاب خمسينم من قبل الشعب .

أما مجلس النواب فكان يتألف من أعضاء منتخبين جميعهم بالاقتراع العام سواء في عهد دستور ١٩٢٣ أو في ظل دستور ١٩٣٠ .

ولذا فسوف تقتصر دراستنا على موقف المصريين من الانتخابات النيابية وليست الانتخابات البرلمانية ككل ، أي أن هذه الدراسة تبحث في مدى المشاركة السياسية للمصريين في انتخابات مجلس النواب ، حيث أن هناك سمة واضحة يلاحظها دارس تاريخ مصر السياسي ألا وهي ان مجلس النواب كان له الدور الأكبر والأهم في الحياة السياسية في مصر قبل عام ١٩٥٢ ، وكان مجلس النواب أشد تأثيراً في الحياة البرلمانية ، كما كانت الجماهير أكثر

تفاعلاً واهتماماً بمجلس النواب ، الذى كان أبعد عمقا فى نفوسها من مجلس الشيوخ .

والسبب الأول فى ذلك هو أن أعضاء مجلس النواب يتم انتخابهم جميعهم من قبل جماهير الناخبين ، أى أن الشعب هو الذى اختاره من خلال حقه الدستورى لكى يصبحوا نوابه ، وكان الشعب يمارس حقه فى انتخاب هؤلاء النواب بحماس شديد فى أغلب الأحيان ، هذا عكس مجلس الشيوخ الذى كان الملك يقوم بتعيين جزء كبيرا من أعضائه سواء رضى الشعب المصرى عنهم أم لم يرض ومن هنا فإن انتخابات مجلس النواب تعتبر المؤشر الصادق والمعبر عن حقيقة موقف الشعب المصرى من الحياة السياسية فى مصر قبل عام ١٩٥٢ سواء اقبالا أو احجاما ، خاصة وأنه دستوريا كان حزب الأغلبية فى مجلس النواب يشكل الحكومة ، وبالتالي كان للشعب دوره الهام فى اختيار حكومته الشعبية . وعلينا ان نطرح بعض التساؤلات قبل الدخول فى تفاصيل الموضوع ومن أهم هذه التساؤلات .

١ - الكشف عن موقف الجهات الادارية تجاه سلوك الشعب المصرى فى الانتخابات ، والعوامل التى دفعت بعض الوزارات إلى التدخل والضغط والتزوير فى الانتخابات .

٢ - هل كانت المجالس النيابية التى تكونت فى الحقبة الليبرالية تعكس بصدق موقف المصريين من الانتخابات التى جرت ؟ .

٣ - إلى أى مدى كان الوعي السياسى لدى الشعب المصرى تجاه النظام النيابى ملحوظا من خلال موقفه فى انتخابات مجلس النواب سواء كان ذلك الموقف ايجابياً بالمشاركة الشعبية فى هذه الانتخابات أو سلبياً بمقاطعتها ؟ . وما هو أثر شخصية الزعيم فى سلوك جماهير الناخبين ، ومدى انعكاس ذلك على نتائج الانتخابات النيابية .

فى الفترة من عام ١٩٢٣ إلى ١٩٥٢ جرت عشرة انتخابات نيابية وهى فترة لا تتجاوز تسعة وعشرين عاما ، طبق دستور ١٩٢٣ خلال ٢٥ عاما

تقريباً ، وطبق دستور ١٩٣٠ لمدة أربعة أعوام ، في ظل دستور ١٩٢٣ جرت تسع انتخابات ، اثنان منها كانتا على مرحلتين من خلال مندوبين ، وسبع انتخابات جرت على أساس القانون رقم ٤ لسنة ١٩٢٤ الذى جعل الانتخابات بواسطة الناخبين مباشرة ، وقد ظل هذا النظام هو الأساس المعمول به للانتخابات فى ظل دستور ١٩٢٣ حتى عام ١٩٥٢ . أما فى ظل دستور ١٩٣٠ فقد جرى انتخاب واحد فقط طبقاً لنظام الانتخابات غير المباشرة ، أى من خلال المندوبين .

وقد يكون من المفيد ان نستعرض أهم الملاحظات على أشهر ثلاث قوانين للانتخابات صدرت خلال الحقبة الليبرالية ، والتي على أساسها مارست هيئة الناخبين حقوقها الدستورية فى اختيار النواب أمام صناديق الاقتراع .

أولاً : بالنسبة لقانون الانتخابات الصادر فى ٣٠ أبريل عام ١٩٢٣ .

١ - تم الانتخاب طبقاً لهذا القانون بطريق غير مباشر أى على مرحلتين ففي المرحلة الأولى انتخب كل ثلاثين ناخباً مندوباً عنهم اشترط أن يكون سنه ٢٥ عاماً كحد أدنى ، وفى المرحلة الثانية قام هؤلاء المندوبون الثلاثيون بانتخاب عضو مجلس النواب فى دائرتهم ، بمعنى ان هيئة الناخبين لم يسمح لها باختيار نوابها مباشرة ، بل ان ناخبي الدرجة الثانية أو المندوبين كانوا هم اصحاب القرار فى ترجيح كفه احد النواب المرشحين على الآخر دون أن يكون للقاعدة العريضة من جماهير الناخبين أى تأثير على سير الانتخابات أو نتائجها ، وكانت هذه أكبر عيوب الانتخابات غير المباشرة .

٢ - أخذ هذا القانون بقاعدة الاقتراع العام للرجال دون النساء حيث أنه نص على أن حق الانتخابات مقرر لكل مصرى بلغ ٢١ عاماً ولم يضيف كلمة « كل مصرى » ، وبالتالي كان للرجال فقط حق انتخاب النواب ومنهم فقط تكونت هيئة الناخبين متجاهلاً بذلك نصف المجتمع .

٣ - لم يأخذ هذا القانون بنظام التصويت الاجبارى ، أى أنه لم يفرض

غرامة مالية على من يتخلف عن الادلاء بصوته في الانتخابات ، كما أن القانون لم يشترط في هيئة الناخبين أو المندوبين شروطاً مالية أو ثقافية ويعتبر ذلك من أهم مميزات ذلك القانون ، وأقربها إلى المساواة والديمقراطية .

٤ - أعطى هذا القانون لضباط وأفراد الجيش وهيئة الشرطة وما في حكمهما حق مباشرة الانتخاب ، وبالتالي توفرت الفرصة للإدارة من خلال استخدام هاتين الهيئتين العسكريتين للتأثير على مسار الانتخابات حتى تفرز النتيجة المرجوة .

٥ - جرت على أساس هذا القانون الانتخابات النيابية الأولى التي تمت في ١٢ يناير ١٩٢٤ والانتخابات النيابية الثانوية التي تمت في ١٢ مارس ١٩٢٥ .

ثانياً : بالنسبة للقانون رقم ٤ لسنة ١٩٢٤ الصادر في ٢٤ يوليو .

١ - كان هذا القانون من أهم أعمال مجلس النواب الأول حيث كان له أثره في ترقية شئون البلاد السياسية بجعل الانتخابات مباشرة ، وبذلك ألغى العمل بنظام الانتخاب غير المباشر لقانون ٣٠ أبريل عام ١٩٢٣ ، ولبي مطلباً جماهيرياً .

٢ - طبقاً لهذا القانون اتسعت القاعدة الجماهيرية المؤثرة بصفة مباشرة في اختيار النواب وزاد هذا من سلطتها السياسية في اتخاذ الموقف المناسب لها تجاه النواب المرشحين ، ولذا فقد أدى ذلك إلى مضاعفة الاتصال المباشر بين الجماهير والنواب ، ومن هنا فقد اضطّر الكثير من راغبى شغل مقاعد مجلس النواب إلى النزول للجماهير والاقتراب منها والاستماع إليها حتى يمكن الفوز بأصواتها .

٣ - لم يسر هذا القانون على انتخاب مجلس النواب لعام ١٩٢٥ ، بل أخذ به منذ انتخابات ٢٢ مايو ١٩٢٦ ، وظل يعمل به منذ ذلك الحين لسبع انتخابات نيابية حتى عام ١٩٥٢ ، تخللها فترة الغاء لمدة ٤ أعوام في ظل دستور ١٩٣٠ .

ثالثاً : وبالنسبة لقانون ٢٢ أكتوبر ١٩٣٠ :

١ - تقرر في هذا القانون العودة لنظام الانتخاب غير المباشر ، وجعل حق الانتخاب في مندوبين خمسين ، أى ينوب كل مندوب عن خمسين ناخباً من هيئة الناخبين ، ولهذا المندوب حق انتخاب مرشح لمجلس النواب ، وبالتالي فقد ضيق هذا القانون قاعدة هيئة الناخبين المندوبين بجعلها خمسينية والغرض من هذا كان انقاص النسبة العددية لهؤلاء المندوبين حتى يسهل التأثير عليهم ، والسيطرة على الانتخابات وعلى نتائجها من قبل الإدارة لتخدم أهداف الحكومة .

٢ - رفع هذا القانون سن الرشد السياسى من ٢١ عاماً إلى ٢٥ لهيئة ناخبي الدرجة الأولى والثانية ، كما اشترط في المندوب ان يكون مالكا لأموال ثابتة مربوط عليها ضريبة عقارية ، أو ساكناً في منزل لا يقل إيجاره السنوى عن أثنى عشر جنيهاً سنوياً أو حائزاً لشهادة دراسية ابتدائية أو ما يماثلها ، وبهذه الشروط المالية والثقافية حرمت الكثير من فئات الشعب من أن تصبح في مقدورها اختيار المرشح المناسب لمجلس النواب ، وجعل القانون هذا الحق السياسى في أقل حد ممكن وبالتالي فقد سلب حق الجماهير العريضة للشعب والتي لا تتوفر فيها الشروط المالية والثقافية خاصة من فلاحين وعمال ، في ان تمارس حقها السياسى بالمشاركة في انتخاب النائب .

٣ - جرى انتخاب واحد فقط طبقاً لهذا القانون وكان ذلك في أول يونيو ١٩٣١ في ظل دستور ١٩٣٠ ، وألغى العمل به عندما ألغى دستور ١٩٣٠ في ديسمبر ١٩٣٥ .

نستنتج من هذا أن الانتخابات النيابية العشر التي شارك فيها المصريون من عام ١٩٢٣ إلى عام ١٩٥٢ جرى ثلاثة منها طبقاً لنظام الانتخاب غير المباشر ، وجرى سبعة منها طبقاً لنظام الانتخاب المباشر ، ولعل من الأفضل

حتى نتبين موقف المصريين من هذه الانتخابات العشرة ان يكون اطار هذا التحليل عنصرين لإثنين رئيسين : —

أولهما : ابراز العلاقة بين حرية الانتخابات ودرجة المشاركة السياسية من قبل هيئة الناخبين .

ثانيهما : الكشف عن الدور الذى لعبته القضية الوطنية فى الانتخابات النيابية .

وقبل ان ندخل فى تفاصيل هذين العنصرين يمكن لنا ان نقسم الانتخابات النيابية العشرة التى جرت خلال الفترة الزمنية للبحث إلى مجموعتين .

مجموعة أولى : —

انتخابات اتسمت بقدر من الحرية ، واجرتها حكومات التزمت نوعا بالنزاهة تجاهها ، وهى انتخابات ١٩٢٤ فى عهد وزارة يحيى ابراهيم ، وانتخابات ١٩٢٦ فى عهد وزارة زيور ، وانتخابات ١٩٢٩ فى عهد وزارة عدلى يكن ، وانتخابات ١٩٣٦ فى عهد وزارة ماهر ، ثم انتخابات ٢٩٥٠ فى عهد وزارة حسين سرى .

مجموعة ثانية : —

انتخابات اتبع فيها أساليب القمع والتزوير اجرتها حكومات اما خاضعة للنفوذ الانجليزى ، أو موالة للفصر ، أو حكومات ذات مصالح حزبية ضيقة ، وهى انتخابات ١٩٢٥ فى عهد وزارة زيور وانتخابات ١٩٣١ فى عهد وزارة اسماعيل صدقى ، وانتخابات ١٩٣٨ فى عهد وزارة محمد محمود وانتخابات ١٩٤٢ فى عهد وزارة مصطفى النحاس ، وانتخابات ١٩٤٥ فى عهد وزارة أحمد ماهر .

أولا : العلاقة بين نزاهة الانتخابات ودرجة المشاركة السياسية ابتداء من عام ١٩٢٣ تفألت الجماهير خيرا بمستقبل الحياة السياسية فى البلاد ،

فبصدور الدستور ثم قانون الانتخاب ، توفرت للعهد النيابي الجديد الظروف الموضوعية لكي يبدأ مسيرته ، وكانت الجماهير ترجو أن تراه واقفا حياً وتأمل خيراً في عصر يتولى فيه نوابها أمر التشريع ومراقبة الحكم ويقوم بالسلطة التنفيذية حكومة حائزة لثقة الأغلبية ، ولذا اهتمت بأمر الانتخابات النيابية الأولى خاصة وانها رغبت في أن يصبح مجلس النواب امتداداً لروح ثورة ١٩١٩ ، زاد على ذلك احساسها بحياة حكومة يحيى ابراهيم باشا في المعركة الانتخابية التي جرى لها انتخاب المندوبين الثلاثين في الفترة من ٢٤ إلى ٢٨ ديسمبر ١٩٢٣ وحدد لها يوم ١٢ يناير ١٩٢٤ لانتخاب مجلس النواب .

كان اقبال هيئة الناخبين في المرحلة الاولى هادئا وتم انتخاب ٣٨ ألف مندوبا ثلاثينيا كما تذكر جريدة الأهرام بتاريخ ٨ يناير ١٩٢٤ ، وحيث أن كل مندوب ينوب عن ثلاثين ناخبا فيمكن ان نستخلص من ذلك ان مجموع هيئة الناخبين في ذلك الوقت كان يبلغ ١,١٤٠,٠٠٠ تقريبا (١). لابد وان حماس الناخبين المسجلين في جداول الانتخابات في الاقبال على صناديق الاقتراع للتمتع بحقوقهم في التصويت للمرحلة الأولى كان مصحوبا برغبة قوية في نفوس الجماهير لكي تنجح هذه الانتخابات النيابية الأولى ، وهذا ما جعل صحيفة مثل الأهرام تشير آنذاك إلى تلك الروح السائدة بين الجماهير ، والتي اعتبرتها الصحيفة مظهر الحياة النيابية المقبلة وتدل على نزعة دستورية قوية . وبالرغم من أن الكثيرين أشادوا بموقف الجماهير من أول انتخابات نيابية إلا أن الباحث يلاحظ ان هذا الاقبال كان مصحوبا بشيء من الترقب والانتظار من جانب الجماهير لموقف الحكومة حيال بداية

(١) يذكر على الدين هلال عن الخطيب أن عدد الناخبين المسجلين لعام ١٩٢٤ كان ٦٩,٦٨٩ ، وأن عدد الذين اشتركوا في الانتخابات مهم كان ٦٧,٥٠٤ أى بنسبة ٩٦٪ .
للمزيد من التفصيل أنظر : - على الدين هلال : السياسة والحكم في مصر . العهد البرلماني ١٩٢٣ - ١٩٥٢ ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ١٩٧٧ ص ٣٠٥ وما بعدها .

الانتخابات ، كما نلاحظ ان نسبة الذين تقدموا لتفيد اسمائهم في جداول الانتخابات اقل من مجموع هيئة الناخبين المتوقعين رسمياً ، وتختلف البعض وخاصة في المدن الكبرى وعواصم المحافظات عن استخدام حقبة بالمشاركة السياسية في التسجيل للجداول الانتخابية ، وهذا عكس تلك الروح التي كانت سائدة في الريف ، والتي اخذت فيها الانتخابات بمحمل الجد . وهذا امر غير متوقع أو منتظر ، فالانتخابات في العادة لعبة اهل المدن ، ولكن يبدو ان روح ثورة ١٩١٩ كانت مازالت سائدة بنفس القوة عام ١٩٢٤ في الريف ، ولهذا شارك اهل الريف بحمس حزب الوفد المصري بقيادة سعد زغلول في أن يتكون المجلس النيابي من ابناء الثورة ، أما في المدن الكبرى وخاصة بين الطبقة الراقية والتي كان يجب عليها ان تعمل بكل جد ونشاط وهي التي احتكرت لنفسها الاشتغال بالسياسة فقد تنحّت في أكثر المواطن عن المشاركة في انجاح المعركة الانتخابية ولم يتقدم منهم لتسجيل نفسه للجداول الانتخابات الا الذين يطمعون في كراسى النيابة أو يطمعون بها لأصحابهم (١) . إلا أن هذا التردد المشوب بالحذر تجاه موقف الحكومة أو تخلف بعض فئات الشعب عن تسجيل اسمائهم بجداول الانتخابات ، انقلب إلى تحمس واقبال من الجميع في التجربة الأولى للانتخابات النيابية عندما تأكد لهم جدية الحكومة في الالتزام بالحياة في المعركة الانتخابية ، كذلك ظهر هذا التحمس والاقبال بكل وضوح عندما تقدم المندوبون الثلاثيون لانتخابات المرحلة الثانية ، ولم يتخلف منهم عن الإدلاء بعتق التصويت لاختيار النواب إلا نسبة صغيرة جداً .

ويتضح لنا من خلال استعراض نتائج الدوائر الانتخابية التي بلغت ٢١٤ دائرة أن نسبة تخلف المندوبين عن المشاركة في الانتخابات لم تزد عن ٥٪ في أغلب الدوائر . ففي إحدى الدوائر بمدينة الاسكندرية وهي دائرة الجمر ك كان عدد المندوبين ٤٢٧ مندوباً ، وفي إحدى دوائر الريف نلاحظ أنه لم يتخلف أحد في دائرة مثل دائرة أجا بمديرية الدقهلية مثلاً (٢) .

(١) الأهرام في ٤ يناير ١٩٢٤ .

(٢) الأهرام في ١٣ يناير ١٩٢٤ .

على كلا نستطيع أن نقول أن هذه المشاركة القوية من جانب المندوبين في الانتخابات قد أكدت على أنه كلما أحست الجماهير بجدية الحكومة في الحياد التام تجاه الانتخابات ، كلما شاركت الجماهير بكل حماس في التقدم إلى صناديق الاقتراع ، وخير ما يثبت أن هذه الانتخابات خلت تماماً من أى تدخل أو تزوير من قبل الإدارة ، هو سقوط رئيس الوزراء يحيى إبراهيم في دائرته الانتخابية بمنيا القمح وفوز مرشح حزب الوفد عليه ، وكان سقوطه شهادة ناطقة له بنزاهته ومحافظته على حرية الناخبين في جميع أنحاء البلاد . وهذه هي المرة الوحيدة في تاريخ الانتخابات النيابية التي لم ينجح فيها رئيس وزراء وفي نفس الوقت وزير الداخلية التي أدارت الانتخابات ، بل ينجح منافسه بفارق كبير في الأصوات وهذا ما يذكر لرئيس الوزراء يحيى إبراهيم بالخير ، فقد كانت الانتخابات نموذجاً للانتخابات الحرة .

وبعد أن استبشرت الجماهير خيراً بالعهد النيابي ، إذ بها تصاب بخيبة أمل كبيرة عندما حلت وزارة زيور مجلس النواب قبل أن يمضي عام على اجتماعه ، وكان حل مجلس النواب بتوجيه من الانجليز ، نفذ بأيدي قلة من المصريين ، لا غرض لهم إلا الوصول إلى المناصب وعودة الحكم المطلق في البلاد وإسقاط الأغلبية التي تمتع بها حزب الوفد والوزارة الشعبية لسعد زغلول في مجلس النواب وإجراء انتخابات جديدة ترجو منها وزارة زيور أن يكون لها فيها الأغلبية حتى تسايرها في سياسة التسليم أمام الإنذارات الإنجليزية التي رفضها مجلس النواب المنحل وسعد زغلول ، ومن أجل هذا الغرض تم تعيين اسماعيل صدقي وزيراً للداخلية والمعروف بعداؤه الشديد للحياة النيابية لكي تجري الانتخابات تحت إشرافه ، كما تم تكوين حزب تابع لشخص رئيس الوزراء ليدخل به الانتخابات وهو حزب الاتحاد . (١) ولذا فان ظاهره تكوين أحزاب تابعه للسلطة سايرها زيور بحزب الاتحاد عام ١٩٢٥ .

ومن هنا لنا أن نتوقع تدخلا من الإدارة في عهد وزارة زيور في

(١) عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، مكتبة النهضة المصرية

القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١٣٤ .

الانتخابات التي تقرر اجراؤها على نظام الاقتراع غير المباشر بالرغم من صدور القانون رقم ٤ لسنة ١٩٢٤ الذي نص على أن تكون الانتخابات مباشرة ، ومن هنا نلاحظ أن التدخل من جانب الإدارة في الانتخابات النيابية الثانية كان تدخلا مشوباً بالحذر خوفاً من غضب الجماهير التي كانت تأمل في أن تتم الانتخابات طبقاً لقانون الانتخابات المباشر ، وكان غضب الجماهير وأسفها شديداً على ما لمست من استهانة وزارة زيور بحقوقها في إجراء انتخابات مباشرة ، بعد أن حلت مجلس النواب الذي انتخبه الشعب بكامل الحرية ، ثم أن الفترة الزمنية بين الانتخابات النيابية الأولى والانتخابات التي تقرر لها ١٢ مارس ١٩٢٥ هي فترة لم تزد عن العام إلا بقايل ولهذا فإن ذكريات الانتخابات الأولى وشعبية الوفد فيها كانت لا تزال ماثلة في أذهان الشعب .

وكانت خيبة الأمل التي أصابت الجماهير سبباً في انخفاض نسبة من تقدم منهم لتسجيل نفسه في جداول الانتخابات ، وبالرغم من أن هيئة الناخبين أو من لهم حق الانتخاب كان يبلغ المليون والنصف ناخب ، فإن عدد المسجلين الذي تقدم فعلاً بلغ ٧٥,٧٨٤ فقط (١) ، وهذا يوضح لنا مدى الإحباط الشديد الذي أصيبت به نفوس الجماهير من جراء عزم الحكومة على التدخل في الانتخابات لتكوين مجلس على أنقاض المجلس السابق الذي تحمست له الجماهير ، ومن المظاهر التي أحست الجماهير من خلالها بتدخل الإدارة ما يلي : -

١ - عدلت وزارة زيور معظم الدوائر الانتخابية وشمل التعديل ١٠٦ دائرة من مجموع ٢١٤ ، وكان الغرض من هذا التعديل هو الاستجابة لرغبات مرشحي حزب الاتحاد ، كما أنها قررت إعادة فتح باب الترشيح في بعض الدوائر بعد انتهاء الميعاد القانوني (٢) .

(١) على الدين هلال المصدر السابق ص ٢٠٥ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي ، المصدر السابق - ١ ص ٢١٥ .

٢ - سهلت وزارة زيور لمرشحيها إقامة الحفلات والاجتماعات الانتخابية في حين أنها ضيّقت الفرصة على مرشحي أحزاب المعارضة ولم تتح لهم التمتع بنفس الحق ، بل كان رجال الإدارة يتدخلون في المعركة الانتخابية بحث من الحكومة لصالح مرشحي حزب الاتحاد ، وأخلوا بضرفون الناس عن انتخاب المرشحين المنتمين لحزب الوفد بكل الطرق المتاحة (١) .

من الصعب التوصل إلى معرفة مدى دقة نتائج هذه الانتخابات النيابية الثانية ، حيث أن وزارة الداخلية كانت تصدر بيانات متضاربة وغير واقعية حول النتائج النهائية لتلك الانتخابات ، فمثلا أصدرت الوزارة بياناً كاذباً يوم ١٣ مارس أعلنت فيه أن الأحزاب غير الوفدية قد نالت الأغلبية في الانتخابات ، وعلى ذلك قررت استمرارها في الحكم (٢) .

وحيث أنه لم تخلف وزارة زيور وزارة أخرى تعلن نتيجة الانتخابات الصحيحة فلننا يمكن أن نستدل من فوز سعد زغلول بأغلبية ١٢٣ صوتاً ضد ٨٥ صوتاً نالها عبد الحالق ثروت في انتخابات رئاسة مجلس النواب على فوز الوفديين بنسبة تزيد عن ٥٥٪ من مقاعد مجلس النواب على أقل تقدير . وهذا يوضح لنا أن الحكومة التي تفقد مصداقيتها لدى جماهير الشعب تمضي بالهزيمة أمام إرادة الأمة بل يطيح الشعب المصري بكل خططها ولذا ساند الشعب سعد زغلول بقدر المستطاع بالرغم من أنه كان قد فقد الأمل في نجاح أو بقاء الحياة النيابية على عهد وزارة زيور التي منعت الناخبين من دخول لجان الاقتراع ، ووضعت في الجداول أسماء لا وجود لها ، وعدلت في النتائج النهائية وأوعزت إلى بعض العمد والمأمورين ورجال البوليس والإدارة على نصرة مرشحيها (٣) .

(١) أحمد شفيق حوليات مصر السياسية ، الحولية الثانية ، مطبعة حوليات مصر القاهرة ١٩٢٩ ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٢) الأهرام في ١٤ مارس ١٩٢٥ .

(٣) محمد زكي عبد القادر ، محنة الدستور ، مكتبة مدبولي القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٦٣

ومرة أخرى تحاول الجماهير أن تعيد ثقتها في الحياة النيابية ، خاصة وأن كفاحها ضد نظام الانتخابات غير المباشرة بدى وكأنه سوف يثمر بتطبيق قانون الانتخابات المباشرة ، وكانت جماهير الشعب وفي طليعتها أبناء الريف بقيادة العمدة والمشايخ في مختلف المديرية قد أعلنت رفضها القاطع لنظام الانتخابات غير المباشرة المشروط بشروط مالية في المندوبين الذي حاولت وزارة زيور تطبيقه للانتخابات النيابية الثالثة والتي حدد لها عام ١٩٢٦ ، وسرت في الأمة فكرة مقاطعة الانتخابات وأعلن الكثير من عمدة الريف الإضراب عن ممارسة عملهم ، وهدد الكثير منهم الحكومة بتوقف الحياة في الريف ، وفعلاً نجحت هذه الحركة الشعبية التي عمت الشمال والجنوب في إجبار الحكومة على التراجع . وتقرر لاشتدادها إجراء الانتخابات النيابية طبقاً لقانون الانتخابات المباشرة وكانت مقاومة الشعب في الريف مفاجئة للجميع (١).

إلا أنه في الوقت الذي أثرت فيه الوقفة النصابية للجماهير بتراجع للحكومة ، وتعشمت هذه الجماهير أن تتم أول انتخابات مباشرة في جو من التنافس الشريف بين المرشحين لمجلس النواب ، إذ بالأحزاب السياسية تتفق فيما بينها على أن لا تتنافس ولا تتناحر في الانتخابات بل توصلوا إلى عقد اتفاقية بتوزيع الدوائر بينهما ونشر بذلك بياناً في ٣ أبريل ١٩٢٦ م (٢).

فكانت دهشة الجماهير بالغه لما تم الاتفاق عليه بين الأحزاب ، وكانت هناك مجموعة من القضايا التي طرحت نفسها في ذلك الوقت على الشارع السياسي وحول الانتخابات النيابية بصفة عامة .

فبالنسبة للقضية الأولى : وهي نجاح إضراب العمدة والمشايخ عن مزاوله أعمالهم احتجاجاً منهم على قانون الانتخابات غير المباشرة فهذا الأمر له دلالة الكبرى ، فالشعب يدافع عن الحق الذي منحه إياه قانون

(١) أحمد شفيق ، المصدر السابق ، الحولية الثالثة ص ١٦ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .

الانتخابات المباشرة والأمة ترغب في توسيع قاعدة هيئة الناخبين حتى يتاح لأكثر عدد ممكن المشاركة السياسية في الانتخابات ، وتفرض على الحكومة التسليم بهذا الحق ، ولأول مرة نسمع أن العمدة والمشايخ في الريف تقود القاعدة الجماهيرية في الوقوف في وجه الحكومة من أجل التمسك بحياة نيابية سليمة ، ولأول مرة أيضاً تراجع الحكومة أمام مطالب الشعب لممارسة حقه في اختيار ممثليه لمجلس النواب .

أما القضية الثانية : فهي ما فوجئ به الشعب من مفاجئة تامة في صدور قرارات عن أحزاب المعارضة بقيادة الوفد في شكل نصائح للحكومة من أجل اجراء الانتخابات . وكان معلوماً لدى الجماهير أن أحزاب المعارضة بقيادة الوفد سوف تتمسك بقراراتها في مقاطعة الانتخابات التي ستجريها وزارة زيور حيث أن هذه الأحزاب لم تعترف للحكومة بحل البرلمان والدليل على ذلك اجتماع أعضاء مجلس النواب والشيوخ في فندق الكونتنتال يوم السبت ٢١ نوفمبر ١٩٢٥ ، بعد أن كانت الحكومة قد منعتهم من الاجتماع في قاعة مجلس النواب ، وصدر عنهم قرار باعتبار دورة الانعقاد موجودة ، أي أن المعارضة تعتبر البرلمان موجوداً شرعاً (١) . أما القضية الثالثة : فهي شعور الجماهير ولا شك بالخداع عندما قررت أحزاب المعارضة بقيادة الوفد ليس فقط دخول الانتخابات بل اقتسام الدوائر فيما بينهما دون الاعتبار لإرادة الأمة ، ورغبتها في انتخابات حرة يختار فيها الشعب النواب من بين المرشحين دون أن تفرض عليه مجموعة محددة من قبل الأحزاب السياسية ، ولذا يمكن القول أن وقفة الشعب في وجه الحكومة كانت أشد صلابة من موقف الأحزاب السياسية ، وأن رغبة هذه الأحزاب في الوصول إلى الحكم كانت أقوى من المبادئ وقد تأكد هذا في الحكومة الائتلافية التي تكونت بعد هذه الانتخابات وتلك عتبه تقع على عاتق سعد زغلول ، ولعل ما ذكرته جريدة السياسة دون قصد ، من أن بعض العمدة يتلکأون في تسليم شهادات الانتخابات إلى الناخبين خير دليل على عدم رضا جماهير الريف وأعيانه على مسلك الأحزاب ، الذي

(١) عبد الرحمن الرافعي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

كان إجحافاً بحقوق الشعب ، وكان رفض الجماهير قوياً مما دفع جريدة السياسة إلى أن توجه نداء إلى الحكومة بأن تتدخل عن طريق مأموري المراكز للضغط على العمدة حتى يتم تسليم التذاكر الانتخابية للناخبين ، أو إنذارهم بتوقيع الجزاء على ما يعارض ذلك (١) .

ومن هنا لا يمكن لنا أن نصف ما جرى في الانتخابات التي جرت في ٢٢ مايو ١٩٢٦ على أنه معركة انتخابية بالمعنى الصحيح ، تبارى فيها الأحزاب من أجل الحصول على أصوات الناخبين ، بل أنها كانت انتخابات متفق على نتائجها مسبقاً لدرجة أنه كان هناك حوالي ٥٧ نائباً لم يرشح ضدهم أى منافس فأصبحوا نواباً بالتزكية (٢) .

بالرغم من أن تدخل الإدارة والحكومة في الانتخابات كان شبه معدوم بدليل فوز حزب الاتحاد التابع لرئيس الوزراء بخمس مقاعد فقط في مجلس النواب من مجموع ٢١٤ مقعداً ، إلا أن إقبال الجماهير على المشاركة السياسية في هذه الانتخابات قد انخفض نتيجة عدم وجود تنافس بين المرشحين حول أصوات هيئة الناخبين ، ونثنين عدم تحمس الجماهير هذا من خلال مقارنة عدد ما كان لهم حق الانتخاب في أنحاء البلاد الذي بلغ - حسب الإحصاء الذي أصدرته وزارة الداخلية - ٢,٧١٨,١٦٩ (٣) ، بين ما تم تسجيلهم في جداول الانتخابات فعلاً والذي بلغ ١,٧٩٢,١٧١ ، أى بنسبة ٦٦ في المائة من مجموع المؤهلين للمشاركة بالتصويت ، وانخفضت هذه النسبة عندما تقدم ١,١٣٥,٣٦٤ فقط للإدلاء بأصواتهم أمام صناديق الاقتراع ، أى بنسبة ٦٤ في المائة من مجموع الناخبين المسجلين (٤) .

ومن هنا نستخلص أن نسبة من شاركوا بالتصويت لم تزد عن ٤٢ في المائة ممن كان لهم حق الاشتراك في الانتخابات النيابية الثالثة ، كذلك في

(١) السياسة في ٢٧ أبريل ١٩٢٦ .

(٢) أحمد شفيق ، المصدر السابق ، الحولية الثالثة ، ص ١٥٦ .

(٣) الأهرام في ٧ إبريل ١٩٢٦ .

(٤) على الدين هلال ، المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .

الانتخابات النيابية الرابعة انخفضت نسبة الناخبين المسجلين إلى ١,٥٦٦,٣٧٧ بالرغم من أنها قد جرت في ٢١ ديسمبر ١٩٢٩ وكان ولا بد وأن مجموع هيئة الناخبين قد ارتفع عن عددها في انتخابات ١٩٢٦ ، أما عدد الذين اشتركوا بالإدلاء بأصواتهم في انتخابات ١٩٢٩ ، فقد بلغ ١,٢,٦٢٢ فقط أى بنسبة ٦٤ في المائة ممن سجلوا في جداول الانتخابات (١) . وهنا يمكن القول بأن نسبة المشاركة السياسية للمصريين لن تزيد في الانتخابات النيابية التالية بأي حال من الأحوال عن نسبة المشاركة في الانتخابات النيابية الرابعة ، بل تبدأ النسبة في الانخفاض وهذا لما أحست الجماهير به من خيبة أمل شديدة لتلاعب الأحزاب السياسية والقصر بالحياة النيابية ، ولعل اشتراك حزب الأحرار الدستوريون مع القصر عام ١٩٢٨ في ضرب التجربة النيابية أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى يأس الجماهير في جدية الحياة النيابية بصفة عامة ، وقد شاهدت السلطة وهي تزيف إرادتها بل أن وزارة محمد محمود ترفض حتى استفتاء الشعب ، فالشعب في رأيا مضلل لا يمكنه أن يحكم على الأشياء حكماً سليماً (٢) .

وبالرغم من أن وزارة عدلى يكن التي أجرت الانتخابات النيابية الرابعة كانت قد تعهدت بإجراء انتخابات خالصة من كل ضغط أو تأثير غير مشروع ، وكذلك أعلنت تعهداً بأن تعود الحياة النيابية إلى وضعها الدستوري السليم (٣) ، إلا أن الجماهير كانت قد فقدت الثقة في وعود السلطة ، وفي توفير مبدأ المنافسة في الانتخابات بعد انسحاب الأحرار الدستوريين منها عام ١٩٢٩ .

تأكد للجماهير تشككها في الحكومات وخاصة تلك الواقعة تحت نفوذ القصر وما شاهدته من اقدام وزارة اسماعيل صدقي على استبدال الدستور

(١) المصدر السابق .

(٢) الدكتور محمد حسين هيكل ، مذكرات في السياسة المصرية ، ج ١ ، دار المعارف

القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٢٩٢ .

(٣) خطاب قبول تأليف الوزارة في الوقائع المصرية ، العدد ٨٧ لسنة ١٩٢٩ .

١٩٢٣ دستور آخر تهلر فيه سلطة الأمة وحقوقها بقدر المستطاع ، وكان ذلك هو دستور ١٩٣٠ وما تبعه من العودة إلى نظام الانتخاب غير المباشر والمشروط بشروط مالية وثقافية في مندوبين خمسين لكى تجرى انتخابات نيابية خامسة يكون الهدف منها هو صنع مجلس نواب يتألف أعضاؤه من التابعين للحكومة . ومن سخرية القدر أن ترى الجماهير رئيس الوزراء يشكل حزبا سياسيا ويشغل منصب الرئاسة فيه ويدعوه « حزب الشعب » ليكون الحزب الجديد بطل الانتخابات التى تقرر لها ان تتم مرحلتها الثانية فى أول يونيه ١٩٣١ لأنتخاب ١٥٠ لمجلس النواب . ولكن الجماهير لم تقف ساكنة فقد قاومت هذه الانتخابات ، وقامت فى الكثير من المدن مظاهرات ، وأضرب العمال عن العمل وخاصة فى عنابر بولاق والورش الأميرية حيث نظاهروا احتجاجا على مسلك الحكومة ، فقابلتهم الحكومة بمنتهى القسوة والعنف ، وخرجت عليهم قوات البوليس والجيش وأطلق الجند الرصاص على العمال فقتل الكثير منهم (١) . إلا أن الحكومة كانت مصممة على تزيف الانتخابات فأوعزت إلى لجان الانتخاب أن تزور محاضرها ، بحيث تثبت فيها حضور الناخبين كذبا وزورا وفى بعض الدوائر جمعت الناخبين من منازلهم بسيارتها وذهبت بهم قسرا إلى لجان الانتخابات ، وكان بعضهم يقفز من هذه السيارات وهم يصرخون « لا نريد الانتخابات » (٢).

ولاغرو وهذا هو أسلوب الحكومة فى تسيير العملية الانتخابية ، من أن تزور النتائج وتعلن الحكومة (وهذا مخالف للحقيقة) نسباً مرتفعة للغاية لمشاركة الشعب فى الانتخابات ، وأن الأمة أقبلت على استعمال حقها الانتخابى فى هدوء وسكينة (٣) . وأعلنت الحكومة أن جملة الناخبين فى أنحاء البلاد وصل إلى ٢,١٤٩,٢٤٣ وأن من تقدم منهم للانتخاب فى المرحلة

(١) عبد الرحمن الرافى ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٢ .

(٢) الأهرام فى ١٥ مايو ١٩٣١ .

(٣) الأخبار فى ١٥ مايو ١٩٣١ .

الأولى بلغ ١,٥١٢,٥٩١ فتكون النسبة المئوية للمشاركة في الادلاء بالتصويت قد بلغت ٦٧,٣ في المائة (١) . أما عن درجة المشاركة في الانتخابات في المرحلة الثانية ، فيذكر الدكتور على الدين هلال أنها كانت ٩٠ في المائة على أساس ان عدد الناخبين المسجلين بلغ ٤٥,٧٩٤ اشترك منهم ٤٣,٧٠٦ في الادلاء بأصواتهم. (٢) ولكن محمد زكى عبد القادر وصف هذه الانتخابات بأنها كانت أشبه ماتكون بالتمثيلية ، اشترك فيها رجال الإدارة اشتركا فعليا ورشوا الناخبين وغير الناخبين وجاء البرلمان طبقاً لهوى الحكومة ولكنه أصبح في واد والشعب في واد آخر (٣) .

ومن الجدير بالذكر هنا ان الأحزاب التي اشتركت في هذه الانتخابات كانت أحزاب أقلية بعد أن امتنع الوفد والأحرار عن الدخول فيها ، وأحزاب الأقلية كالعادة كانت تفتقر إلى الشعبية في البلاد فهي اما أحزاب القصر (الشعب والاتحاد) أو الحزب الوطني الذي اتسمت علاقته خلال تلك المرحلة بالبود تجاه القصر ، وكان هذا وحده كفيلاً بأن تدير الجماهير ظهرها لهذه الأحزاب ، وبالتالي لا يمكن ان نصدق مشاركة الجماهير بتلك النسبة التي أعلنتها الحكومة في انتخابات تقتصر على هذه الأحزاب الثلاثة ، ولعل موقف الجماهير في الانتخابات السابق نحو حزبين من هذه الأحزاب وهما الحزب الوطني والاتحاد خير دليل على أن الأمة قاطعت هذه الانتخابات بالرغم من كل بيانات الحكومة التي توحى بغير ذلك .

مرة أخرى يندمج الشعب في انتزاع حقوقه التي ناضل من أجلها ، ويضطر الملك تحت ضغط الأحداث إلى أن يستجيب لرغبة الجماهير بإعادة دستور ١٩٢٣ واجراء انتخابات عامة مباشرة ، وهي الانتخابات النيابية السادسة ، ولاح في الأفق وكأن الجماهير سوف تشهد منافسة قوية بين

(١) الأهرام في ١٩ مايو ١٩٣١ .

(٢) على الدين هلال ، المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .

(٣) محمد زكى عبد القادر المصدر السابق ، ص ٨١ .

الأحزاب السياسية ، وخاصة وأن الشعب أيد وزارة نسيم التي أخذت تعد
العدة لاجراء الانتخابات العامة على اعتبار أن هذه الوزارة قادرة على أن تقود
مرحلة التغيير (١) .

وتسلمت وزارة على ماهر المهمة لتجرى الانتخابات فى ٢ مايو
١٩٣٦ . كنا نتوقع ان ترتفع درجة المشاركة السياسية فى هذه الانتخابات
طالما وقد تعهدت الحكومة بالنزاهة فى تسيرها ، إلا أن هناك حدثا هاما
وخطيرا وقع قبل الانتخابات النيابية أدى إلى انصراف الكثير من فئات
الشعب عن أمر هذه الانتخابات ، وتبع ما هو أهم وأخطر (من وجهة
نظرهم) ، أما ذلك الحدث فكان وفاة الملك فؤاد الذى توفى فى ٢٨ أبريل
عام ١٩٣٦ وما صحبها من اجراءات تنصيب الملك الجديد ، فانشغلت الجماهير
واهتمت بأخبار العرش أكثر من اهتمامها بأخبار الانتخابات ، وخيم
على البلاد جو من الانتظار المترقب للتطورات المفاجئة التى ترتبت على وفاة
الملك ، فجعل هذا الناخبين والمرشحين يلتزمون بالهدوء حتى تجتاز البلاد
الظروف الصعبة التى تمر فيها ، والتزم الجميع الوقار ، وسادت روح
بالمسئولية تجاه العرش فمر يوم الانتخابات وكأن لا إنتخابات تجرى فى البلاد ،
ولعل هذا من أبرز صفات التكامل والتضامن للشعب المصرى التى سادت
الانتخابات النيابية السادسة فى تلك الظروف (٢) .

بعد الانتخابات أذاعت وزارة الداخلية رسميا أن ١,٢٩٨,١٨٢ ناخبا
قد تقدم للاشتراك بالأقتراع فى الانتخابات (٣) : وهى نسبة تصل إلى ٥٩
فى المائة من عدد الناخبين المسجلين الذى بلغ ٢,١٢٠,٤٧٧ (٤) وانخفاض
نسبة المشاركة إلى هذا الحد يوحى بأن البلاد فى تلك الأثناء كان شاغلها
الأكبر هو أن تستقر الأمور للملك الجديد .

(١) يونان لبيب رزق ، تاريخ الوزارات المصرية ، مركز الدراسات بالأهرام القاهرة
١٩٧٥ ، ص ٣٧٥ .

(٢) البلاغ فى ٣ مايو ١٩٣٦ .

(٣) البلاغ فى ١٨ مايو ١٩٣٦ .

(٤) على الدين هلال ، المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .

ومرة أخرى تصاب الجماهير بخيبة أمل في مستقبل الحياة النيابية عندما قررت وزارة الأحرار الدستوريين برئاسة محمد محمود اجراء الانتخابات النيابية السابقة على دفعتين في الوجه القبلي أولا ثم في الوجه البحري بعد ذلك ، وهي مناورة قصد منها التأثير على الوجه البحري بما سوف تناله الوزارة من نجاح في الوجه القبلي ، وقد فسر محمد حسين هيكل في مذكراته الغرض من اجراء الانتخابات على دفعتين على أساس تمكين الحكومة من حفظ الأمن والنظام يوم الانتخاب ، إلا أنه يعود فيقرر أن السبب في ذلك هو أن رئيس الوزراء كان أكثر اطمئنانا إلى الوجه القبلي (١) وذلك بحكم إيمانه إلى الصعيد .

ولاشك في أن الحكومة كانت متخوفة من نتيجة الانتخابات في الوجه البحري ولذا فضلت انتظار نتائج الوجه القبلي ، حتى ترى ما يجب عمله على ضوء هذه النتائج .

قد كلفت الحكومة ومعها القوى السياسية من حلفائها مدعومة بالادارة في هذه الانتخابات بمهمة تزييف ارادة الناخبين ، ولذا أحس الكثير من جماهير الشعب بعدم أهمية دورهم في المشاركة في هذه الانتخابات ، وبأن النتائج سوف تسفر عن نجاح مرشحي الحكومة ، سواء ذهب الناخبون لصناديق الاقتراع أو تخلفوا عن ذلك .

لعل من بعض الفكاهات التي ترددت في تلك الأثناء نستطيع أن نوكد مدى الضغط الذي مارسته الحكومة على الناخبين والذي كان سببا في خوف الكثير منهم وترددهم في الذهاب إلى لجان الانتخاب أو عجز من ذهب منهم عن ممارسة حرية التصويت .

فقد سئل ناخب عما اذا كان يعطى صوته شفاهيا أو كتابة فرد قائلا « لا يا عم أنا مش ممكن أدى صوتي وهو مكتوب أحسن الحكومة تقطعه » ، كما دخل ناخب آخر إلى مكتب الانتخاب وأبرز تذكرته وسئل عن اسم

(١) محمد حسين هيكل ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٩ .

جدة فخشي مسئولية الجواب وجعل يتفرس في شيخ حارته تاره وفي
الجالسين تارة أخرى ثم قال « أنا ماليش حد » (١)

كما أن سقوط زعيم الوفد مصطفى النحاس في سنود ومكرم عبيد
في شبرا ، يعد أكبر دليل على تزييف ارادة الناخبين ، فلا تصدق مثلاً أن
يحصل مكرم عبيد على ٤٣١ صوتاً فقط من ١١١٦ مجموع ناخبي
دائرة شبرا . (٢)

وبالرغم من أن حكومة محمد محمود حاولت التنصل من تهمة التزوير
والضغط في الانتخابات وأعلنت أن نسبة من شاركوا في الانتخابات هي
نفس نسبة الانتخابات السابقة أي ٥٩ في المائة ، إلا أن أحمد ماهر الذي دخل
كحليف مع الحكومة قد اعترف بممارسات الحكومة ضد حرية الانتخاب
وكشف عنها عندما قال : « اننا لاننكر مع ذلك أن بعض رجال الادارة
تدخلوا في بعض الجهات تدخلا معيبا أصاب المرشحين السعديين أنفسهم
جانب منه » . (٣) كما نستطيع القول أنه ليس من المعقول أن يحصل حزب
الأحرار الدستوريون وحلفائه على نسبة ٧٥,٣ في المائة من الأصوات
في الوجه القبلي ، وعلى ٨٣,٦ في المائة من الأصوات في الوجه البحري (٤) ،
في الوقت الذي لم يحصل فيه الأحرار على أكثر من ٦ مقاعد في الانتخابات
التي جرت عام ١٩٣٦ .

ومهما كان الأمر فإن محمد محمود وهو الذي عطل الدستور عام ١٩٢٨
كان بعيداً كل البعد عن الجماهير ، وكان يعلم هو وأنصاره ان الانتخابات
النيابية لعام ١٩٣٨ لم تكن حرة بالمره ، والوزارة التي شكلت بعد هذه
الانتخابات برئاسته وان حظيت بأغلبية في مجلس النواب على حساب اهدار
ارادة الأمة الا أنها لاتستند على أي تأييد شعبي .

(١) المقطع في ٣ إبريل ١٩٣٨ .

(٢) البلاغ في ٣ إبريل ١٩٣٨ .

(٣) البلاغ في ٢٤ إبريل ١٩٣٨ .

(٤) البلاغ في ٢ إبريل ١٩٣٨ .

وفي الواقع فإن الأسباب التي أدت لابتعاد الجماهير عن أحزاب الأقلية هي نفسها التي أدت إلى فتور تأييدها للوفد ، فلقد كانت كارهة لكل وسائل التدخل الإنجليزية حتى ولو كان هذا التدخل في صالح حزب الأغلبية كما تفاجأ الجماهير أن حزب الأغلبية يرتكب نفس الأخطاء التي ارتكبتها الأحزاب الأخرى عندما تولت إجراء الانتخابات . فاجأت وزارة الوفد إلى تعديل الدوائر الانتخابية بما يلائم انصارها ، وفصلت العمدة والمشايخ الذين يؤازرون خصومها ، كما عينت رؤساء اللجان التي تتولى الاشراف على الانتخابات من المواطنين المتحمسين لفوز مرشحي الوفد . (١)

كان لكل ذلك أثره السيء في نفوس الشعب ، فانخفض اقبال الجماهير على المشاركة في الانتخابات التي جرت في ٢٤ مارس ١٩٤٢ حتى وصلت إلى ٥٧ في المائة فقط من عدد الناخبين المسجلين (٢) . وهذا يؤكد أنه بالرغم من أن كل التصرفات المخالفة التي ارتكبتها حكومة الوفد أثناء الإعداد للانتخابات النيابية لم تكن بجديدة على الأمور الانتخابية فقد لمسناها في أغلب الانتخابات السابقة ، إلا أن هذه التصرفات من حكومة الوفد خاصة وهو حزب الأغلبية ، كانت صدمة كبيرة للشعب أضعفت من تحمسه للانتخابات النيابية ، خاصة وأن المنافسة الانتخابية كانت قد فرغت من مضمونها بمقاطعة الأحرار الدستوريين والسعديين لها .

وكان انعدام هذه المنافسة واضحاً من خلال فوز ١١٠ نائباً بالترشيح ، دون أن تجرى انتخابات في دوائرها ، منهم ١٠٥ نائب وفدى ، وجرت الانتخابات في ١٥٤ دائرة فقط من ٢٦٤ العدد الكلي للدوائر الانتخابية (٣) . وجرى التنافس غير متكافئ الدوائر بين حزب الوفد والحزب الوطني ، وهو تنافس غير متكافئ بأي حال من الأحوال .

وكأي انعدام التنافس بين المرشحين هو نفس السبب الذي أضعف من

(١) محمد حسين هيكل ، المصدر السابق ج ٢ ، ص ٢١٤ .

(٢) علي الدين هلال ، المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .

(٣) البلاغ في ٢٥ مارس ١٩٤٢ .

اقبال الجماهير على الادلاء بأصواتها في الانتخابات النيابية التاسعة فوصل
اهمال الجماهير للانتخابات إلى أدنى مستوى له حيث انخفضت المشاركة
إلى ٥٤ في المائة فقد احست الجماهير بعدم فاعلية المشاركة السياسية طالما
تدير الحكومة الانتخابات ، وتأتى بالنتيجة التي ترغب فيها . وكان انسحاب
الوفد من هذه الانتخابات فرصة كبيرة للحزب السعدى وللأحرار الدستوريين
لكى تأتى النتائج بما يضمن لهم الأغلبية الساحقة .

أما في الانتخابات النيابية العاشرة والأخيرة فقد توفرت بعض الضمانات
من جانب الحكومة للوقوف على الحياد في المعركة الانتخابية حيث أن حكومة
حسين سري التي اشرفت على الانتخابات اعتبرت في نظر الكثيرين حكومة
محايدة ، ولذا اطمئنت الجماهير بعض الشيء لموقف الادارة ، كما انه
بإشتراك جميع الأحزاب السياسية توفرت دواعى التنافس والجدية في هذه
الانتخابات التي جرت في ٣ يناير ١٩٥٠ .

أضف الى ذلك ان الشعب كان قد بلغ به الغضب مداه من خضوع
الحكومات المتتالية التي أعقبت الوفد منذ ١٩٤٤ خضوعاً مطلقاً للقصر ،
الذي رأى فيه الشعب عقبة في سبيل استقرار الحياة النيابية ، ولذا نجد في
هذه الانتخابات حماساً نوعاً ما في اقبال الناخبين للمشاركة فيها على أمل ان
تأتى بحكومة شعبية تكون منقذاً لما أصاب البلاد على يد الحكومات
غير الشعبية ، كما كانت الجماهير ترجو أن يقلع الوفد عن كل ما سبب
ابتعاد فئات كثيرة عنه .

لكل هذه الأسباب السابقة نلاحظ أنه ولأول مرة منذ آخر انتخابات
نيابية سليمة لعام ١٩٢٩ ترتفع درجة المشاركة السياسية من قبل المصريين
في الانتخابات لتصل إلى ٦١ في المائة من مجموع الناخبين المسجلين (١) ،
وهي نسبة سليمة تؤكد نتائج الانتخابات التي عبرت بصدق عن موقف
المصريين من القوى السياسية في ذلك الوقت ، ولعل هذه هي المرة الأولى

(١) على الدين هلال ، المصدر السابق ص ٣٠٥ .

منذ انتخابات عام ١٩٢٤ أمكن فيها لارادة الشعب أن تعبر عن نفسها دون تزييف .

وتولى مصطفى النحاس الحكم بعد هذه الانتخابات ، وسرعان ما اتضح للشعب أن حكومة الوفد غير راغبة في اثراء الحياة النيابية ، فكانت هذه اضر انتخابات نيابية حيث قسام الجيش بالسيطرة على الحكم صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ليعلم على الشعب ان أحد أهدافه الستة هي « اقامة حياة نيابية سليمة » ، وبدأت مرحلة جديدة من حياة الشعب المصري .

ثانياً : دور القضية الوطنية في الانتخابات النيابية

لعبت القضية الوطنية دورا هاما في تحديد موقف المصريين تجاه الانتخابات النيابية التي جرت حتى عام ١٩٥٢ ، واعتبرت الجماهير الانتخابات أمرا يتصل اتصالا مباشرا بكفاحها من أجل الاستقلال ووسيلة دستورية لتحقيق هذا المطلب ، من خلال نواب يتم انتخابهم وفق معيار دورهم في الحركة الوطنية ، وكان سعد زغلول قد تولى قيادة الأمة في دور من أهم أدوار حياتها القومية ، وجمع حوله منذ أواخر ١٩١٨ جموع الشعب المصري ولم تتغير نظرة الأمة لقيادته في بداية العهد النيابي كثيرا من تلك النظرة التي سبق النظر بها اليه إبان الثورة ، بل اعتبرته الشخص الوحيد القادر على تحقيق الاستقلال .

وكما شارك الفلاحون مشاركة فعالة في ثورة ١٩١٩ كانت هيئة الناخبين في الريف المصري القوة المؤثرة في الانتخابات النيابية الأولى وهذا ما أفصح عنه جريدة الأهرام عندما اشارت إلى مايقع على عاتق الأعيان والعمد من مسئولية لما لهم من دور قيادي بين قومهم . (١)

وكان للصحافة وانتشارها بين الشعب اثرة الكبير في زيادة وعيه السياسي وربط ذلك بدرجة المشاركة السياسية في الانتخابات ، لما لهذه المشاركة

(١) الأهرام في ٨ يناير ١٩٤٢ .

من أهمية مستقبل القضية الوطنية ، فقد نشرت الصحف في أول العهد النيابي الكثير من المقالات التي توضح للشعب دوره الهام في نجاح الانتخابات ، وعلى حسن اختيار النواب وخاصة للدورة النيابية الأولى ، وكان ذلك في صورة نداءات منها « ضمير الأمة والانتخابات » « إلى شباب مصر الناهض » « اليوم يوم الأمة » (١) ، ولقد أدرك سعد زغلول أهمية الدور الذي يلعبه هيئة الناخبين في الريف في الانتخابات النيابية ، فأخذ يركز نشاطه أكثر ما ركز من خلال أعضاء الوفد على الريف المصري وأعيانه وعمده ، وكان هذا من أهم أسباب النجاح الذي لاقاه حزب الوفد في حملته الانتخابية بخلاف حزب الأحرار الدستوريين والحزب الوطني ، فكلاهما لم يوجها اهتماما كافيا إلى جماهير الريف بل كان نشاطهما في الغالب بالمدن .

وكان التفاف الشعب حول سعد زغلول والوفد لدوره القيادي في الحركة الوطنية له الأثر الأكبر في الفوز الساحق الذي حققه في الانتخابات النيابية الأولى ، كما كانت عودة سعد زغلول من المنفى أثناء المعركة الانتخابية سببا في تعاظم المشاركة السياسية للمصريين بصفة عامة .

وكان افتقار القوى السياسية الأخرى التي نافست الوفد في الانتخابات لشخصية قيادية مثل شخصية سعد زغلول سببا من أهم أسباب فشالها في الانتشار بين الجماهير ، وكان خروج الأحرار الدستوريين على قيادة سعد للحركة الوطنية كفيلا لابتعاد الجماهير وخاصة في الريف المصري عنهم ، خاصة وان شخصية عدلى يكن لم ترق إلى مستوى شخصية سعد زغلول في نظر الشعب ، فكان سعد زغلول زعيمهم المفضل .

والغريب في الأمر أن سعد زغلول الذي لم يقدم إلى المصريين — بالنسبة لقضية الاستقلال — إلا البرنامج الذي كان الحزب الوطني ينادى به ، إلا أنه قد استطاع الحصول على وكالة الأمة ، بل أنه تمكن من إقناع الشعب بعدم جدوى العناد في موضوع « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » الذي كان الحزب

(١) سلسلة لمقالات الأهرام حتى يوم ١٢ يناير ١٩٢٤ .

الوطني يتمسك به ، طالما أن بريطانيا أقوى من مصر (١) . هذا وفي الوقت الذي افتقر فيه الحزب الوطني إلى الشخصية الكبيرة الكف ، بعد موت مصطفى كامل ثم نفي محمد فريد ، وجهت سياسة الحزب برئاسة محمد حافظ رمضان لمقاومة سعد زغلول وسياسته الخارجية ، ولذا تضاعف التأثير السياسي للحزب الوطني بين الجماهير ، خاصة وأنه اعتمد على الطبقة المثقفة في المدن الكبرى متجاهلاً الفلاحين الذين أصبحوا في أعقاب ثورة ١٩١٩ على درجة معقولة من الوعي السياسي . (٢)

كما أثبتت الانتخابات النيابية بصفة عامة عدم جدوى استغلال الفوارق الدينية على حساب الوحدة الوطنية وقضية الاستقلال في التنافس حول مقاعد مجلس النواب ، وفشل الذين كانوا يبنون حساباتهم على أن الجماهير تدخل الذين كعنصر من عناصر إختيار المرشحين ، وفاتهم أن الشعب ينتظر مجلساً للنواب قائم على أساس مصري شامل بغير تفريق بين مسلم وقبطي ، والعبرة في الإختيار هي خدمة القضية الوطنية ، ولذا كان فشل الأحرار الدستوريين فشلاً ذريعاً ، حيث أعدوا خططهم للفوز في الانتخابات فيما أعدوا من خلال استخدام الفوارق الدينية حيث أن الوفد يضم في قيادته الكثير من الأقباط . (٣)

وأثبتت نتائج الانتخابات وفوز ١٤ مرشحاً قبطياً من أنصار سعد زغلول على تمسك الجماهير بروح التآخي بين المسلمين والأقباط ، تلك الروح التي كانت من أهم مظاهر ثورة ١٩١٩ ، وقد دل مسلك الشعب هذا على وعي سياسي أصيل لقضية الوطن الجوهري ، وكان ذلك دحراً لمن لم يتفهموا واقع الجماهير . (٤)

(١) جاكوب لاندو ، الحياة النيابية والأحزاب في مصر ، ترجمة سامي الليثي ، مكتبة مبولي القاهرة (بدون تاريخ) ص ١٣٦ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) طارق البشري ، المسلمون وأقباط في إطار الجماعة الوطنية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٢٠٤ .

(٤) الأهرام في ١٦ يناير ١٩٢٤ .

واستمر تأييد الشعب للقيادة الوطنية ملحوظاً في الانتخابات النيابية الثانية ، وكانت قيادة سعد زغلول غامرة شاملة وغدا الوفد في نظر الجماهير ليس مجرد حزب بل أصبح فكرة تنطوي تحتها أغلبية جماهير الشعب ، ورأت الجماهير كيف أن سعد زغلول يمثل الفكرة الوطنية والمطالبة بالاستقلال يقف صامداً في وجه الاحتلال ويرفض إنداراتهم ويستقبل من الحكم تحت الضغط الانجليزى ، فناصرته رغم تدخل وزارة زيور في حرية الانتخابات ، وكان الشعب عنيد فقابل حزب الاتحاد التابع للحكومة بالسخط والاستنكار ، وأثبتت النتائج أن إرادة الأمة تنتصر في النهاية ، ففاز الوفد رغم التدخل بنسبة تزيد على ٥٥ في المائة على الأقل من مقاعد مجلس النواب لعام ١٩٢٥ ، وإذا قارنا هذه النسبة بالنسبة التي حصل عليها الوفد في عام ١٩٢٤ وهي ٩٠ في المائة ، نجد أن هناك نسبة لا تقل عن ٣٥ في المائة من مقاعد مجلس النواب قد خسرها الوفد في عام ١٩٢٥ نتيجة للتزييف الذي مارسته وزارة زيور لإرادة الشعب .

ولقد أكدت الانتخابات النيابية لعام ١٩٢٦ قيمة العامل الشخصي في السياسة ، وأن شخصية الزعيم تؤثر في نفوس الشعب وفي حركته أشد تأثير ، وكانت زعامة سعد زغلول والمنزلة التي نالها في نفوس المصريين كفيلة لتحقيق فوز الوفد بالرغم من انخفاض درجة إقبال الناخبين على صناديق الاقتراع نتيجة اتفاق الأحزاب حول تقسيم مقاعد مجلس النواب ، وبالتالي انعدام مبدأ التنافس بين المرشحين . فقد حصل حزب الوفد على ٦٨ في المائة من أصوات الناخبين الذين شاركوا في الانتخابات النيابية الثالثة . (١)

وهذه النسبة الكبيرة التي حصل عليها الوفد رغم دوره السلبي في إفساد حرية الاختيار أمام الجماهير ، يدل على أن الشعب المصرى كان ولا يزال يعتبر سعد زغلول هو الشخص الوحيد القادر على جمع الجمهور حوله تحت لواء تحقيق الاستقلال التام .

(١) على الدين هلال ، المصدر السابق ، ص ٣٠١ .

ورغم وفاة سعد زغلول عام ١٩٢٧ فقد تمتع حزبه بشعبية قوية بين هيئة الناخبين ، ووجد حزب الوفد أن الجماهير ما زالت مستعدة لأن تضحي من أجله لنصرته ونصرة قضية الاستقلال التام إذا تمسك خلفاء سعد زغلول بأسلوبه في الكفاح ضد الاحتلال ، ونجح مصطفى النحاس في إقناع الجماهير بثبات الوفد على مبدأ الزعيم سعد ، ولذا توفرت أهم أسباب نجاح الوفد في انتخابات ١٩٢٩ ، فقد حصل فيها على ٦٠,١ في المائة من أصوات الناخبين ، ولعل الجماهير أرادت بهذه النسبة أن تؤكد وقوفها بجانب خلفاء سعد وفي قيادة الحركة الوطنية من أجل الاستقلال ، ولنفس السبب قاومت انتخابات ١٩٣١ التي أراد من ورائها اسماعيل صدقي صنع مجلس نواب يتألف أعضائه من عملاء للقصر والاحتلال ومن خلال استطلاع للأهram في انتخابات ١٩٣٦ اتضح أن معظم الناخبين قد انتخبوا الوفد على أمل أن يحقق جلاء الاحتلال الإنجليزي عن أرض الوطن ولذا كان فوز الوفد بنسبة ٦٢,١ في المائة من أصوات الناخبين . (١)

بعد إبرام معاهدة ١٩٣٦ بدأت مرحلة جديدة في التنافس بين الأحزاب السياسية للحصول على تأييد الجماهير في الانتخابات ، فلم يعد الوجود الإنجليزي هو الميدان ، حيث كان هذا الوجود من أهم عوامل التأثير المباشر في اتجاهات الناخبين ، أما وقد أبرمت المعاهدة بين مصر وإنجلترا ووصفها زعيم حزب الأغلبية « بمعاهدة الشرق والاستقلال » فقد جعلت إمكانيات تدخل الإنجليز في المسائل المصرية الداخلية محدودة للغاية وإلا اتهموا بخرق المعاهدة (٢) . ولذا بدأ الوفد يعاني من المرحلة الجديدة ، وبدا وكأنه قد فقد سبب قوته بل من أهم أسباب وجوده بن الجماهير بعد توقيع المعاهدة وما صاحبها من اعتقاد من أن القضية المصرية قد حلت . (٣)

ونتيجة للتطور السياسي الجديد ، وظهور خلافات وانشقاقات داخل

(١) الأهram في ٣ مايو ١٩٣٦ .

(٢) يونان لبيب رزق ، المصدر السابق ص ٣٨٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٩١ .

صفوف حزب الوفد ، وخروج عناصر ذات شعبية كبيرة بحكم ماضيها في الجهاد الوطني ، وبحكم تواجدها في مراكز القيادة منذ ظهور الوفد نفسه ، أخذت الجماهير تجس بالخبرة في الوقوف على حقيقة الدور الجديد الذى يلعبه حزب الأغلبية في قيادة الحركة الوطنية ونجح الأحرار الدستوريون في استغلال موقف الخبرة هذا الذى أصاب الجماهير في انتخابات عام ١٩٣٨ لإبعاد بعض الناخبين عن الوفد . . زادت حيرة الجماهير عندما لاحظت أن الحزب الكبير أصبح في حالة تهادن مع الإنجليز وأصبح غير قادر على قيادة الحركة الوطنية بنفس قوة الدفع التى كانت عليها قبل عام ١٩٣٦ ، كما أخذت الجماهير تشعر بالمرارة عندما اتبع أسلوب التدخل في انتخابات عام ١٩٤٢ من جانب حزب الوفد ، وأن الوفد أخذ يتبع سياسة إرضاء القصر فكان لكل هذا أثره السيئ في نفوس الشعب أدى إلى تدهور سمعة قيادة الوفد وإلى مزيد من ابتعاد الجماهير وعزوفهم . (١)

فكانت نتائج الانتخابات النيابية التالية خير دليل على ذلك الانفصال الذى حدث بين الوفد وبين القاعدة الجماهيرية ، عندما حصل حزب الوفد على ٥٨,٣ في المائة من أصوات الناخبين ، في انتخابات عام ١٩٤٢ التى جرت في عهد حكومة الوفد نفسه ودون منافس حقيقى فيها ، ثم انخفاض نسبة تأييد الجماهير للوفد في انتخابات عام ١٩٥٠ لتصل إلى ٥٤,٥ في المائة من مجموع أصوات الناخبين ، وخاصة في الريف المصرى الذى بدأ يعاني من تغلغل عناصر إقطاعية لا تنتمى إلى تقاليد الوفد ، وهذه النسبة من الأصوات تعتبر ملىاً أقل مستوى انخفضت إليه شعبية الوفد بين القاعدة الجماهيرية منذ بداية الحياة النيابية في عام ١٩٢٣ .

(١) حل الدين هلال ، المصدر السابق ص ١٨٤ .

نتائج الدراسة :

من خلال هذه الدراسة الموجزة لموقف المصريين من الانتخابات النيابية في الفترة من ١٩٢٣ إلى ١٩٥٢ نستطيع أن نصل إلى النتائج الثلاث الآتية :

أولاً : -

كان الوعي السياسي ملحوظاً بدرجة كبيرة لدى الشعب المصري في الانتخابات النيابية من خلال مساندته للزعامة التي تقود نضاله ضد الاحتلال الأجنبي ، وتسعى لتحقيق الاستقلال ، وتقف بصلافة في وجه تصرفات القصر اللادستورية ، وكانت درجة المشاركة السياسية في الانتخابات تعبر بصدق عن إرادة الجماهير وآمالها ، فكانت تناصر فقط من ترى فيهم ممثليها الحقيقيين ذلك عندما كانت تتوافر لها ضمانات حرية الاختيار وكانت الانتخابات النيابية المظهر الدستوري المتاح للتعبير عن الإرادة الشعبية ، فكانت هذه الإرادة تنتصر عندما تجرى انتخابات حرة ، وكانت تقهر عندما تجرى الانتخابات في جو من الإرهاب والتزييف .

ثانياً : -

أساء الكثير من قادة الأحزاب السياسية فهم سلوك الشعب المصري تجاه الانتخابات ، وأساءت بعض الوزارات فهم طبيعة الحكم ، واعتبروه حقهم وليس تكليفاً من الشعب ، ونظر بعض الحكام إلى الشعب وكأنه لم يبلغ من الرشد بعد ، ولهذا عملوا على تعزيز مراكزهم باتخاذ وسائل لا تتفق وإرادة الشعب ، وكانت الانتخابات النيابية إحدى أهم المجالات التي مارست فيها الكثير من الوزارات أساليب التدخل بكل أشكاله حتى لا تعطى الإرادة الجماهيرية الفرصة للتعبير عن نفسها .

ولم يفهم بعض الحكام أن الأمة تؤيد الأحزاب التي نشأت من القاعدة الشعبية ، وأهمية هذه القاعدة الشعبية للأحزاب نفسها ، وأن الجماهير تنصرف عن الأحزاب التي خرجت من كواليس القصر والحكم ، أو الأحزاب التي

تجاهلت نضال الشعب ، ولعل انتخابات ١٩٢٥ تثبت تلك الحقيقة :
كما يتضح لنا في ضوء الانتخابات الخمس التي استهانت فيها الحكومات
تماماً بإرادة الجماهير أن رؤساء اللجان إحدى وسائل تزييف الإرادة ،
فالناخبون الذين لا يعرفون القراءة والكتابة يكادون يبلغون ٧٠ في المائة من
مجموع الناخبين ، وهؤلاء أفضوا إلى رؤساء اللجان بأسماء من يريدون
انتخابه ، فإذا كان رؤساء اللجان الانتخابية هذه موجهين أصلاً من قبل
الحكومة لإقنا ما للجان الانتخابية من أثر في توجيه نتيجة الانتخاب وكل
وزارة كانت في الحكم كان في مقلورها الحصول على الأغلبية في مجلس
النواب ، ولا يهم أن هذه الأغلبية لا تعبر عن إرادة الشعب أو أن هذه
الأغلبية لا تمثل موقفه الحقيقي من الانتخابات ، وهذا يؤكد أن ٥٠ في المائة
من الحكومات التي أجرت الانتخابات النيابية العشر لم تراع بأى شكل من
الأشكال حق الاختيار الذي كفله الدستور للشعب .

ثالثاً : —

لم تعكس المجالس النيابية العشرة التي تكونت في الفترة من عام ١٩٢٣
إلى عام ١٩٥٢ موقف المصريين من انتخاباتهم ، فكان نصف هذه المجالس
على الأقل ضد إرادة الشعب ، وكان أبرز هذه المجالس غير الشعبية مجلس النواب
الذي تم انتخابه في ظل دستور صدقي في عام ١٩٣١ ، ومجلس النواب التي
جرت انتخاباته باليد الحديدية لوزارة محمد محمود عام ١٩٣٨ .

كما انعكس على بعض المجالس النيابية إرادة القصر الذي كان له دوره
في إفساد الحياة النيابية ، كما كان الوجود الإنجليزي أحد عوامل اضطرابها
وتترك آثاره السلبية عليها ، فكثيراً ما أدى تدخل القصر والإنجليز الذي كان
يبدو حيناً ويخبو أحياناً إلى عدم استقرار المجالس النيابية من خلال الضغط
لإخراج الحكومات الشعبية من الحكم ، والإتيان بحكومات تراعى مصالح
القصر والوجود الاحتلالي ، ولذا كثر تعدد الانتخابات النيابية في فترات
زمنية متقاربة ، مما ساعد على تولد نوع من اللامبالاه وانسائية تجاه الحياة
النيابية لدى بعض الناخبين .

فبالرغم من النضج السياسى لغاليتها الذى كان نتيجة طبيعية لتلك المشاركة الشعبية الواسعة فى ثورة ١٩١٩ ، فقد لمسنا فى الانتخابات النيابية أن الناخب العادى كان فى بعض الأحيان يعجز عن تقدير المرشح المناسب لشغل مقعد بمجلس النواب ، ذلك المكان الخطير ، الذى يتطلب فيمن يشغله صفات خاصة ، كان توافرها فى الكثير من المرشحين أمراً غامضاً على البعض من عامة الشعب ، ولذا فغالباً ما كان انتخاب نائباً معيناً يتم بدافع من الحزبية أو العاطفة القبلية ، أو لمجرد التخلص من واجب دعتة إليه السلطات .

ولعل الحكومات كانت راضية عن عدم إدراك بعض الناخبين لأهمية اختيار النائب ، وإلا لحاولت تأهيل وترشيد هيئة الناخبين من عامة الشعب لدورهم السياسى الهام فى ممارسة حق الانتخاب كهيئة قادرة على فهم الغرض المقصود منه .

كلمة أخيرة فى هيئة الناخبين

كما أننا يجب أن نقرر أن غالبية هيئة الناخبين كانت مظلومة بين أفعال الانجليز والقصر والأحزاب ، وكانت حائرة فى فهم اللعبة السياسية الدائرة بين القوى الثلاث ، واشتدت حيرتها بعد موافقة الأحزاب السياسية - ما عدا الحزب الوطنى - على المعاهدة المصرية الإنجليزية لعام ١٩٣٦ ، وشعرت فئات كثيرة من الشعب أن قيادات الأحزاب لا يهتمها إلا الوصول إلى الحكم والبقاء فيه ، خصوصاً وقد تلاشت أسباب نشأتها بعد إقرار المعاهدة ، ومن هنا ظهرت بوادر اتجاهات أيديولوجية جديدة لأحزاب وجماعات خرجت على المسرح السياسى لكى تريد اللعبة السياسية تعقيداً أمام الشعب المصرى . وتتلر بمرحلة تغير جديدة بدأت فى يوليو ١٩٥٢ .

وضعية الكويت الدولية
بالنسبة للدولة العثمانية
دكتورة . ميمونه خليفة الصباح
جامعة الكويت

الارتباط الاسمي بالدولة العثمانية :

تعتبر الكويت أقرب امارات الخليج العربي للوجود العثماني القائم في العراق إلا أنه لم يثبت وجود سيطرة عثمانية فعلية عليها . وقد اقتصر الأمر على مجرد نوع من التبعية الاسمية ، وذلك أن المستوطنين الاول في الكويت من العتوب بزعامه آل الصباح لم يجدوا مناصباً من تأمين مركزهم بالاعتراف بشيء من الولاء للوالي العثماني في العراق (١) . وذلك في بداية مرحلة استقرار العتوب في الكويت (٢) . وبذلك أقرت الكويت للدولة العثمانية نوعاً من السيادة الاسمية دون أهمية تذكر لتلك السيادة ولا تدخل من جانب الدولة العثمانية في الشؤون المحلية (٣) .

وكان التحرر من التبعية العثمانية عاملاً سائداً ومؤكداً في سياسة شيوخ الكويت (٤) وحتى حين يتعرضون للخطر الخارجي فإنهم لا يلجئون إلى الدولة العثمانية وإنما يعتمدون على أنفسهم في رد ذلك الخطر ، وهذا ما حدث حين تعرضت الكويت للهجمات الوهابية في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن العشرين .

(١) د . جمال زكريا قاسم - الخليج العربي (دراسة لتاريخ الإمارات العربية) (١٨٤٠ - ١٩١٤ ص ٢٥٥ القاهرة ١٩٦٦ .

(٢) د . مصطفى النجار - التاريخ السياسي لعلاقات العراق النولية بالخليج العربي - ص ٣٨ (منشورات مركز دراسات الخليج) - البصرة - عام ١٩٧٥ .

(٣) سيد نوفل - الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي - ص ١٥٢ - ١٩٥٣ .

(٤) F.O./78/5113 India Office to foreign Office. 24 March 1897 (٤)

ولتأكيد استقلال الكويت عن الدولة العثمانية فأننا نجد أن هناك حتى من المسؤولين العثمانيين أنفسهم من يعترف بهذا الاستقلال وذلك ممثلاً في مدحت باشا (والى بغداد منذ ١٨٦٩م) الذى اعترف باستقلال الكويت على الرغم من أنه كان يعمل منذ توليه ولاية بغداد على تنظيم علاقة العراق العثمانى بالخليج العربى بحيث يضمن سيادة الدولة العثمانية على الكويت وبقية امارات الخليج العربى والجزيرة العربية . وقد جاء اعتراف مدحت باشا فى مذكراته (ترجمة جاله) (١) حين ذكر فى معرض وصفه لأحوال الكويت . «ومع أن جميع أهلها مسلمون الا أنها لم تكن مرتبطة بأية جهة ، وبالرغم من محاولات نامق باشا والى السابق للاحاقها بالبصرة (٢) ، وتشبته بادارتها عن طريق تكليف أهلها بقبول ذلك ، الا أنها لتمتعها بإدارة مستقلة مستثناه مجردة من جميع التكاليف ، وخشية من تحميلهم الضرائب ورسوم الجمارك لم يوافقوا على تغيير حالهم وفضلوا البقاء على وضعهم . . وبالنظر لمساعدة موقعهم الجغرافى فانهم يؤلفون مملكة أشبه ما تكون بالجمهورية حيث يحكمون أنفسهم بأنفسهم منذ القدم . . . وكانت سفنهم تبحر للتجارة غالباً تحت الراية الخاصة بمملكته (٣) إلا أنهم يضطرون فى بعض الأحيان إلى رفع العلم (الهولندى) تارة والآنجليزى تارة أخرى لتأمين سلامتهم » .

وبالإضافة إلى هذا الاعتراف من أحد كبار المسؤولين العثمانيين (مدحت باشا - والى بغداد) فأننا نجد عدم وجود دلائل لتبعية الكويت للدولة العثمانية كدفع الضرائب والخراج (٤) فضلاً عن عدم وجود حاميات عسكرية

(١) مذكرات مدحت باشا (ترجمة جاله) من وثائق وزارة الخارجية الكويتية .

(٢) كان العراق يشكل ولاية واحدة ولكن فصلت ولاية البصرة عن بغداد عام ١٨٧٥م واعيد توحيدها عام ١٨٨٠ ثم فصلتا مرة أخرى عام ١٨٨٤ وكانت ولاية الموصل قد فصلت قبل ذلك عام ١٨٧٨م لذا يجب مراعاة الفترة الزمنية بين قول ولاية بغداد أو ولاية العراق .

(٣) قد يقصد بالراية الخاصة ، الراية العثمانية مع وضع كلمة « كويت » على أحد جانبيها تمييزاً لها أو هى الراية الخاصة بالفعل أى الراية الحمراء تتوسطها كلمة « كويت » .

(٤) F.O. 78/5113 Viceroy to Foreign Office. telegraphic 12 Feb. 1899

أو مراكز عسكرية عثمانية (١) . أو موظفين عثمانيين رسميين في الكويت بل أن الشيخ مبارك رفض في وقت لاحق محاولة الدولة العثمانية لتعيين مدير عثماني لميناء الكويت (٢) . كما أن شيوخ الكويت أجاروا التأثيرين على السلطات العثمانية (٣) . كما سنرى - وهذا دليل واضح لاستقلالها عن الدولة العثمانية - كما لا يوجد أى اتصال فعلى بين الكويت والدولة العثمانية . وظل أمراء الكويت بمنأى عن السيطرة العثمانية يشكلون وحدة مستقلة حرصت على حريتها وازدهار تجارتها (٤) .

إلا أن هذا الاستقلال لم يمنع وجود تعاطف ومودة من شيوخ الكويت للدولة العثمانية على أساس تقارب روحي انطلاقاً من كونها دولة الخلافة ومن كون السلطان يمثل رأس العقيدة الإسلامية . وهذا مانلمسه من خلال تتبعنا للأحداث .

التقارب بين الكويت والدولة العثمانية :

استمرت العلاقات الودية بين الكويت والدولة العثمانية بل زاد تعاطف وتقارب الكويت معها في عهد الشيخ جابر بن عبد الله الصباح فبعد رفعه للعلم العثماني منذ عام ١٨٢٩م أكد تعاطفه مع الدولة العثمانية بشكل عملي حين ساهم معها بفاعلية عام ١٩٣٦م في القضاء على خروج أهل الزبير على السلطة العثمانية كما اشترك في العام التالي ١٨٣٧م مع علي رضا في الاستيلاء على المحمرة . وكان هذا التطور الكبير في تعزيز العلاقات الكويتية بالدولة العثمانية إلى جانب ملمسته الأخيرة من قوة الكويت البحرية من الأمور التي

F.O. 78/5114 From Sir O'Connor to the Marquis Salisbury, (١)
N. 440 9 Sept. 1899. Secret.

F.O. 78/5114 Foreign Office to Viceroy. No. 6 Secret., 9 ept. (٢)
1899.

(٣) د . جمال زكريا قاسم - المصدر السابق - ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٤) البيان الثالث لحكومة الكويت (بمناسبة مطالبة عبد الكريم قاسم بضم الكويت) .

الصادر بتاريخ ١٥-٧-١٩٦١ .

دعها إلى أن تطلب من الشيخ جابر حماية ميناء البصرة . وقد قبل الشيخ جابر حماية البصرة وذلك عام ١٨٤٥م فأجرت له الدولة العثمانية مقابل ذلك راتبا سنويا كان يدفع له من خزينة ولاية البصرة بالاضافة إلى مائة وخمسين كارة من التمر (١).

توطدت العلاقات الطيبة التي أقامها الشيخ جابر مع الدولة العثمانية في عهد خلفه الشيخ صباح (١٨٥٩ - ١٨٦٦م) بل توثقت بصورة أكبر الا أن ذلك لم يمنع أن تستبدل الكويت الراية العثمانية التي كانت ترفعها على سفنها بالرايات الأجنبية . ولم يكن ذلك بدافع عدم الولاء . وإنما كان اجراءاً وقائياً اقتضته ظروف الكويت الاقتصادية بعد أن تلقت السفن الكويتية معاملة غير طيبة في بومباي نتيجة رفعها الراية العثمانية مما دفعها إلى تغيير أعلامها بأعلام أجنبية ولكن يجب أن نؤكد هنا أنه في الوقت الذي لم يكن فيه استبدال الراية العثمانية براية أجنبية يعنى عدم الولاء للدولة العثمانية فإن رفع الراية العثمانية لم يكن يعنى اعترافاً من الكويت بالتبعية العثمانية وكانت الكويت تعمل على نموها السياسى وازدهارها الاقتصادى برغبة أكيدة ، لتأكيد شخصيتها المستقلة عن كافة الأطراف حتى عن الدولة العثمانية . لذلك فإنه لم يحدث أن طالبت المساعدة قط من الدولة العثمانية في وقت الأزمات والأخطار التي تتعرض لها حتى أنها صدت الهجمات التي تعرضت لها بنفسها . كما أضحت الكويت ملجأ للعراقيين والعرب الفارين من الأتراك (٢) . لذا لقيت محاولات نامق باشا والى بغداد عام ١٨٦٦م لتحويل سيطرة الباب العالى الأسمى على الكويت إلى سيطرة فعلية معارضة شديدة من جانب آل الصباح مما استدعى نامق باشا إلى طلب سفينتين مسلحتين من القسطنطينية للوقوف في وجه معارضة حكام الكويت (٣) .

Brydges, Wahabauby Vol. II, p. 19, London 1834

(١)،

(٢) سيف مرزوق الشعلان - من تاريخ الكويت (من مذكرات مدحت باشا) ص ١٣٥

، ص ١٣٦ .

(٣) د . مصطفى النجار - المصدر السابق - ص ٤٨ .

ومع ذلك فقد اعترف الشيوخ من حكام الكويت في كثير من الأحيان بنوع من التبعية للدولة العثمانية والتي لم تكن تعنى أكثر من التبعية الاسمية .

ويفسر بعض المؤرخين تقرب حكام الكويت في تلك الفترة من الدولة العثمانية وتعاطفهم معها ، على انه اعتراف منهم بالتبعية العثمانية الفعلية ، ودليالهم على ذلك تعاطف الشيخ جابر بن عبد الله الصباح مع الدولة العثمانية ورفع الراية العثمانية على قصره عام ١٨٢٩م في مواجهة محاولة بلحا الانجليز لمد نفوذهم إلى الكويت (١).

وتناسى اولئك المؤرخين ان رفع الكويت للراية لم يعن اعترافا بالسيادة العثمانية بل انها وبقيت امارات الخليج العربي (كما يذكر كولونيل كامبل Col. Camball المقيم السياسي البريطاني في الخليج) كان يصعب على سفنها ان تبجرت تحت اعلامها الخاصة نظرا لعدم وجود اعتراف دولي بهذه الاعلام . كما ان علم الدولة العثمانية لم يكن يقترن في الازمان بالدولة العثمانية بل كان يمثل الراية الاسلامية وهي مظهر رוחي لاحترام دولة الخلافة الاسلامية (٢).

واكد كامبل استقلال الكويت عن الدولة العثمانية حيث استدل من واقع الامور على ان سكان الكويت قاوموا بنجاح جميع المحاولات التي بذلتها الدولة العثمانية لوضع الكويت تحت سيادتها وتحت نفوذ القضاء العثماني وانهم حافظوا على استقلالهم . واكد كامبل على انه حقيقة ان سكان الكويت يعترفون بالسيادة العثمانية الا أن ذلك لا يتعدى كونه اعترافا اسميا (٣).

ونضيف إلى الحجج المقنعة التي أوردها كامبل لتأكيد استقلال الكويت حجة أخرى قد تكون أكثر إقناعاً وهي أنه من دلالات استقلال الكويت عن الدولة العثمانية خلال القرن الثامن عشر انتقال نشاطات وكالة شركة الهند الشرقية إلى الكويت إبان حصار الفرس للبصرة في الفترة بين ١٧٧٥-١٧٧٩م.

(١) حافظ وهبه - جزيرة العرب في القرن العشرين . ص ٨٣ - القاهرة - ١٩٦٧ .

(٢) Whigham : The persian problem. PP. 101-103. London 1903

(٣) Frazer Iovat : India under Curzon and after, PP. 97-98. London.

ثم التجاء متسلم البصرة مصطفى أغا وأخوه معروف أغا وثويني باشا إلى الكويت على أثر محاولة الأول الاستقلال بالبصرة عن ولاية بغداد بعد مواجهة هذه المحاولة بحملة وإلى بغداد عام ١٧٨٠ م (١) .

وأخيراً انتقل الوكالة البريطانية إلى الكويت في ٣٠ أبريل عام ١٧٩٣ حيث ظلت بها حتى أغسطس عام ١٧٩٥ م نتيجة لخلافات بينهم وبين الموظفين العثمانيين (٢) . ونجد أن كل هذه الدلالات تتجدد في القرن التاسع عشر حين تصبح الكويت ملاجئاً للفارين من الأتراك ، ثم انتقال الوكالة الإنكليزية مرة أخرى إلى الكويت في ٢٥ ديسمبر ١٨٢١ م عندما فرض باشا بغداد رسوماً مجحفة إلى جانب بعض المضايقات الأخرى (٣) . وللحدث الأخير دلالتان : الأولى أن موظفي الوكالة ارتاحوا للتعامل مع الكويت أثناء انتقال نشاطهم إليها خلال احتلال الفرس للبصرة ثم حين انتقلت الوكالة للمرة الأولى بين عامي ١٧٩٣-١٧٩٥ م والثانية والأهم : عدم خضوع الكويت لأية سلطة عثمانية وإلا كيف تنتقل الوكالة وهي بعثة أجنبية من ولاية عثمانية إلى أخرى .

محاولات مدحت باشا لادخال الكويت في ظل التبعية العثمانية :

لم يأخذ الأهتمام العثماني بالكويت حجمه الطبيعي الا عند تولى مدحت باشا ولاية بغداد عام ١٨٦٩ م . فراح يعمل على تأكيد نفوذ الدولة العثمانية في الكويت بشكل فعال ومفيد للدولة العثمانية . وقد تبلورت جهوده في العام التالي لولايته عندما استصدر فرماناً يقضي بإعلان الكويت سنجقا مستقلاً استقلالاً ذاتياً (٤) ، على أن تتبع ولاية بغداد وتشكل قضاءً عثمانياً تتوارثه

(١) Factory Records. Persia and persian Gulf. Vol 18 serial No : 1532 letter dated 17th April 1789.

(٢) Factory records. Persia Gulf. Vol 19 Letter No : 1652. 18th July 1785

(٣) د . فتوح الخترش : التاريخ السياسي للكويت في عهد مبارك - دراسة وثائقية مقارنة بالمؤرخين المحليين ، الطبعة الاولى - الكويت - منشورات ذات السلاسل - ١٩٨٥ .

(٤) Hogarth, David. Geolge Penetration of Arabia. p. 240.London

أسيرة آل الصباح (١) . فقد كتب مدحت باشا بهذا الشأن كتابا إلى الصدر الأعظم يصف فيه الكويت بأنها تبعد عن جنوبي البصرة مسيرة ساعة ، وأن عدد سكانها يتراوح ما بين ألفين وثلاثة آلاف عائلة وأنه كان يعتبر أحد مضافات البصرة ولكن بعد الشقة أدت إلى تركه ، فاكسب حكم جماعة مستقلة مع توالي الزمن ، وعرف بتكوينه وحدة مستقلة أشبه بالجمهورية ، وذكره في الخرائط على أنه مستقل وأهله من السنة ، وجلهم يشتغلون بالتجارة ، ويملكون نحو سبعائة أو ثمانمائة سفينة وإن أبائهم عن الارتباط بالبصرة لداع ما ، جعلهم ينفردوا ويستقلوا نوعا ما إداريا بوضع سوفت يؤدي بهم إلى ما حل بالبحرين بعد ما تسلط عليها الانكليز . وما سيؤدي إليه الوضع بساحل الحسا وقطيف من دون ريب ، « فان تسنى لنا وضعها تحت إدارة صحيحة من قبلنا ولعل القوة التي نحن بصدد انشائها في البصرة تسهل علينا تخليص ما يلي الكويت جنوبا ، ولربما وجد تبرير لوضع البحرين ، فبادرنا لوضع الكويت تحت الانضباط والإدارة العثمانية ، وسعينا إلى الاتصال والمخابرة وإيجاد وسائلها ، فمن ذلك قطعنا لتسهيل حصول المقصود العوائد المخصصة من البصرة لشيخ الكويت وذلك (١٥٠) كارة من التمرأي ما يساوي من حيث القيمة ١٦٠,٠٠٠ غرش (٢) ... » ويضيف مدحت باشا أنه عندما أرسل لحكام الكويت رسولا للاجتماع بشيوخ الكويت اتضح لديهم من كلامهم « أنهم يفخرون بالبيعة العثمانية ولكنهم يخشون الوقوع بسببها تحت التكاليف من أمثال الرسوم والجمارك ، » وأنهم يقرون بأن الدولة عليه في غنى عنهم ، وما مقصدها إلا حمايتهم والتصاحب (المساندة لهم) فبادر عبد كم وشرح لهم مقتضى الوضع طويلا وعرضا ، وأن القضية المذكورة أكثر أهاليها من الشافعية وبينهم من المالكية والحنابلة (٣) ، ينبغي

(١) جريدة الإصلاح (بيروت) العدد ٦٨ إنجلترا والكويت ١٥ يوليو سنة ١٩١٣ .

(٢) من وإلى بغداد إلى الصدر الأعظم (ص ١ م ١) في ٨ ذي القعدة ١٢٨٦ ١٨٦٩م

(ملحق رقم ١) .

(٣) خلافا لما يذكره مدحت باشا في كتابه فإن أهل الكويت من المالكية وهو مذهب

الكويت الرسمي .

أن يكون حكمهم (قضائهم) ونواب هؤلاء من الشافعية ، ويجب أن يحصلوا على اجازة من الدولة بشأن ذلك . وقد رفعوا عريضة يطلبون براءات لخطباء جوامعهم وعددهم خمسة ، . فسطرنا ما لزم من بيوريلدى (أمر) وسلمناهم اياها . وأبلغنا وزارة الداخلية الجليلية برقيا بعث البراءات . . وقررنا ارسال مائة نفر من الانضباط لتوكيد ارتباطهم بالدولة وعلقنا ارسالنا بمجيء القائمقام اللاحق وعودته قريبا من الحجاز - والأمر لحضرة من له الأمر .

وقد كتب الصدر الأعظم إلى السلطان مشيرا إلى ما جاء في كتاب مدحت باشا مؤيدا هذه الاجراءات ويستأذنه باتخاذ التدابير الواردة بها بشأن ربط الكويت بالدولة العثمانية ووجوب الزامها باظهار التبعية العثمانية ورفع العلم العثماني على المباني الرسمية (١) . ولقد استحسن السلطان هذه الاجراءات ووافق على اتخاذ اللازم بصدد هذا وذلك في كتاب من رئيس كتابه إلى الصدر (٢) . هذا وقد كان مدحت باشا يقدر موقف حكام الكويت وجنوحهم إلى الاستقلال لذلك عمل على اعفائهم من الضرائب بل قرر استمرار صرف الرواتب السنوية لهم من خزينة الدولة (٣) . وبالفعل طبقت مقترحات مدحت باشا الخاصة بربط الكويت بالدولة العثمانية ما عدا ارسال القوات العسكرية فان هذا الأمر لم يتم ولا نعلم السبب لعدم تنفيذه . وعلى الرغم من النتائج الايجابية لاجراءات مدحت باشا على صعيد توثيق علاقة الكويت بالدولة العثمانية الا أنه لم ينتج عنها تحويل في تبعية الكويت الاسمية للدولة العثمانية إلى تبعية رسمية فحتى لقب القائمقام كان يستعمل من قبل الدولة العثمانية وحدها ولم يكن حكام الكويت يستخدمونه ، وليس له أى مدلول في الكويت . وعلى أثر تطبيق الدولة العثمانية للاجراءات التي اقترحتها

(١) كتاب من الصدر الأعظم إلى السلطان العثماني بتاريخ ٢٥ ذي الحجة ١٢٨٦ هـ .

(٢) كتاب من رئيس كتاب السلطان ردا على كتاب الصدر الأعظم بتاريخ ٢٦ ذي

الحجة ١٢٨٦ هـ .

(٣) د . جمال زكريا تاسم - المصدر السابق - ص ٢٥٦ .

مدحت باشا بخصوص الكويت. باشر الأخير اتصالاته بشيخ الكويت عبد الله (الثاني) للاستعداد للحملة الشهيرة إلى الأحساء عام ١٨٧١م والتي كانت جزءاً من خطته وتطلعاته لتقوية النفوذ العثماني في الخليج وتبدأ بضم الكويت إلى ولايته في العراق مباشرة. وادخال التنظيمات العثمانية إليها . وقد اقترنت هذه السياسة التي اتبعها مدحت باشا في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر بظروف مواتية لتنفيذها ، فقد تم فتح قناة السويس عام ١٨٦٩م وبواسطتها أوجد خط ملاحى مباشر بين القسطنطينية والبصرة وأنشئت دار لبناء السفن في البصرة .

وعلى الرغم من أن الأهداف المعلنة لحملة مدحت باشا هي نصرة الأمير عبد الله الفيصل آل سعود على أخيه سعود وحماية طرق مواصلات الدولة العثمانية ما بين الأحساء والقطيف من جهة والأحساء والبصرة من جهة أخرى ، وتحسباً من أن ينجح سعود الفيصل في العمل ضد قواتها بحراً (١) إلا أنه إلى جانب هذه الأهداف كانت للحملة أهداف أساسية أخرى ، وهي تأكيد نفوذها على مساحات واسعة من الخليج العربي لا سيما بالنسبة للكويت الجارة القريبة ذات الموقع الإستراتيجى .

وبهذه المحاولات من مدحت باشا للتوسع في الخليج دخلت الدولة العثمانية في نزاع مع الحكومة البريطانية فجرت مراسلات طويلة بهذا الشأن بين الحكومتين ، نفت فيها الدولة العثمانية أن تكون لها نوايا توسعية أبعد من حدود نجد ، وعليه اعترفت الحكومة البريطانية عام ١٨٧٨ ، بالسيادة العثمانية على ساحل نجد الذى حددته بوكره وبدعه (٢) .

فكان موقف الحكومة البريطانية من حملة مدحت باشا وأهدافها التوسعية موقفاً سلبياً اعترفت فيه بالسيادة العثمانية على الكويت وأجزاء واسعة في

(١) Lutsky, Modern History of the Arab countries, p.114. (Moscow, 1969).

(٢) Altchison, Collection of treaties engagements and sanads Relating to India and Neighbouring countries Vol. X. P 115.

المنطقة حيث حدد بريدو (Prideaux) نائب المقيم السياسى فى الخليج
الموانىء المهمة الواقعة فى ظل الحماية العثمانية على أنها الكويت والقطيف
والعقير .

وإذا عدنا إلى حملة مدحت باشا نثبت أنه قدر أهمية الكويت القصوى
لسياسته التوسعية فى منطقة الخليج فى الوقت الذى كان متأكدا فيه من اصرار
شيوخ الكويت على الاحتفاظ باستقلالهم وعدم استعدادهم للتنازل عنه بأى
شكل من الأشكال لذا أولى مدحت باشا هذه الناحية الأهمية اللازمة لاسيما
ما يتعلق بالمخازير الكبيرة بالنسبة لموقع الكويت من متصرفية البصرة (١)
لذلك انتهز مدحت باشا فرصة وجوده بالبصرة فى طريقه إلى الأحساء
فدعا الشيخ عبد الله (الثانى) ولقت نظره إلى الأحوال والتطورات الزمنية
والمخاطر التى يتعرض لها موقع مملكتهم ، ودعاه إلى الارتباط بالبصرة متعهدا
له بسند رسمى بأن لايتحملوا لقاء ذلك أية ضريبة أو رسوك جركية ، وأن
يبقى الشيخ على رأس حكومته ، على أن يتولى القضاء والافتاء وغير ذلك
من الوظائف العامة رجال من أهل الكويت أنفسهم بمقتضى الأصول
والقواعد الجارية فى مملكتهم ، مع ابقاء القواعد الحكومية فيها على أصلها
دون تغيير ، وعلى أن تصدر البرأت (فرمان) من دار السعادة (أستنبول)
بتعيين أولئك المأمورين وإقامة الشعائر فى الجوامع . وبعد اجراء المعاملات
اللازمة لمربوطيتهم (الكويتيون) بالدولة العثمانية ، تركوا رفع الأعلام
الأجنبية على سفنهم ورفعوا محلها العلم العثمانى (٢) .

ثم مر محمد نافذ باشا (وهو القائد الذى أرسله مدحت باشا على رأس
الحملة) على الكويت سنة ١٨٧١م فى طريقه إلى الأحساء وطلب من الشيخ
عبد الله الصباح مساعدته فى حملته ، ففعل الشيخ وأعلن وقوفه إلى جانب
الدولة العثمانية ورفع العلم التركى ، وحث الحكام العرب الآخرين فى

(١) كانت البصرة فى ذلك الوقت متصرفية تابعة لولاية بغداد .

(٢) مذكرات مدحت باشا (ترجمة جاله) (من وثائق وزارة الخارجية الكويتية) .

الخليج العربي على أن يخلو حلوه (١) . وقد قاد الشيخ عبد الله الحملة البحرية بثانين سفينة ، وجهاز قوة برية بقيادة أخيه الشيخ مبارك (٢) .

وبعد أن انتصرت حملة مدحت باشا على الأحساء ونجحت في تحقيق أهدافها ذهبت حملة أخرى بقيادة شيخ الكويت عبد الله نحو قطر . وذلك بعد أن درس امكانيات هذه الحملة وخطط لها واستأذن صديقه الصدر الأعظم على باشا فنالت موافقته (٣) ، ذلك لأن تقدم القوات العثمانية نحو قطر كان سيخاق نوعاً من الصدام مع بريطانيا التي كانت قد عقدت معاهدة ١٨٦٨ مع قطر . وكانت تنظر إلى التوسع العثماني في مياه الخليج العربي كخطر كبير يهدد مركزها ونفوذها في المنطقة (٤) .

وقد نجحت تلك الحملة في تحقيق اغراضها السياسية دون أن تصطدم بالقوات القطرية بل انها على العكس من ذلك وجدت ترحيباً من الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني الذي أعلن انضمامه للأتراك على رأس ٣٠٠ رجل من قواته وعمد إلى رفع العلم العثماني على قطر (٥) .

وهكذا قدمت الكويت مساعدات عسكرية بحرية وبرية كبيرة لحملة محمد نافذ باشا التي أرسلها مدحت باشا إلى الأحساء ، وذلك بقيام الشيخ عبد الله الصباح بقيادة القوات التركية الكويتية في حملتها على قطر ف لعب دوراً سياسياً كبيراً - إلى جانب قيادته للحملة - ونجح بحنكته ودبلوماسيته في جعل الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني يقبل بالتبعية العثمانية ويعلن ولاءه للباب العالي (٦) .

(١) وثيقة رقم ٢٣ - مجموعة م ف ٢ - من وثائق حكومة الهند الموجودة بالمكتبة العامة .

(٢) رسالتى للماجستير ص ١٢ .

(٣) F.O.195, 1944, Letter no. 44. from Harbert to India office, 7 th Nov., 1871.

(٤) محمد عرابي نجله - تاريخ الأحساء رسالة ماجستير (غير منشورة) . .

(٥) د . عبد العزيز نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ١٧٤ .

(٦) الوثيقة السابقة (رقم ٢٣) .

وفي عام ١٨٧٨ اقترحت حكومة الهند أن تعترف الحكومة البريطانية بسيطرة السلطان على الأراضي الواقعة جنوب البصرة والعقير ولكن بشرط أن تستمر السيادة البريطانية على مياه ذلك الساحل (١). وقد وافق اللورد (سولزبرى) (Salisbury) وزير الخارجية البريطانية على هذه الفكرة وأصدر أوامره إلى السير هنري لايارد (Sir Henry Layard) السفير البريطاني في الآستانه بعرض هذه الفكرة على الباب العالي بشرط موافقة السلطان على حق السفن الحربية البريطانية بتفتيش السفن المحملة بالعبيد ومطاردة القراصنة حتى في المياه الإقليمية العثمانية (٢). وفي عام ١٨٨١ م صدرت أوامر إلى ضباط البحرية البريطانية بالعمل لمنع القراصنة حتى في المياه التركية. وكانت هذه الأوامر تشمل ساحل الكويت وقطر والחסاء. وقد أبلغ ناظر الخارجية التركية بذلك رغم أنه لم يبرم أى اتفاق رسمي بالموضوع حيث أن الباب العالي لم يقبل باعتراف محدود بالسيادة وطالب بكل الساحل العربي (٣). وفي ذات العام وبعد أن حصلت بريطانيا على ما أرادت أبلغت سفيرها في القسطنطينية بأنها لا توافق على الاعتراف بأية حقوق لتركيا على الساحل العربي جنوب القطيف وأنها تود لو انحصرت ممارسة الحكومة التركية لسلطانها داخل هذه الحدود. أما الشيوخ المحليون في البلاد الواقعة جنوب القطيف فإن الحكومة البريطانية تعتقد أنهم مستقلون، ولا شك أن موقف بريطانيا الأخير ناتج عن تخوفها من تقدم الأتراك نحو عمان.

وكانت الدولة العثمانية بعد حملة الاحساء تعتبر الكويت قائمة قامة تتبع ولاية البصرة بعد أن فصلت البصرة عن بغداد عام ١٨٧٥ م وأصبحت ولاية قائمة بذاتها. ويسمى شيخها (الشيخ عبد الله) قائم مقام الكويت. ولما توفي

(١) F.O. 78/5113, From government of India to India office, 17th Sept 1878.

(٢) F.O. 78/5113 Salisbury to sir Henry Layard, No.12, 5 January 1879.

(٣) الوثيقة رقم ٢٣ - مجموعة م ف ٢ - من وثائق حكومة الهند.

الشيخ عبد الله وتخلفه أخوه الشيخ محمد كان يسمى (قائمقام) الكويت
نوكذلك الشيخ مبارك فيما بعد (١) . إلا أن هذا اللقب كان يستعمل من جانب
الأتراك فقط ولم تكن للدولة العثمانية أى سلطة حقيقية على الكويت ، كما
أنها لم تكن تابعة للدولة العثمانية فعليا بل ان الكويت أصبحت ملجأ للعرب
من الأتراك (٢) . ولا نبعد عن الواقع اذا قلنا ان هذا الالتجاء بدأ منذ عهد
الشيخ عبد الله الأول عندما التجأ اليها (بريد جز) وهو مؤرخ انكليزى
وأحد موظفى حكومة الهند البريطانية (٣) . كما التجأ إلى الكويت مصطفى
أغا الكردي (السابق ذكره) ولانسى ابن الزهير الذى لجأ إلى الكويت في
عهد الشيخ جابر أيضاً فرفض الأخير تسليمه إلى الثاقب .

ومن خلال تحليلنا للاحداث . الآنف ذكرها نجد ما يؤكد استقلال
الكويت فحتى الارتباط الاسمى الذى حصل من جانب الدولة العثمانية
وحدها أثناء حملة مدحت باشا على الأحساء لا يثبت لها أى حق دولى في
الكويت — أسفرت مداولات مدحت باشا عن اعطائه سنداً من جانبه إلى
الشيخ عبد الله الصباح بوصفه رئيساً لحكومة مشيخة الكويت يتعهد فيه بأن
لا تستوفى الدولة العثمانية أية ضرائب أو رسوم جركية أو تكاليف أخرى من
الكويت لقاء تسميتها قضاء وتسمية شيخها قائمقام ورفع العلم العثماني على
السفن بدلا من أعلام الدول الأجنبية الأخرى — فان هذا التعهد من جانب
مدحت باشا عن الدولة العثمانية لا يلزم الكويت بشيء ولا يؤثر على استقلالها
ووضعها الخاص لأن شيخ الكويت المعترف به من قبل الدولة العثمانية كرئيس
لحكومة الكويت لم يصدر منه أى تعهد يلتزم بموجبه بأية مسئولية وحق
للدولة العثمانية في الكويت . هذا فضلا عن أن علاقة الدولة العثمانية بالكويت

(١) سيف مرزوق الشملان من تاريخ الكويت (من مذكرات مدحت باشا) ص ١٣٥ -

١٣٦ .

(٢) عبد العزيز الرشيد — تاريخ الكويت — ص ٨٦ .

(٣) رسالة الباحث للماجستير — ص ١٢ .

لم تتجاوز تسميتها في السالنامة (١) قضاء وتسمية شيخها قائمقام . كما ان الحفاوة في الاستقبال الرسمي الذي كان يحظى به شيخ الكويت في زيارته البصرة في عهد الدولة العثمانية ، بشارك الوالى وموظفى الولاية واشرافها ووجهاتها والذي لا يقام عادة الا لرؤساء الحكومات ويخرج شيخ الكويت من كونه قائمقام ، اذ ان القائمقام لا يلاقى تلك الحفاوة والاستقبال الرسمي لدى زيارته مركز الولاية (٢) .

وذلك الى جانب ان اثار الارتباط الاسمى بالبصرة الذى تم من قبل مدحت باشا لم تعد مايلى : —

أ. — اصدار (برآت — فرمان) بتعيين الشيخ قائمقام لقضاء الكويت ولا يصل الأمر هنا إلى التدخل فى اختيار الشيخ أو وريث العرش ، وإنما ينحصر فى اصدار فرمان باسم من تختاره الأسره .

ب. — اصدار (برآت) بمنح الشيخ مبارك (فيما بعد) رتبة ميرميرات (٣) ، وهى رتبة عثمانية .

ج. — اصدار (برآت) بمنح الشيخ مبارك وسام الامتياز الذهبى .

د. — ذكر الكويت قضاءاً تابعاً للبصرة فى « السالنامة العثمانية » .

على ان التحريات أثبتت بأن تسمية الكويت قضاء تابعاً للبصرة لم يؤثر على استقلال الكويت بإدارته ولم يؤد ذلك الارتباط الاسمى لأية سلطة للدولة العثمانية على الكويت ويستدل على ذلك بما يأتى : —

١ — لم يعثر فى سجلات الدولة العثمانية ما يؤيد استيفاء أية ضريبة أو رسوم جركية أو أى نوع من التكاليف الأميرية عند تاريخ ولاية مدحت باشا فى عام ١٨٦٩ وحتى قيام الحرب العالمية الأولى .

(١) السالنامة : — هى سجل الموظفين العثمانيين .

(٢) تقرير سرى أعدته وزارة الخارجية الكويتية عن وضع الكويت التاريخى بالنسبة

لتركيا معتمدة فيه على مذكرات مدحت باشا نفسه .

(٣) ميرميرات : رتبة شرف عثمانية تعنى فى العربية أمير امراء .

٢ - لم يعثر على أى قيد رسمى أو برأت سلطانى يبحث عن تشكيلات الادارة والموظفين الرسميين فى الكويت بعد تسميته قضاء كما هو معروف ومعمول به فى تشكيلات موظفى الأقضية فى الدولة العثمانية ، وذلك عدا ذكر اسم الشيخ مبارك الصباح والقاضى عبد الله العدسانى فى السالنامة العثمانية .

٣ - لم يرد ذكر ارسال أى فرد أو جماعة من قوات الدولة العثمانية العسكرية أو المدنية إلى انكويت طيلة تلك الاعوام وحتى قيام الحرب العالمية الاولى .

٤ - لم يعثر على أى قيد يثبت ارسال أى مبلغ من المال من الدولة العثمانية من الاستانه أو من البصرة لادارة قضاء الكويت طيلة ذلك العهد .

٥ - ذكرت الكويت كقضاء تابع للبصرة فى السالنامة دون تصنيفه كما تقضى بذلك الاصول ، اذ أن ذكر القضاء مجردا من صفته مما يؤيد ان الارتباط كان اسميا (١) . كما ان انتقال الوكالة الانكليزية التابعة لشركة الهند الشرقية المؤقت إلى الكويت من عامى (١٧٩٣ - ١٧٩٥) يدل على انها لم تكن خاضعة فعليا للسيادة العثمانية وذلك بالرغم من أن تاريخ هذا الانتقال كان سابقاً لحملة مدحت باشا الا أنه وما تبعه من لجوء المختلفين مع الدولة العثمانية والفارين منها يدل على أن الكويت كانت على الدوام مستقلة عن الدولة العثمانية .

الشيخ مبارك والدولة العثمانية :

وعلى أية حال فقد استمرت السيادة العثمانية الاسمية على الكويت فترة طويلة. احترمت خلالها الدولة العثمانية استقلال الكويت وسط تلك المنطقة التى كانت تحكمها مباشرة أو بالواسطة إلى أن استولى الشيخ مبارك على

(١) تقرير سزى أعدته وزارة الخارجية الكويتية عن وضع الكويت التاريخى بالنسبة للدولة العثمانية .

الحكم بعد قتله لشقيقه الشيخ محمد الحايك والشيخ جراح عام ١٨٩٦م والتهجاء أبناء القتيلين ويوسف الابراهيم إلى والى البصرة (حمدى باشا) الذى كاتب الشيخ مبارك بشأن هذه القضية فلم تسفر مكاتباته عن حل يتفق عليه طرفا النزاع ورفض حمدى باشا الاعتراف بالشيخ مبارك رغم محاولة الأخير شرائه بمبلغ ١٠,٠٠٠ ليرة تركية (١) .

وقد ارسل حمدى باشا الشيخ عبد الله الابراهيم (شيخ الزبير) إلى الكويت للحصول على شهادة من أهالى الكويت تثبت أن الشيخ مبارك هو الذى قتل أخويه الشيخين محمد وجراح (ليكتب بذلك إلى اسطنبول مينا لها تمرد الشيخ مبارك ويستأذنها بارسال قوة الكويت لارغام الشيخ مبارك على التخلّى عن الحكم (٢) . ونتيجة لهذا الموقف من والى البصرة حمدى باشا ضد الشيخ مبارك بذل الأخير محاولات أخرى حثيثة من أجل تأمين الاعتراف به كشيخ وان ينصب قائمقام على الكويت لذا توجه بنظره إلى صديقه والى بغداد المشير (رجب باشا) الذى دافع عنه مدعيا ان قتل مبارك لأخويه شيء عادى وكثيراً ما يحدث بين الاعراب وان لا صحة لما أشيع عنه، فأخذ الباب العالى بأقواله وأصدر تعليماته إلى حمدى باشا بالاعتراف بالشيخ مبارك الذى قيل أنه قدم هبات لشيخ الاسلام العثماني والشيخ أبو الهدى ، كما قبل عارف باشا (والى الأحساء) هدية قدرها ٧٠٠٠ ليرة تركية (٣).

وبهذا اعترفت تركيا بالوضع الجديد فى الكويت فرحب الشيخ مبارك بهذه الإجراءات العثمانية واستمر فى رفع العلم العثماني على امارته وارتضى منصب قائمقام الكويت الذى منحه اياه السلطان عام ١٨٩٧م وذلك فى محاولة من الشيخ مبارك لكسب السلطات العثمانية إلى جانبه لاضفاء صفة

(١) Mimorandum respectin Affairs in the Kuwait by J.C. WHyte

عن الوثيقة رقم ٢ من وثائق حكومة الهند - مجموعة م ف ٢ - بتاريخ ٢٢-٣-١٨٩٧م .

(٢) حسن الشيخ خزعل - تاريخ الكويت السياسى ج ٢ ص ١٦ . بيروت ١٩٦٧ .

(٣) الوثيقة رقم ٢ من المجموعة م ف ٢ - من وثائق حكومة الهند الموجودة فى المكتبة

العامة .

الشرعية على حكمه (١) ، ولتهدة الشعور في امارته ، ولكي يفوت على يوسف الابراهيم الاستفادة من تلك الاوضاع في القضاء على حكمه واعادة أبناء أخويه إلى الحكم لاسيا وأن يوسف الابراهيم قد قام بعدة حملات على الكويت لاستخلاصها من الشيخ مبارك .

وكان الشيخ مبارك حتى قبل صدور فرمان السلطاني بالاعتراف به كقائم مقام على الكويت يظهر الولاء والطاعة للدولة العثمانية مما جعله يتخوف من زيارة السفينة البريطانية (سفنكس) للكويت في يوليو ١٨٩٦م لذا رفض السماح بزيارة السفينة وراوغ في الاجابة على أسئلة قائدها بشأن رفعه للعلم التركي مما أعطى انطبعا لقائد السفينة الكابتن بيكر (Commondor Baker) بأن الكويت بالرغم من انها مستقلة نظريا الا انها واقعة تحت النفوذ التركي . بل ان لوريمر يذكر ان قائد السفينة تشكك من ان يكون هذا النفوذ التركي قد ازداد بشكل خاص منذ تولى الشيخ مبارك الحكم .

وبالرغم من كل هذا الولاء الذي أكدته الشيخ مبارك للدولة العثمانية الا أن الأخيرة لم تطمئن الى ولائه . وكان ذلك ناتج عن الطريقة التي وصل بواسطتها الشيخ مبارك للحكم وتشككها في أن يكون لبريطانيا يد في ذلك (٢) . لا سيما وان المستر (ستافريدس) (Stafrides) المستشار القانوني للسفارة البريطانية في القسطنطينية أظهر في تقرير وجهه الى حكومته ان الشيخ مبارك اغتصب الحكم بتحريض من المقيم السياسي البريطاني في الخليج ، إلا أن الأخير أنكر ذلك الاتهام بشدة ونفى ان يكون له أى علاقة بتسلم الشيخ مبارك للحكم (٣) . كما ان المستر هو ايت Whyte (مساعد القنصل البريطاني في بوشهر) ذكر أن دافع الشيخ مبارك الحقيقي لقتل أخويه هو الاستيلاء على السلطة والثروة أما ان يكون القتل بتحريض من المقيم السياسي فيذكر

(١) د . مصطفى النجار-التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي ص ٧٠ -

٧١ - منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة - ١٩٧٥ .

(٢) F.O. 78/5113, India office to Foreign office, 24 March 1897.

(٣) وثيقة رقم ١٢ - المجموعة م ف ٢ - وثائق حكومة الهند الموجودة في المكتبة العامة

في المباركية .

هوايت أنه أمر لم يسمع به (١) . ونحن نستبعد أن يكون للمقيم البريطاني يد في قتل الشيخ مبارك لشقيقه الشيخين محمد وجراح لاسيا في ذلك الوقت الذي الذي لم تكن بريطانيا مهتمة فيه بالحصول على نفوذ في الكويت ولم تسع إلى ذلك الا في فترة لاحقه .

إلا أن هذه الاتهامات دعت الدولة العثمانية إلى التشكك في موقف الشيخ مبارك من جهة ومن أهداف بريطانيا في الكويت من جهة أخرى لذلك فإنها لم تظهر للشيخ مبارك ما يطمئنه على اعترافها باستقلاله الذاتي . وعندما يثس الشيخ مبارك من تأمين جانب الدولة العثمانية والاطمئنان على مركزه في الكويت اندفع نحو الانكليز بشدة طالباً حمايتهم (٢) .

الدولة العثمانية تحاول الأبقاء على ارتباط الكويت بها :

الا ان الدولة العثمانية عندما رأت اندفاع الشيخ مبارك نحو بريطانيا واستجابة الاخيرة له واستعدادها لوضع نفوذها في الكويت بموجب اتفاقية تؤكد بها هذا النفوذ وتقوض اى تبعية عثمانية هناك قدرت مدى خطورة هذه الخطوات وعملت جاهدة للتصدي لها . وذلك بمحاولة كسب ود الشيخ مبارك واستعادته إلى جانبها ودفعه للتحويل عن الانكليز وعدم اتاحة الفرصة لهم لاستغلال الظروف وتثبيت نفوذهم بالكويت . فكتب الصدر الأعظم إلى السلطان في ٧ محرم ١٣١٧هـ الموافق ٢٣ نيسان (ابريل) ١٨٨٩م يستأذنه لإيفاد نقيب اشراف البصرة (رجب النقيب) إلى الشيخ مبارك من أجل اسداء النصيح والموعظه اليه كي لا يقع في شرك الاجانب (الانكليز) الذين يسعون لفصل الكويت عن الدولة العثمانية . ويقنعه بالعمل على احباط مبادرتهم في الكويت التي هي من اعمال البصرة (وفقاً لادعاء الصدر الأعظم) بناء على منطوق الادارة السنوية الملكية (ارادة السلطان) والتبليغات السابقة (٣)

(١) وثيقة رقم (٢) من المجموعة م ف ٢ - وثائق حكومة الهند .

(٢) F.O. 78/5113, India office to foreign office 24 th March 1897.

(٣) كتاب من الصدر الأعظم إلى السلطان بتاريخ ٧ محرم ١٣١٧هـ - الموافق ٢٣ نيسان - ابريل ١٨٩٩م - الباب العالي - دائرة الصدارة - الأوراق الواردة للديوان الهمايوني - رقم ٧٨ - ص ٥ .

وقد أجاب رئيس كتاب السلطان على الصدر الأعظم نيابة عن السلطان في ٢١ محرم ١٣١٧ هـ الموافق ٧ مايو ١٨٩٩ م بكتاب أظهر فيه موافقة السلطان على ما جاء بكتاب الصدر الأعظم (١). ثم تدارس المجلس الخصوص (٢) في جلسته المنعقدة في ١٤ شعبان ١٣١٧ هـ الموافق ١٨٩٩ م الموضوع وقرر طلب الإذن من السلطان لتبليغ ولاية البصرة بخصوص اختيار نقيب الأشراف لإيفاده إلى الشيخ مبارك ليجهتد بنصحته وإقناعه للميل إلى جانب الدولة العثمانية وقد حظيت الفكرة باستحسان السلطان الذي أبدى هذه الفكرة منذ البداية . وتبين مضبطة المجلس الخصوص أن نجل نقيب أشراف البصرة كان موجوداً في اسطنبول وقد أكد استعداد والده للقيام بهذه المهمة بإخلاص وأنه متأكد من نجاحها . وقرر المجلس الخصوص في نفس الجلسة اتخاذ التدابير اللازمة بهذا الشأن وتقدير مبلغ مناسب لنقيب الأشراف لمصاريف مهمته (خرج رآه) . ورفعت مذكرة من المجلس الخصوص إلى السلطان وقد بينت مضبطة المجلس الخصوص خطورة مبادرات الإنكليز في الكويت التي ازدادت حرارة وأكدت المضبطة أن إنكليزا تصرف جهدها لإثارة الشيخ مبارك وتحريضه للخروج عن الدولة العثمانية ، لذا فإن المجلس يوصى باتخاذ كافة التدابير لإزالة مفعول التحركات البريطانية وأغراضها . وأنه حفظ الكويت ضد كل تجاوز أجنبي هو في غاية الأهمية واللزوم نظراً لموقع الكويت مدنياً وعسكرياً البالغ الأهمية . وأن إيفاد نقيب أشراف البصرة إلى الكويت مبنى على الخوف من تحقيق الخطط الأجنبية (لا سمح الله) والتي سيورث تحقيقها أضراراً جسيمة بينما لإيراث المقاعد الأجنبية العقم يوجب ويقتضى توحيد كلمة المسلمين المرتبطين بمقام الخلافة بالروابط الدينية . ويوجب فيما يتعلق بالدولة والدين

(١) كتاب من رئيس كتاب السلطان (تحسين) إلى الصدر الأعظم بتاريخ ٢١ محرم ١٣١٧ هـ - الموافق ٧ مايو ١٨٩٩ م وأردفه بكتاب آخر يوصي فيه استحسان السلطان بقرارات النقيب وذلك بتاريخ ٢ شعبان ١٣١٧ هـ - ٢٣ نوفمبر ١٨٩٩ م .

(٢) المجلس الخصوص مكون من الصدر الأعظم وبعض الوزراء وكبار المسؤولين بالدولة ويكونون بمثابة مستشارين للسلطان في الأمور المهمة .

الاتفاق في العمل في صف واحد مع التأكيد على إبراز الآثار الدينية والحماية الإسلامية ، وشدد المجلس على وجوب العمل على ترسيخ هذه المعاني للشيخ مبارك وأنه إذا سعى في تقديم الخدمات المبرورة المشكورة وعمل بالطوع ضمن إطار النجاة والسلامة ، ونال السعادة المادية والمعنوية وأنه (الشيخ مبارك) بصفته موظف على رأس قسم إداري يجب عليه مراعاة أهداف الدولة وتحقيق ما ترضاه وذلك إلى جانب حماية حقوق الأهالي وتأمين وسائل راحتهم فهم وديعة الباري عند مقام الخلافة (حسب تعبير المضبطة) وأن الحماية الإسلامية تقضى عليه اظهار ذلك والعمل لما فيه نفع وفائدة الدولة بالحيلولة دون الأهداف الخارجية والمقاصد الأجنبية وأن كل خطوة له في هذا الاتجاه ستعود عليه باللطف والخير من الدولة ، والرضا من الباري والسلطان . وأوضح المجلس المخصوص أن على الرسول أن يذكر الشيخ بكافة هذه الأمور بلسان مناسب وكلام مؤثر وأن يبين له أن هذا سيعود عليه بالمكافآت والذكر الحميد ، وأن على الرسول أن يعمل ما في وسعه من أجل استمالة الشيخ مبارك وجلب قلبه لتقوية أواصر ارتباطه بالسلطنة وطاعته لها ، وأن يأخذ عرضاً « كتاباً » من يده يفيد كل المعاني السابقة فإذا استجاب الشيخ لدعوته وعمل بموجبها فليمنحه وسام (١) .

أجاب رئيس كتاب السلطان على مذكرة المجلس المخصوص بمذكرة باسم السلطان يبين فيها استحسان السلطان لكافة الإجراءات المقترحة لإيفاد نقيب البصرة إلى الشيخ مبارك من أجل إحباط مؤامرات الانكليز في الكويت وإزالة مفعولها ويبين رئيس الكتاب أن السلطان يؤكد على وجوب التركيز على إثارة الحمية الدينية لدى الشيخ للتأثير عليه (٢) .

(١) صورة مضبطة جلسة المجلس المخصوص المنعقدة في ١٤ شعبان ١٣١٧ هـ - فبراير ١٨٩٩ م - ص ٤ (ملحق رقم ٢) .

(٢) كتاب من رئيس كتاب السلطان بتاريخ ٧ رمضان ١٣١٧ هـ - ديسمبر ١٨٩٩ م رقم ٧٢١٦ يوافق فيه على ما جاء في مضبطة المجلس المخصوص المنعقدة في ١٤ شعبان ١٣١٧ هـ - فبراير ١٨٩٩ م .

وقد نفذت هذه المقترحات كما جاء في برقية من والي البصرة إلى نظارة الداخلية بين فيها أنه أوفد رجب النقيب إلى الشيخ مبارك وأن الأول قد عاد إلى البصرة وأفاد بأنه أنجز المهمة وفقاً لمنطوق الإرادة السنية الإيجابية من الخليفة وأخذ العرض حال من الشيخ مبارك وأن النقيب تقدم باسترحام لمنح الشيخ رتبة ميرميران (أمير امراء) مع منحه وسام يتناسب مع وضعه ، وإعادة اعطاء التمور التي منعت وقطعت عنه وقدرها ٢٨٠ « طونيلاتو » (١) ، لأن ذلك فائدة عظيمة لكسب صداقته مادياً ومعنوياً (٢) .

وقد أرفق ناظر الداخلية مذكرة إلى والي البصرة بكتاب منه إلى الصدر الأعظم (٣) الذي كتب إلى نظارة المالية . فأجابه ناظر المالية بكتاب بين فيه أنه كان يؤدي إلى قائم مقام الكويت المتوفى الشيخ محمد الصباح ١٠٨ « طونيلاتو » من التمور من حاصل سنجق البصرة بشرط احتفاظ الدولة بكامل حقوقها في الكويت مع تأسيس إدارة حسنة فيها واستتباب وسائل الأمن والاستقرار . واتضح أن قيد هذه المنحة قد شطب نتيجة وفاة الشيخ محمد (٤) وبينما بين والي البصرة نقلاً عن نقيب الاشراف أن الشيخ مبارك يسترحم إعادة مبلغ ٢٨٠ طونيلاتو من التمور التي كانت تمنح لاسلافه وقطعت عنه أوضح ناظر المالية أن الذي كان يجري لشيخ الكويت وآخرهم الشيخ محمد الذي قطعت بوفاته هو ١٠٨ وبعد البحث تبين أن الخطأ في الرقم ناجم عن إدارة البرق كما جاء في كتاب من والي البصرة ، الذي اقترح أن لا يكون ما ينخصص للشيخ مبارك أقل من اسلافه وأشار إلى

(١) ٢٨٠ طونيلاتو يساوي ما يعادل ٣٠٠ - ٥٠٠ ليرة عثمانية ومن ناحية الوزن فانه يساوي ألف كغم .

(٢) برقية من والي البصرة إلى نظارة الداخلية دائرة الأمور الداخلية - الباب العالي . مكتب المكنوبى بتاريخ ١٢ شوال ١٣١٧ - ٣١ يناير ١٩٠٠ م .

(٣) كتاب من ناظر الداخلية إلى الصدر الأعظم - الباب العالي - دائرة الأمور الداخلية - مكتب مكنوبى رقم ٤٨١٨ ص ٥ م في ١٥ شوال ١٣١٧ الموافق ٣ فبراير ١٩٠٠ م .

(٤) كتاب من ناظر المالية إلى الصدر الأعظم - نظارة الأمور المالية - المحاسبة العومية - عدد ٢٤٠ ص ٥ م ٤ في ٨ ذى الحجة ١٣١٧ الموافق ٢٦ مارس ١٩٠٠ م

ان الأخير يطلب تخصيص « طونيلاتو » من التمور على ان يدفع الباقي تقدياً (١) . وقد قرر المجلس الخصوص اعادة مخصصات الشيخ مبارك (٢) . وذلك في نطاق محاولات الدولة العثمانية الرامية إلى كسب وده وصرفه عن مبايعة الانكليز ودفعه للعمل على عدم تمكين الانكليز من وضع اقدامهم في الكويت .

وكان الشيخ مبارك من الدهاء بحيث تمكن من اختيار مواضع قدميه بدقه والمسير بالاتجاه الذي تتأكد فيه مصالحه وترسيخ حكمه فأخذ يراوغ الدولة العثمانية بحنكه وذكاء ففي الوقت الذي كان قد وقع فيه اتفاقية الحماية مع الحكومة البريطانية في ٢٣ يناير ١٨٩٩م التي ضمن من خلالها دعم بريطانيا له في مواجهة أى محاولة من الدولة العثمانية لازاحته عن الحكم ، فانه اظهر استجابة كبيرة لدعوة الدولة العثمانية الرامية إلى احتوائه وكسب وده وتأكيده ارتباطه بها من ناحية ، وصرفه عن الانكليز وتحويله عن الاستجابة لخططهم ومساعدتهم لتأكيد نفوذهم في الكويت من ناحية أخرى . فكتب العرض حال المؤكد لولائه للدولة العثمانية وخضوعه لخليفة المسلمين ورأسي العقيدة الاسلامية ، واسترحبها باستعادة ما كان جاري لاسلافه من تمور ، والتي كانت مشروطه بحفظ حقوق الدولة العثمانية في بلادهم . بل ان الشيخ مبارك ذهب إلى أكثر مما تطالبه الدولة العثمانية لتأكيد ولائه لها والحرص على كسب رضا السلطان عنه فقام ببناء مسجد في الكويت على نفقته الخاصة بلغت تكلفته (٣٦٠٠) ثلاثة آلاف وستمائة ليرة عثمانية واستأذن السلطان

(١) كتاب من والى البصرة (محسن باشا) - الباب العالي - دائرة الصدارة العظمى - مكتب المکتوبين ص ٥ م ٥ بتاريخ ٥ نيسان - أبريل ١٩٠٠ .

(٢) كتاب مرفوع من المجلس الخصوص إلى السلطان - الباب العالي - المجلس الخصوص رقم ٧٨ ص ٥ م ١ في ٧ محرم ١٣١٨ هـ - ٢٣ نيسان - أبريل ١٩٠٠ موقع من قبل ناظر الخارجية أحمد توفيق رئيس شوری الدولة ، ناظر البحرية ، قائد القوات المسلحة ، وزير العدل ، شيخ الاسلام ، وزير المالية ، مستشار الصدارة ناظر التجارة والناقص ، ناظر المعارف الصدر الأعظم (يأتي توقيعه في الوسط) ناظر الأوقاف ، مشير الطوبخانة ، وزير الداخلية .

في ان يسميه باسمه فحازت هذه المبادرة على رضا السلطان وموافقته (١). هذا في حين كان مستجيباً تماماً لمشاريع بريطانيا الرامية للسيطرة على كافة المصالح في الكويت والدائبة في العمل على تأكيد نفوذها هناك فكان يوقع معها الاتفاقية تلو الاخرى لاحتكار المصالح الحيوية في الكويت والسيطرة عليها . والتي تقيد الشيخ بوجوب الرجوع اليها واستأذانها في كل تصرف له بشئون بلاده واتصالاته بالاطراف الخارجية ، بحيث لاتسمح لاي طرف اجنبي بمشاركتها النفوذ والمصالح في الكويت حتى لو كان هذا الطرف الدولة العثمانية التي سبقتها الى الاهتمام بالكويت وضمها اليها بنوع من السيادة الاسمية بينما كانت بريطانيا تعترف للدولة العثمانية في وقت سابق بالسيادة على الكويت .

محاولات الدولة العثمانية تأكيد نفوذها في الكويت :

حتى ان الشيخ مبارك راح يتصدى بقوة لمحاولات الدولة العثمانية الرامية لتأكيد وتثبيت نفوذها وسيطرتها في الكويت بايجاد ادله عينيه لذلك النفوذ . وكانت الدولة العثمانية تستجيب بهذا الخصوص لنصائح وتشجيع المانيا وروسيا وفرنسا من الدول ذات المصالح في الكويت . بينما كان الشيخ يعتمد في مواجهته لمحاولات الدولة العثمانية على مساندة بريطانيا ودعمها . ومن ذلك أن الشيخ مبارك رفض قبول الموظفين العثمانيين الذين ارادت الدولة العثمانية ارسالهم الى الكويت فكان لا بد ان تتحول الدولة العثمانية عن أسلوب الملاينة والملاطفة الذي عاملت به الشيخ مبارك في نطاق محاولاتها لكسبه الى جانبها وتحويله عن الاتجاه لبريطانيا . فبدأت الدولة العثمانية تعامل الشيخ مبارك بشدة وعنف في محاولة لردعه والضغط عليه لقبول اجراءاتها الجديدة في الكويت فعزمت على ارسال قوة من العساكر اليه لارغامه على الرضوخ لأوامرها وقبول الموظفين المزمع ارسالهم ، فاحتج السفير البريطاني

(١) كتاب من رئيس كتاب السلطان - قصر يلدز الهمايوني - مكتب رئيس الكتاب -

رقم ٤٤٦٦ ص ٦ في ٦ جمادى الآخرة ١٣١٨ هـ - ١٨ سبتمبر ١٩٠٠ .

في أبسطنبول على إرسال العساكر إلى الكويت على هذا النحو بسبب العلاقات التجارية القائمة بين انكلترا والكويت . ولكن ناظر الخارجية العثمانى رد عليه « بأن خط نجد هى بلا منازع جزء من الممالك الشاهانة وان الكويت جزء منها وأن لا يحق لأحد شيئاً يقوله بشأن ذلك » فأجاب السفير قائلاً « أن حكومته لا تنوى قطعياً ان تتجاوز على الكويت وهو لا يريد إلا أن تبقى على ما هى عليه فى الحاضر ، لأنها مطمع أنظار دول أجنبية أخرى ولكن حكومته لن تسفر بوجه الرضى لسوق العساكر اليها » (١) فرد عليه ناظر (وزير) الخارجية التركية « أن من حق السلطنة السنية الصريح أن تعلن أن عدم أحقية دولة أجنبية فى أن تتدخل أو تعترض على ما تريد (الدولة) أن تتخذ من تدابير تضعها موضع التطبيق لتأمين حقوقها ومنافعها فى مكان يعد من ملكها » (٢) .

واستغلت الدولة العثمانية حرص بريطانيا على سرية معاهدة الحماية التى عقدتها مع الشيخ مبارك فراحت تحاول اخراجها بكل الوسائل الممكنة عن طريق إيجاد فرض الأدلة التى تثبت سيادتها على الكويت . وت مارس بهذا الصدد ضغوطاً كبيرة على الشيخ بمساندة ودفع صديقتها الحميمة ألمانيا وبقية الدول صاحبة المصالح فى الكويت ولا تجد بريطانيا لمواجهة ذلك إلا الدخول فى مفاوضات مع الدولة العثمانية تحتج خلالها على الاجراءات العثمانية بحجة العلاقات الطيبة التى تربطها بالشيخ أو المصالح التجارية فى الكويت بينما ترد عليها الدولة العثمانية باحقيتها فى فرض ما تراه فى الكويت لأنها تابعة لها وجزء من أملاكها وينتهى الأمر فى كل مره عند الاتفاق على الوضع القائم ، وحتى هذه العبارة مفهومها مختلف عند الدولتين فبينما ترى فيه الدولة أنه احتفاظ بالوضع الذى تخضع فيه الكويت لها ؛ ترى فيه بريطانيا

(١) مذكرة تحسين باشا رئيس كتاب السلطان - قصر يلدرم الهمايونى - دائرة رئيس الكتاب رقم ٤١٦٦ ، ص ٢ فى ٦ جمادى الأول ١٣١٧ هـ المصادف ٣١ أغسطس (أب) ١٨٩٩ .
(٢) نفس المذكرة أعلاه .

أنه احتفاظ بوضع الكويت المستقل عن الدولة العثمانية ، والذي تأكدت منه تماماً قبل الاقدام على توقيع اتفاقية الحماية مع الكويت في ٢٣ يناير ١٨٩٩ .
وفي نطاق محاولات الدولة . العثمانية لمضايقة الشيخ مبارك راحت تستعمل أبناء أخويه تارة وابن الرشيد تارة أخرى في محاولة للتخلص من الشيخ وتأكيده نفوذها في الكويت ، لذا ساعدت الأخير مادياً وعسكرياً مما أدى لتوقع حملة مشتركة من الاتراك وابن الرشيد على الكويت (١) .

ولمواجهة تقدم قوات أمير نجد استعدت البحرية البريطانية لحشد مجموعة من السفن الحربية في الكويت يبلغ طاقمها حوالي ستمائة وخمسين ضابطاً وجندياً إلا أن الاميرال بوسانكوبت ذكر ان قنابل مدفعية السفن ستكون قليلة الفائدة لوقف زحف القوات البرية لاسيما أن قوات الامير أكثر من عشرة آلاف عدا القوة الاحتياطية (٢) .

لذلك قابل السير اوكنور ناظر الخارجية التركي الذي أكد له ان قوة الامير الموجودة في السماوه مبالغ فيها ولكن السلطان امر باعداد قوة كبيرة لضد اي محاولة لتقدم أمير نجد نحو الكويت ، وكرر الضمانات التي سبق وقدمها بان السلطان قد اصدر أوامره للامير بعدم القيام باعمال عدائية ضد الكويت (٣) .

وبهذا نرى ان الحكومة البريطانية حرصت على استقلال الكويت وحمايتها من التدخل الاجنبي وذلك بالوسائل الدبلوماسية بالتفاوض مع الحكومات التركية والالمانية والدول الأوربية صاحبة المصالح وبالوسائل الحربية بارسال سفنها الحربية عند ظهور خطر من هجوم خارجي ولا شك

(١) عبد العزيز الرشيد - تاريخ الكويت ، بيروت ١٩٧١ - ص ١٨٤ .

(٢) اعتقد أن هذا الرقم لعدد قوات الامير مبالغ فيه

F.O. 78/5174 India office to Foreign office, 26 Sept. 1901

F.O. 78/5174 From Sir O'Connor to Lord Lansdown No. 365. (٣)

8 oct. 1901.

ان ذلك يعود إلى رغبتها في المحافظة على ما حصلت عليه في اتفاقية الحماية سنة ١٨٩٩م من عدم تصرف الشيخ في ارضه الا باذنها وجعلها منطقة نفوذ تابعة لها وذلك بإبعاد النفوذ الاجنبي عنها وما تبع ذلك مثل حق تفتيش السفن وحظر تجارة الاسلحة . أما الشيخ فقد كان مدركا كبقية الشيوخ الذين عقدت معهم بريطانيا هذه الاتفاقيات ان من الصعب عليهم البقاء في الحكم دون حماية بريطانيا صاحبة النفوذ في المنطقة (١) ولم يتخلى الاتراك في المقابل عن مضايقه مبارك فارادوا تقليص نفوذه في المنطقة الشمالية للكويت بعد ان فكرت المانيا في جعل خور عبد الله نهاية لخط حديد بغداد (٢) فبعثت تركيا حاميات عسكرية للاقامة في ام قصر وبويان وصفوان وذلك في بداية عام ١٩٠٢م كما أنشأ العثمانيون محطات للبريد في بويان وام قصر ، ولاشك ان المانيا كانت وراء هذه التحركات (٣) فارسلت الحكومة البريطانية السفينة (سفنكس) لاختبار صحة هذه المعلومات — وقد أكد قائدها وجود حاميات تركيه ، ولكن هذه الحاميات لم يستمر وجودها اكثر من اسبوعين (٤) . وفي مارس من نفس العام زادت حاميات البصرة في محاولة لاحتلال الصبيحية ومنطقة مجاورة لرأس خور الصبيه (٥) بحجة تبعيةها لها ودخولها في حدود العراق فاحتج الشيخ ذاكراً ان ام قصر مركز سكني في نهاية خور الصبيه نسبه إلى وجود قصر فيها بناه ابن رزق ايام الشيخ جابر صباح وهر من رجال الكويت المشهورين أما بويان فقد نصب الكويتيون فيه مواقع لصيد السمك منذ امد بعيد . ولم تصنع الحكومة العثمانية إلى احتجاجه مما دعاه إلى رفع الامر للحكومة البريطانية (٦) وكانت هذه اول اشارة يرد

(١) Hay, The Persian Gulf State P. 15, 59, Chirol, The Problem of

Asia P. 233.

(٢) Chirol, The Problem of Asia. P. 233.

(٣) Frazer, India under Curzen and after, P. 102 (London, 1956)

(٤) Frazer, India under Curzen and after, p. 102.

(٥) F.O.78/5251 Memorandum (Turkey Affairs of Kuwait, Dated

23 Jun 1902.

(٦) عبد العزيز الرشيد ، المصدر السابق الطبعة الاولى ص ٧٩ .

فها موضوع الحدود بين الكويت والبصرة وهذا يتحول الصراع العثماني في الكويت إلى تحديد الوضعية الدولية لذلك الكيان بحدود معينة بعد ان كان الصراع ينصب على وضع شيخ الكويت .

والعجيب أن بريطانيا رأت في احتلال تركيا لتلك المناطق خرقا لسياسة الابقاء على الوضع الراهن التي تبرر مطالبتها لتركيا بانهاء هذا الاحتلال ، ولم تعمل سوى انها ابلغت الباب العالي بانها ترجو الا يكون في احتلال هذه الاماكن ما ينقص من حقوق شيخ الكويت . بل انها تمادت في خذلانها للشيخ مبارك حين ابلغت حكومة الهند اعترافها بان الكويت جزء من الارض العثمانية . وصرح لانسدون بان مصالح بريطانيا في الكويت لا تتعدى خليج الكويت بما في ذلك ميناء الكويت اى انه ليس لبريطانيا اى مطامع في المناطق الداخلية وان بلاده على استعداد للتفاوض مع الاتراك لتحديد مناطق النفوذ البريطاني بالنسبة لخليج الكويت فقط (١) ، ومع ذلك لم ترض تصريحات اللورد لانسدون تركيا وصرح توفيق باشا للسير اوكنور بان هدف بريطانيا هو الحصول على الكويت التي هي جزء من ممتلكات السلطان وذلك لاستعمالها كقاعدة في حالة قيام حرب مع روسيا التي كانت ترغب في مد خط حديدي من بحر قزوين إلى جنوب ايران وربما إلى بندر عباس وفي الوقت الذي صعبه على بريطانيا فيه مقاومة التقدم الروسي في ايران اخذت تركيز على الكويت (٢) .

ونتيجة لموقف الحكومة البريطانية السلبى من مبارك اثناء ازمته تعرضت السياسة البريطانية في المنطقة إلى نقد شديد حتى من مواطنيها وصحفها . كما أن موقفها فت في عضد الشيخ وجعله يتجه للاتراك لكسب تأييد كبار موظفيهم وفي مقدمتهم نوري باشا والى البصرة ، ويذكر للسلطات العثمانية

F.o. 78/5125 Memorandum by the Marquis of Lansdowne, (١)
Kuwait condifential, 20 March 1902.

F.O. 78/5251 From Sir O'Conor to Lord Lansdowne, No. 84. (٢)
29 Feb 1902.

أنه انما اتجه إلى بريطانيا بعد ان رفض الاتراك مساعدته (١) . واخيراً عدلت بريطانيا موقفها فأعادت اوكنور على توفيق باشا الاتفاق السابق بين الحكومتين لاجل المحافظة على الوضع القائم ذاكراً ان بلاده اجتهدت في المحافظة عليه بينما عملت السلطات التركية على ازعاج مبارك . ووضح اوكنور ان لبلاده مصالح سياسية واقتصادية في الخليج العربي ولذلك فعليها تقع تبعة المحافظة على هذه المصالح (٢) .

أعلان الحماية البريطانية رسمياً وموقف تركيا والمانيا من ذلك :

رأى كيرزون (Lord Curzon) نائب الملك في الهند ان المناقشات الدبلوماسية لم تعد مجدية ومن ثم ينبغي الدفاع عن الكويت بصورة صريحة (٣) . وايده المسئولون البريطانيون فتقرر ايضاً ان الحماية لكويت لا إعلان الحماية بصورة علنية مما رفع معنويات الشيخ وجعله يخطط لتحرير العرب من الاتراك بمساعدة الانكليز وكتب بذلك إلى الامام عبد الرحمن الفيصل ليساعده ومن ثم يقسم معه المناطق المحررة (٤) وفي هذا الوقت تعرض الشيخ لمضايقات من تركيا فقد حرضت ابناء اخوته للقيام بأخطر حملة عام ١٩٠٢ قادها الشيخ عبد الله بن محمد الصباح والشيخ حمود جراح الصباح الا أن القائد ارمسترونج تمكن بالبارجة (Lapwing) من اللحاق بسفنهم وتدميرها (٥) ،

(١) F.O. 78/5251 From Mr. Wratishlaw to Sir O.'Conor No. 31, March 1902.

(٢) F.O. 78/5251 From Sir Nicoholas O.'Conor No. 144-28 March 1902.

(٣) From Lord Curzon to Lord George Hamilton, May 1900, Correspondence of lord Curzon with lord Hamilton Part II. Vol. XX, 51018 (india office Library)

(٤) رسالة من الشيخ مبارك إلى الامام عبد الرحمن الفيصل - جريدة اللواء في ١٦ ديسمبر

سنة ١٩٠٣ م .

(٥) د . سيد نوفل ، المصدر السابق ص ١٦٨ .

كما اوعزت الدولة العثمانية إلى شيخ الزبير بمصادرة اغنامه (١) . وأرادت اقتطاع جزء كبير من املاك الاسرة المتنازع عليها لصالح ابناء اخوته واصلحت محكمة البصرة حكما غيابيا يقضى بعودة مقاطعة الزين لابناء اخوته ، فاتصل مبارك مباشرة مع السلطان بعد ان اذنت بريطانيا بذلك (٢).

سنت الحكومة البريطانية إلى حل جميع مشاكل الشيخ ، فبعد زيارة كيرزون للكويت في نوفمبر ١٩٠٣ وإعلانه الحماية عليها وتقليده للشيخ وشاح الهند ومنحه لقب سير (٣) . وكان لانسلون قد صرح في بداية عام ١٩٠٣ في مجلس العموم بأن شيخ الكويت خاضع للحماية البريطانية مع بريطانيا باتفاقية خاصة (٤) وكان هذا أول إعلان رسمي بالحماية البريطانية وأوصت الحكومة البريطانية بضرورة اسحاب الأتراك من الأماكن التي سبق ووضعوا فيها جاجياتهم وأن تحل قوات الشيخ محلها . كما وعدت الشيخ بالمساعدة في إنشاء مركز عسكري في جزيرة بوبيان لموازنة الحاميات العثمانية في أم قصر ولكن الشيخ خشي مغبة ذلك واكتفى بأن تتردد السفن البريطانية على ميناء الكويت ونحور عبد الله من آن إلى آخر (٥) . وفي يناير ١٩٠٤ تقدم الكولونيل كامبل بطلب ضمان قرض لمبارك ليتمكن من إنهاء الخلافات المالية بينه وبين أبناء أخوته والتي نشأت من تقسيم عقارات الأسرة فوافقت الحكومة البريطانية على ذلك موضحة أن موافقتها هذه نتيجة للعلاقات الطيبة التي تربطها بالشيخ وتحرصها على إنهاء الخلافات الأسرية بئته وبين أبناء أخوته (٦) .

(١) F.O. 78/5252 Kuwait Confidential No. 1 No. V, 1902, Inclosure No. 2 pp. 9—10

(٢) د . مصطفى عبد القادر النجار ، التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي ص ٨٣ . منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة - ١٩٧٥ .

(٣) Craves, The Life of Sir Percy Cox : P. 247. London 1951.

(٤) د . جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ص ٢٨٤ .

(٥) Memorandum of Information received during May 1905 (India off Pol. & Ex. files. vol. 35 Of 1904 file 1855-Paris.

نقلا من د جمال زكريا ، المصدر السابق .

(٦) From Secretary a Govement of India to secretary of the Government of India to secretary of the Governemtn of Brirtish sept. 1904 F.O. 78/8952

وفي يونيو ١٩٠٤ | تعين نوكس (Knox) كأول وكيل سياسي بريطاني في الكويت (Political Agent) ووصل في أغسطس يحمل تعليمات بأن الهدف الأول من وجوده هو العمل على إقامة علاقات ودية وتدعيمها مع الكويت وعليه أيضاً تأمين حماية التجارة البريطانية والمشتغلين بالتجارة عبر الطريق الممتدة إلى الجزيرة العربية وعليه أيضاً مراقبة تحركات الأتراك على حدود الكويت ومراقبة نواياهم هم وبقية الدول الأجنبية لتغيير الوضع الراهن، وفيما يتعلق بالمرافق الطبيعية داخل الكويت وما جاورها (١). واعترضت تركيا على تعيين نوكس ووصفته بأنه خرق صريح للتفاهم القائم على أساس الحفاظ على الوضع الراهن فاضطرت الحكومة البريطانية إلى منحه مؤقتاً بهدف الوصول إلى نتائج طيبة في المفاوضات التي كانت قائمة بينها وبين الدولة العثمانية بخصوص الحدود بين اليمن وعدن ولكن الحكومة البريطانية أعادت وكيلها إلى الكويت في أكتوبر عام ١٩٠٥ (٢). واحتجت ألمانيا على إعلان الحماية البريطانية على الكويت فكتب البارون (Baron Richthofen) نائب وزير الخارجية مذكرة ذكر فيها أنه ليس من مصلحتنا حلول أية دولة أجنبية في الكويت سواء كانت انكلترا أو روسيا (٣). وأعلنت الحكومة الألمانية أنها لا تعترف بمطالب انكلترا في الكويت.

والحقيقة أن ضغوط الدولة العثمانية على الشيخ مبارك من ناحية وعلى بريطانيا من ناحية أخرى استمرت بإصرار كبير في محاولة لتثبيت نفوذها وسيادتها في الكويت ورفض أي نفوذ أو سلطة للحكومة البريطانية هناك. إلا أننا لا نريد أن نخوض في تفاصيل هذه المحاولات المستميتة من الدولة العثمانية لأنها ستدخلنا في نطاق العمليات الانتقامية من الأخيرة ضد الشيخ فتخرجنا عن موضوع دراستنا ويكفي أن نذكر أنها لم تحصل منها على أي نتيجة. تذكر وباءت كافة محاولاتها بالفشل ذلك أن اتفاقية الحماية البريطانية مع الكويت

(١) - لوريغو، المصدر السابق ص ١٥٥٥ - ١٥٥٧.

(٢) - Craves, op. cit. P. 102.

(٣) - Lutsky, Modern History of the Arab Countries P. 359.

كرست النفوذ والسيطرة البريطانية بحيث لم تترك أى شكل من أشكال السيادة والنفوذ للدولة العثمانية هناك .

وقد ساعد المناخ السياسى الذى ساد فى المنطقة بعد عام ١٩١١ م الشيخ مبارك على المضى فى محاولاته للاستقلال عن الدولة العثمانية وذلك لأن المباحثات كانت تجرى فى الخفاء بين بريطانيا والدولة العثمانية لتحديد مناطق النفوذ فى الخليج العربى (١) . فانهز الفرصة واشترك فى عدة مؤتمرات تطالب بالاصلاح وتحقيق اللامركزية فى الحكم فبعد اشتراكه فى مؤتمر المحمرة اشترك فى مؤتمر القيليه (فى المحمرة أيضاً) فى مارس ١٩١١ م (٢) ، ومؤتمر جزيرة العرب فى ١٩ نوفمبر ١٩١٣ فى الاحساء (٣) .

وفى ذلك الوقت اتضح للدولة العثمانية بأنها لا تستطيع مواصلة سياستها ضد بريطانيا فى منطقة الخليج وذلك بسبب متاعبها فى إيطاليا وليبيا ، ومشاكلها فى البلقان لهذا حبلت تسوية المشاكل مع بريطانيا بالطرق السلمية أملا فى الحصول على تأييد بريطانيا أزاء ما تصادفه من مشاكل (٤) . ولذلك فهى مستعدة للتنازل لبريطانيا عن بعض الامتيازات كما كانت تعلق أملا على إمكانية حل الأوضاع لصالحها فى حالة توصل كل من انكلترا وألمانيا إلى اتفاق خاص بسكة حديد برلين - بغداد .

واتجهت الدولة العثمانية لتسوية خلافاتها مع الدول الأوروبية صاحبة العلاقة ومن ذلك دخولها مع بريطانيا التى انتهت بالاتفاق على الاتفاقية الانكليزية التركية لعام ١٩١٣ م .

(١) رسالة الباحثة للدكتوراه (العلاقات البريطانية للكويتية فى الفترة بين ١٩٢٢ - ١٩٦١ غير منشورة ص ٢٧) .

(٢) Longregg-Iraq 190-1950 (P. 45).

(٣) جريدة الأصلاح - بيروت - عدد ١٩٨ (مقال بعنوان مؤتمر جزيرة العرب) ١٩ تشرين الثانى نوفمبر ١٩١٣ م .

(٤) Craves, OP. Cit. P. 136.

الاتفاقية الانكليزية التركية لعام ١٩١٣ :

استمرت المفاوضات بين الطرفين أكثر من عامين في لندن ، وتناولت العديد من موضوعات الخلاف بين الحكومتين ، بشأن مناطق النفوذ في الخليج العربي ، ومسألة الرسوم الجمركية وخط حديد برلين - بغداد ، ومسألة شط العرب ، وغيرها من المسائل المتشابكة ، وفيما يخص الكويت كانت وجهات النظر تتعارض فيما يخص السيادة عليها إسمية أو فعلية . كما طلبت الدولة العثمانية تنظيم ولاية الحكم في أسرة الصباح إلا أن الحكومة البريطانية اعترضت على ذلك لأن من شأنه تدخل الدولة العثمانية في شئون الكويت (١) . وطلب كوكس من حكومة الهند ضرورة السعي لضم أم قصر وصفوان للكويت ، وأخيراً وقعت الاتفاقية من قبل إبراهيم حتى باشا (السفير التركي في لندن) عن الدولة العثمانية (والسير ادوار جري - وزير الخارجية) (Edward Grey) عن الحكومة البريطانية في ٢٩ يوليو ١٩١٣ وتناولت خمسة أقسام (٢)، الأول خاص بالكويت ، والثاني خاص بالبحرين ، والثالث خاص بقطر ، والرابع خاص بوضع بريطانيا في الخليج ، والخامس خاص بتأليف لجنة تحديد الحدود .

القسم الخاص بالكويت :

تناول أوضاع الإمارة وحدودها ، وتألف من عشر مواد نصت الأولى على اعتبار الكويت قضاء عثمانياً ، مستقلاً عن الدولة العثمانية (٣) استقلالا

(١) Bagdad Railway and Persian Gulf, The negotiation with Haji Pasha-Report by Nallet & Hirtzel, 3.5. 1913, Cooch & Temperly, British Document on origin of the war 1898-1914. II vols in 13 P. 114.

(٢) Convention between the United Kingdom and Turkey, Respecting the Persian Gulf and adjacent territories. P. 2-6.

F.O. - Handbook No. 67, The Persian Gulf, P. 90

(٣)

ذاتياً . ونصبت الثانية على أن يرفع الشيخ العلم العثماني ، بعد إضافة كلمة الكويت على أحد جانبيه . إذا أراد الشيخ ذلك . وللشيخ أن يمارس إدارة مستقلة في إمارته ، تحت السيادة العثمانية (١) على أن لا تتدخل في الشؤون الداخلية للإمارة ومنها مسألة الوراثة وأن تمتنع عن القيام بأي احتلال عسكري للأراضي الكويتية ، وتكتفي بإصدار فرمان ينص على من يخلف الشيخ ولكنها لا تتدخل في اختياره ، ولا يحق لها تبديله ، ويجوز للباب العالي أن يفرض لدى الشيخ مبعوثاً لرعاية مصالح رعاياه ، كما يجوز للشيخ أن يعين مبعوثين في مقاطعات الدولة لرعاية مصالح رعاياه ، وتعهد الباب العالي بعدم تجنيد رعايا الكويت النازلين في العراق ، وأن لا يأخذ من صيادها رسوماً ، واعترفت الدولة العثمانية في المادة الثالثة بحماية جميع الاتفاقيات والمعاهدات التي عقدها بريطانيا مع الشيخ وتعهدت بأن لا تعقد مع الشيخ اتفاقيات مناقضة للاتفاقيات الموقعة (٢) ، وتعهدت تركيا بعدم التنازل لأية دولة عن أية مقاطعة في الخليج ، وألا تمس المصالح البريطانية . وأن ينحصر اهتمامها بأن لا تكون الكويت مستودعاً لتوزيع الأسلحة التي تستخدمها القبائل العربية للانفصال عن السلطان ، واعترفت بما استحوذته الحكومة البريطانية أو رعاياها من أراضي بموجب تنازل شيخ الكويت ، أما الحكومة البريطانية فقد تعهدت في المادة الرابعة بعدم تغيير علاقاتها مع الكويت . بشرط ألا يحدث تغيير من الحكومة العثمانية في الوضع القائم ، وللمادتين الخامسة والسابعة أهمية خاصة ، إذ أنهما تحددان الكويت (كما ورد في الفصل الخاص بالحدود) ، وحصرت ساطة الشيخ الفعلية داخل هذه الحدود كما أعطت المادة السادسة لشيخ الكويت السيادة على القبائل الداخلة ضمن دائرة أخرى ملاصقة لنصف الدائرة المشار إليها في المادة السابعة ، وله حق الحصول على العشور وممارسة الحقوق الإدارية فيها ، وتناولت المادة الثامنة موضوع سكة حديد بغداد ، فنصت على أنه في

Hurwitz, Diplomacy in the far and Middle East. Vol. 1 – pp. (١)
269-273.

— Grey to Tawfik Pasha, 24th Oct. 1911– Cooch & Temperly, (٢)
Op. cit. vol X Part 11, P. 195-196.

خالة مد خط حديد بغداد إلى الخليج وتكون نهايته الكويت أو أى مكان ضمن الحدود المستقلة للإمارة ، تتفق الحكومتان على ما يتخذ من اجراء لحماية الخط المنشأ (١) وسمحت بإنشاء دائرة للجهارك ومؤسسات تجارية لها علاقة بوجود ذلك الخط - وفي ذات الوقت جرت مباحثات موازية بين بريطانيا وألمانيا حول خط حديد برلين - بغداد وانتهت بعقد اتفاق آخر بينهما (٢) وأكدت المادة التاسعة حقوق شيخ انكويت في أملاكه في البصرة وأعطته حق التصرف بها ضمن القانون العثماني وتناولت المادة العاشرة موضوع تسليم المجرمين .

وفي النهاية لا بد أن نوكد من خلال دراستنا أنه لم يكن للدولة العثمانية على صعيد الواقع في الكويت سوى الشكليات ولم تتمكن خلال علاقتها الطويلة بالآخيرة من ممارسة أى نفوذ أو سيطرة فعلية ، وحتى اندفاعها لوضع أدلة عينية لسيادتها في الكويت والذي لم تنجح في تحقيقه لم يظهر بوضوح إلا بعد توقيع معاهدة الحماية البريطانية الكويتية ، في ٢٣ يناير ١٨٩٩ م فسعت بحدية لإثبات تبعية الكويت لها وتأكيد نفوذها في مواجهة ما استجد من نفوذ بريطاني وهي من خلال تلك المساعي أثبتت دون قصد منها استقلال الكويت عنها فحين حاولت اقتطاع حدود الكويت بوضع حامياتها في أم قصر وبوبيان وصفوان على أساس تبعية هذه المناطق لها ودخولها ضمن حدود العراق العثماني (٣) كأنها تعترف بذلك بأن الكويت ليست تابعة لها وأن هناك حدود تفصلها عن العراق العثماني ، وقد اهتمت حكومة الهند بالأمر - ولو أن هذا الاهتمام جاء متأخراً - عام ١٩٠٧ م وألفت لجنة لتخطيط الحدود والتي

(١) — Earle, Turkey The Great Powers & the Bagdad Railway. (١) P. 255.

(٢) لوتى بحرى - سكة حديد بغداد - ص ١٦١ - ١٦٢ .

(٣) British relation with Turkey in the Gulf, Memo on Lieutenant Colonel

Cox's telegram repeated in Government of India tel of 1st Dec. 1910 off. Political & secret library B. 181.

قررت اعتبار جزيرة بوييان تابعة للكويت (١). ثم أبدى السير ادوارد جري في مؤتمر لندن عام ١٩١٢ م شدة اهتمامه بتوسيع حدود الكويت حتى تشمل جميع المناطق المختلف عليها (٢). غير أن هذه المشكلة بقيت معلقة حتى مشروع الانكلو - تركية لعام ١٩١٣ التي حددت الحدود بين الكويت والعراق العثماني ونجد ، ومبها يكون الأمر فإن مجرد الخلاف على الحدود بين الكويت والعراق العثماني يثبت بصورة أكيدة عدم تبعية الكويت للعراق العثماني كما أنه بمجرد الاتفاق على حدود البلدين يثبت استقلال الكويت عن العراق العثماني .

إن ما جاء من اعتراف الدولة العثمانية في الاتفاقية الانكلو - تركية بما وقعته بريطانيا من اتفاقيات مع الكويت يعتبر نهاية لادعاءاتها في الكويت وذلك بالرغم من النص على اعتبار أن الكويت قضاءً عثمانياً مستقلاً ذاتياً - حيث أن هذا النص لم يعط الدولة العثمانية أى سيطرة فعلية بل أن بريطانيا حرصت من خلال بنود تلك الاتفاقية على أن تحرم الدولة العثمانية من أى تدخل في شؤون الإمارة التي تركتها بيد شيوخها. وأخيراً فقد أنهت الحرب العالمية الأولى جميع ما للدولة العثمانية من شكليات ومسيادة إسمية وتخلصت الكويت من أى ارتباط لها بالدولة العثمانية مع بداية سريان معاهدة الصلح مع تركيا (٣) وبتوقيع معاهدة لوزان في خريف عام ١٩٢٣ (٤) .

(١) الدكتور جمال زكريا ، المصدر السابق ص ٢٨٤ .

(٢) Cooch & Temperley : British Documents on the origins of the War 1898 - 1914 Vol. X : Part II : The last years of peace, (London 1938 p. 83.

(٣) L/P a S 118/ B 391 Confidential (1880) British Political relations with Kuwait, F. O. March 27 / 1922

(٤) Letter. From F.O. to I.O. March India office 1926. P. 808 - L/ P.8 S/188395

الخلاصة :

يتضح من هذه الدراسة أن جلالة الكويت بالدولة العثمانية وثيقة تمتد بجلورها إلى تاريخ تأسيس الكويت الحديثة واستقرار العتوب فيها وإقامتهم لحكمهم على أرضها يزعمية آل الصباح فرأى الأخيرين وجوب تأمين مركزهم بالاعتراف بشئ من الولاء للدولة العثمانية إلا أن ذلك لم يكن يعنى من الناحية العملية خضوع الكويت للدولة العثمانية ولم يتعد الأمر وجود نوع من السيادة الاسمية للأخيرة على الكويت .

وبينما كان التحرر من التبعية العثمانية عاملاً سائداً ومؤكداً في سياسة شيوخ الكويت ، فإن الدولة العثمانية لم تحاول أن تفرض أى نفوذ من جانبها على الكويت وظلت تحترم استقلالها في البداية . وعرفت الكويت بفضل سياسة حكامها الخارجية الحكيمة والمتزنة كيف تقدم ولاءها واحترامها للتجارة القوية التي تربطها بها روابط روحية أكبر من الجيرة وهي رابطة الدين الإسلامي الذي تمسكت به بقوة مما عزز تقاربها مع دولة الخلافة التي يرأسها السلطان رأس العقيدة ، وذلك في الوقت الذي حرصت فيه الكويت على التمسك باستقلالها وعدم التفريط به . وظهر ذلك من خلال رفضها ومعارضتها لمحاولات نامق باشا والى بغداد عام ١٨٦٦ م الرامية إلى تحويل سيطرة الباب العالي الاسمية على الكويت إلى سيطرة فعلية مما دفع الولى إلى محاولة استخدام القوة لمواجهة معارضة حكام الكويت ، إلا أنه حتى هذه المحاولة لم تجد نفعا معهم ، فلم يرضخوا لها ولا لغيرها من المحاولات التي ترمى للقضاء على حريتهم في بلادهم وتقويض استقلالهم فيها . ولذلك قدر مدحت باشا ميل شيوخ الكويت إلى الاستقلال وعدم استعدادهم للتنازل عنه عندما تولى ولاية بغداد عام ١٨٦٩ م في الوقت الذي قدر فيه أهمية الكويت الاستراتيجية للدولة العثمانية مديناً وعسكرياً فاستصدر فرماناً يقضى بإعلان الكويت سنجقاً مستقلاً استقلالاً ذاتياً . ونتيجة لهذا التقدير فقد كان لإجراءات مدحت باشا في الكويت

نتائج إيجابية على صعيد توثيق علاقة الكويت بالدولة العثمانية. إلا أنه لم ينتج عنها تحويل تبعية الكويت الإسمية للدولة العثمانية إلى تبعية رسمية .

وتبين لنا الدراسة بوضوح أنه على الرغم من أن الدولة العثمانية بعد حملة الإحساء عام ١٨٧١ م كانت تعتبر الكويت قائمقامية تابعة لولاية البصرة وتسمى شيخها قائمقام إلا أن هذه التسمية كانت تستعمل من جانب الدولة العثمانية فحسب ولم تظل لها سلطة فعلية للأخيرة على الكويت فلا ضريبة أو خراج ولا حاميات عسكرية ولا موظفين عثمانيين ولا أى دلالة من أدلة التبعية الرسمية. بل أن الكويت كثيراً ما أجارت الفارين من الطغيان العثماني ولم تقبل تسليمهم تحت أى ضغوط وقد قاومت الكويت بنجاح كافة محاولات الدولة العثمانية لتحويل سيادتها الإسمية إلى سيادة فعلية . كذلك كان في انتقال الوكالة البريطانية من البصرة إلى الكويت مرتين (١٧٩٣-١٧٩٥ و ١٨٢١) على أثر خلاف مشوئها مع السلطات العثمانية ما يؤكد استقلال الكويت يضاف إلى ذلك التزام الكويت بالمعاهدة العامة للسلام والأمن البحري وتوقيعها على تعهد مع بريطانيا بالمحافظة على الهدنة البحرية عام ١٨٤١ وفي هذا اتفاق مع دولة أجنبية دون استئذان الباب العالي ، كما أن في تكرار موضوع الحدود بين الكويت والعراق للعثماني ما يثبت استقلال الكويت .

أما عن تلك السيادة الإسمية للدولة العثمانية على الكويت فقد استمرت فترة طويلة احترمت خلالها الدولة العثمانية استقلال الكويت وسط تلك المنطقة التي كانت تحكمها مباشرة أو بالواسطة ولكن تلك الوضعية تبدلت وانقلبت العلاقة الودية حين وصل إلى الحكم الشيخ مبارك على أثر قتله لشقيقه الشيخ جراح عام ١٨٩٦ فلم تعترف به الدولة العثمانية مما دفعه إلى الالتجاء للإنجليز طالباً الحماية البريطانية وكان أن استجابت له الأخيرة في ٢٣ يناير ١٨٩٩ م بعد أن اتضحت لها المزايا التي ستحصل عليها من خلال هذه الحماية فاندفعت الدولة العثمانية تقاوم النفوذ البريطاني في الكويت بمحاولة إخراج بريطانيا مستغلة حرص الأخيرة على سرية اتفاقية الحماية وبالضغط على الشيخ مبارك

لإرغامه على قبول نفوذها الذي راحت تزرعه كأدلة على سيادتها بتحريض
من ألمانيا وروسيا وفرنسا .

إلا أن جميع محاولاتها بذلك الصدد باءت بالفشل الدريع فإذا كانت لم
تستطع تثبيت نفوذها وتحويل سيادتها الإسمية إلى سيادة فعلية حين كانت الكويت
تخلو من أى نفوذ آخر ، فلأنها لم تتمكن من ذلك حين وضع الانكليز أقدامهم
في الكويت وأكسوا نفوذهم ومصالحهم فيها مما جعلهم يقاتلون ويواجهون
كافة المناورات العثمانية بشأن الكويت بقوة وحزم .

توجّه ملحق رقم (١)

إلى مقام الضدارة العظمى الجليلة

معروض العبد الداعي :

لا يخفى عن جناب الخديوى الأعظم أن الوضع المعروف بالكويت يقع على بعد ٢٤ ساعة من البصرة جنوباً ، وهو بندر تجارى يتفاوت عدد سكانه ما بين الفين وثلاثة آلاف عائلة (منزل ، أسرة) .

وكان الكويت قديماً أحد مضافات البصرة ، ولكن بعد الشقة أدت إلى تركه فاكسب حكم جماعة مستقلاً مع توالى الزمن ، فعدهم الأفرع جمهورية (ريبولق Republic) ، وعرف وبكويتيه وحده مستقلة من جراء ذكره فى الحرائظ على هذا النحو ، غير أن ذلك المكان هو من مضافات الممالك المحروسة القديمة ، وأهله من أهل السنة ، وكاهنهم يشتغلون بالتجارة وتآلفها ويملكون نحو سبعمائة أو ثمانمائة سفينة ، وتشكل المنطقة سنجقاً عثمانياً بشكل خاص ، ولكن أبائهم عن الارتباط لداع ما جعلهم ينفردوا ويستقلوا نوعاً ما أداريا بوضع سوف يودى بهم إلى ما حل بالبحرين بعدما تسلط عليها الانكليز ، وما سيؤدى إليه الوضع بساحل الحسا وساحل قطيف ، أى المنطقة الواقعة بين البحرين والكويت ، وقد بدأت الدول الأجنبية تتدخل بشئونها ولا بد أن يأتى دور الكويت من حين تستقر أقدام الأجانب فى الحسا وقطيف من دون أدنى ريب ، فإن تسنى لنا وضعه تحت إدارة صحية من قبلنا لعل القوة البحرية التى نحن بصدد إنشائها فى البصرة تسهل علينا تخليص مايلى الكويت جنوب ، ولربما وجد تدبير لوضع البحرين ، فبادرنا لوضع الكويت تحت الانضباط والإدارة العثمانية ، وسعينا للاتصال والمخابرة وإيجاد وسائلها ، فمن ذلك قطعنا لتسهيل حصول المقصود العوائد المخصصة من البصرة لشيخ الكويت وذلك ١٥٠ كارة من

القرأى ما يساوى من حيث القيمة ٠٠٠ ١٦٠ غرش ، ولما عزم عبد القاهر
إلى البصرة ودخل استدعى مشايخ ورؤساء الكويت ، وأتضح لديه من
كلامهم وما أظهروه من رغبات ، أنهم يفخرون بالتبعية (التابعة) العثمانية
ولكنهم يخشون الوقوع بسببها تحت التكاليف من أمثال الرسوم والجمارك
وأنهم يقرون بأن الدولة العلية هي في غنى عنهم ، وما مقصدها إلى حمايتهم
والتصاحب (المساندة لهم) فبادر عبدكم وشرح لهم مقتضى الوضع طويلاً
وعريضاً ، وأبلغهم أن شيخهم حالياً هو موظف يقوم بمهمة قائمقام ،
وأن القضية المذكورة وأكثر أهاليها من الشافعية من حيث المذهب وأنه
يكون بينهم بعض من المالكية والحنابلة ، فإن الحكم والقضاء هو على المذهب
الشافعى ، ينبغى أن يكون حكامهم (قضاتهم) ونواب هؤلاء من الشافعية ،
ويجب أن يحصلوا على اجازة من الدولة بشأن ذلك .

وقد رفعوا عريضة يطلبون براءات لخطباء جوامعهم وعددهم خمسة ،
فسطرنا مالزم من بيوريلدى (أمر) وسلمناهم أياها . و أبلغنا وزارة
الداخلية الجليلة برقية بعث المراسلات والبراعات ، وقررنا إرسال مائة نفر من
بسكر الانضباط (الضبطية) لتوكيد ارتباطهم بالدولة وعلقنا أرسالنا
بمجيء القائمقام اللاحق وعودته قريباً من الحجاز والأمر لحضرة من له الأمر .

في ٨ ذى القعدة ١٢٨٦هـ

الموافق ٢٨ كانون الثانى (يناير) ١٢٨٥م

والى ولاية بغداد

خاتم

ملحق رقم (٢)

صورة من المضبطة المعروضة

المورخة في ١٤ شعبان ١٣١٣

وقعت الأنظار العالية على المضبطة الصادرة من مجلس العبد بشأن طلب
الاجازة لأجل التبليغات التي سوف تؤخذ إلى ولاية البصرة بخصوص انتخاب
قائم مقام نقيب الأشراف في البصرة نجل شقيق أحمد باشا لايفاده إلى مبارك
الصباح الكائن في الكويت للجد في نصحه واقناعه للميل إلى هذا الجانب،
وحظيت الفكرة بتصويت ملك العالم الذي كان يرى أساساً هذا الرأي كما أن
نجل النقيب المشار إليه حالياً هنا ذكر أن والده مستعد للقيام بهذه الخدمات
باخلاص وأن والده يضمن ذلك ، فتذكر مجلس الوزراء التدابير التي يجب أن
تتخذ من قبل الدولة والقرار الذي سوف يتخذ في هذا الصدد مع تقدير
مبلغ مناسب يعطى من أجل مصاريف الطريف (خرج راه) ليتمكن نقيب
الأشراف بمناسبة عودته إلى البصرة واقرنت المضبطة المرفوعة بهذه الشأن
بموافقة الإدارة السنية لحضرة صاحب الخلافة العلية كما عبرت عن ذلك
المذكورة الخصوصية في مجلس عبيدكم وتأملنا الوضع وتداولناه بالمداكرة .

فكما لا يخفى عن علمكم العالي أن المبادرة من قبل أنجلترا بخصوص
الكويت المار ذكرها والواقعة على خليج البصرة ازدادت حرارة ، فإن
أنجلترا تعرف جهلها لأغفال واثارة مبارك الصباح فاقترضت اتخاذ تدابير
لإزالة مفعول تحريكها وغرضها فإن حفظ الكويت ضد كل تجاوز أجنبي
هو غاية الأهمية واللزوم نظراً لما لموقع الكويت وعسكرياً لبالغ الأهمية، نجل
قائم مقام نقيب الأشراف الموجود في هذا الجانب عرضاً وساطة أبيه الذي

ذكر أنه يضمن القيام بهذه الخدمات التي تقرب عن الصداقة والاخلاص فلم ير بداً من ترك ذلك لتنسب ولاية و البصرة و اناطة ذلك لرأيها .

و كما أشار عبدكم في المضبطة السالفة الذكر ، فإن أعزام النقيب المشار إليه إلى مبارك الصباح ، هبني على الخوف من تحقيق النظريات الأجنبية لاسمح الله وكم سيورث تحقيقها من أضرار جسيمة بينا إيراث المقاصد الأجنبية العقم بوجب و يقتضي توحيد كلمة المسلمين المرتبطين بمقام الخلافة العظمى بالروابط الدينية و يؤدي في ما يخص الدولة والدين إلى الاتفاق في العمل بالطوع في صف واحد مع إبراز آثار الديانة والحمية ومن سعى في سبيل الخدمات المبرورة والمشكورة ضمن إطار الاجاة والسلامة نال السعادة المادية والمعنوية ، ومبارك الصباح نفسه بصفته موظف على رأس قسم إداري يجب عليه مراعاة أهداف الدولة وتحقيق ما ترضاه في إجراءاته في حكومته وكل مأمور موظف يقع عليه واجب حماية حقوق الأهالي وتأمين وسائل راحتهم فهم وديعة الباري عند مقام الخلافة الكبرى والحمية الإسلامية تقتضي عليه إظهار ذلك وإخراجه إلى خير العمل بالمبادرة لما فيه النفع والفائدة للدولة والمملكة بالحيلولة دون الآمال الخارجية والمقاصد الأجنبية واتخاذ التدابير المحدية لما فيه رفاهية وسعادة الأهالي المسلمين ، فكل منسافة يقطعها في هذا الطريق تعود عليه بالألطف والتشريفات من الدولة ، هذا إلى جانب نيل الرضا العالي ورضا الباري ، وعلى الرسول أن يذكر وبكل هذا باسان مناسب وبكلام مؤثر ويفهمه بأن هذا يعود عليه بالمكافآت والذكر الحميد ، فيجلب قلب مبارك الصباح ويستمليه ويجد لتقوية أواصر ارتباطه بالسلطنة السنية ومطاوعته لها ويأخذ عرضاً من يده يفيد معنى وأسبق ويسعى لانفاذ العرض إلى هذا الجانب ، ففي هذه الحالة يبلغ نقيب الأشراف المومني إليه مقتضى تنسب الرتبة والوسام الدين يتكرم بهما على مبارك الصباح ويتذكر

اعطاء نجل النقيب المومى إليه لدى عودته إلى البصرة مقدار ٢٠,٠٠٠ غرضاً
من الخزانة الجليلية ٣ سبيل الخراج راه (أى مقابل مصاريف الطريق)
وفقاً للأمر والعرفان الحكيم الصادر على حضرة مقر الخلافة .

جعل على نظارة (وزارة) الداخلية تنفيذاً ما يخص انفاذه إلى ولاية
البصرة وعلى نظارة المالية ما يخص دفعه من أجرة الطريق (خرج واره)
للمذكور ، والأمر والفرسان فى هذا الخصوص أى شىء كان لدى الأمر .

١٤ س سنة ١٣١٧

تم الطبع بالادارة العامة للطباعة
جامعة القاهرة والكتاب الجامعي
مدير ادارة المطبعة
البرنس حموده حسين
١٩٨٨/٩/١٢

- Xipéhuz (1887).
- Vamireh (1892).
- Le Cataclysme (1896).
- Manifeste des Cinq (1887).

Romans sociaux (aine)

- Marthe Baraquin (1909)

influence de Zola.

- La Vague rouge (1910)
- La Jeune Vampire (1920) Fantastique
- La Guerre du feu (1911)
- La Mort de la Terre (1910).
- Les Navigateurs de l'infini (1925).

Sous le pseudonyme J.H. Boex Borel

Essais de critique et de philosophie :

- Le Pluraliste, essai sur la discontinuité et l'hétérogénéité des phénomènes (1919).
- Les Sciences et le pluralisme (1930).
- Moedingen d'Un autre monde (1898).

Darwin. Chez lui, les races plus intelligentes et moins agressives sont en voie de disparition. Bien plus, Rosny rappelle Homère, Virgile, Lucrèce et les romans chevaleresques. L'histoire de Naoh est issue de la figure de l'homme de la nature, à la fois misérable et forte. L'originalité de Rosny est en plus de mettre en lumière le drame humain de la quête éternelle.

La Guerre du feu a et aura toujours la grandeur des épopées, la beauté de la nature, le charme de la poésie, la fécondité de l'imagination, le merveilleux des rêves et la vérité de la science.

Bibliographie

Depuis le succès cinématographique de *La Guerre du Feu* (film de J.-J. Arnaud, 1981), un certain nombre d'ouvrages ont été réédités, qui rendent les écrits de Rosny plus accessibles :

- *La Guerre du Feu* Verviers, coll. "Marabout" 1975.
- *Récits de Science-Fiction*, Verviers, coll. "Marabout," 1975 (ce recueil contient un excellent éventail des genres littéraires abordés par Rosny).
- *La Force mystérieuse avec les Xipthuz*, Paris, Nouvelles Editions Oswald, 1982.
- *L'Etonnant Voyage de Hareton Ironcastle*, Paris, Nouvelles Editions Oswald, 1982.
- *L'Enigme de Givreuse*, Paris, Nouvelles Editions Oswald, 1982).
- *Romans préhistoriques*, éd. J.B. Baronian, Laffont, "Bouquins" 1985.

Sur l'écrivain lui-même, on pourra consulter, dans une bibliographie très pauvre: P. Massé, J.-H. Rosny, le préhistorien, l'animalier, le romancier, le critique, Nice, *Mediterranea*, 1937, et J. Delabroy, "Ecriture et histoire: sur deux romans de J.-H. Rosny" dans *Scolies* No 34, 1975.

— Nell Horn (1886) aîné).

(aîné, Jeune)

sidéraient le terroir avec méfiance : il devait passer beaucoup de bêtes, à l'heure où finit la lumière." (26)

Enfin, si la beauté et la force du style de Rosny sont attestées tout le long du récit, elles s'expriment le mieux dans les phrases qui inaugurent le livre : "Les Oulhamrfuyaient dans la nuit épouvantable. Fous de souffrance et de fatigue, tout leur semblait vain devant la calamité suprême : le Feu était mort" (27) et celle qui le termine : "et les temps sans nombre s'étendaient devant eux". (28).

Conclusion

La Guerre du feu est un amalgame original de science et de poésie. L'originalité de Rosny s'exprime dans l'intégration de la vérité scientifique dans une atmosphère d'aventure, d'amour et de merveilleux. L'œuvre constitue un panorama illustré de la faune, la flore, l'homme et la société préhistoriques. De ce fait même, elle offre un intérêt particulier. En plus, la beauté et la poétique du style, le charme d'un amour primitif, l'alliance entre l'homme et l'animal, l'aventure dans des régions inconnues font de ce roman un ouvrage inoubliable dans l'histoire du roman en général.

Cet ouvrage est également original puisqu'il est recherché par les jeunes autant que les grands. Ce récit offre un attrait particulier pour la jeunesse éprise d'aventure, de force, de combats contre les hommes de races extraordinaires ou les bêtes colossales, de monde merveilleux et fascinant.

Rosny est l'écho de son siècle où l'intérêt est concentré sur l'aventure, l'évasion, l'évolutionisme et la paléontologie. Il se montre lamarckien lorsqu'il établit une relation entre l'évolution des sociétés humaines ou animales et l'adaptation aux lieux. Tel est le cas des wah et des mammo uths.

En outre, considérant la guerre, la violence comme la loi fondamentale et rapprochant l'homme préhistorique de l'animal, il rappelle plutôt

(26) Idem.

(27) Ibid, p. 21.

(28) Ibid, p. 288.

Dans ce contexte, il n'utilise ni jour ni mois, ni année; mais aube, lune et saison "il la voulut aussi àprement que s'il l'avait voulue depuis des saisons....

C'était à l'aube suivante." (23) Il n'y a plus de montre pour marquer le temps; l'auteur choisit donc un procédé approximatif pour l'exprimer : "c'était vers le tiers de la nuit. Une lune blanche comme la fleur du liseron sillait le long d'un nuage.", (24)

Vu la nature même du sujet, lequel renferme des éléments scientifiques, l'auteur intègre dans une même phrase science et poésie : "Parmi les ours, le plus puissant, le colosse des cavernes, ne chassait pas, à moins d'être tourmenté par la famine. Herbivore, il trouvait dans le terroir de quoi assouvir, pacifiquement, sa voracité." (25)

En outre, Rosny a souvent recours à l'énumération. Il n'y a plus d'observateur ni de conteur, pas d'opinion ou de commentaire; le paysage l'épisode, l'homme, l'animal, l'objet, la plante, sont décrits comme tels, sans remaniement dû à un état d'âme ou à une vision. L'énumération se répète souvent, notamment lorsqu'il s'agit d'une description de la flore : le lis, le nénuphar, les lysimaques, les sagittaires, linaires, épilobes, cardamines, ou de la faune; chevaux, onagres, saigas, mouflons, chevreuils, élaphe. L'énumération renferme des genres dont le nom nous est connu et d'autres dont le nom est inconnu ou scientifique. Cependant la fréquence de ces noms dans le texte, leur rythme sonore, concourent à la création de l'atmosphère préhistorique. Le dessein de l'auteur n'est pas simplement de décorer sa phrase par ces ornements inhabituels, mais plutôt d'illustrer la fécondité de la nature; la poésie et la créativité qui s'en dégagent.

Par un lien de "causalité", on trouve que c'est la description qui précède l'événement ou l'action, ce qui signifie que le danger ou, par contre, la sérénité surgissent du monde. Avant que le lion géant ou la tigresse n'apparaissent, l'auteur décrit la forêt qui "s'ouvre", la plaine qui s'étend en savane et en brousse, les "îlots d'arbres. Il termine sa description en préparant l'apparition des fauves : "Les nomades con-

(23) Ibid, p. 31-34.

(24) Ibid, p. 44.

(25). Ibid, p. 63.

L'antithèse est également utilisée pour mettre en relief l'idée et illustrer une valeur : "Nam et Gaw connaissaient, aussi bien que les fauves, la nécessité de suivre et non de précéder la proie, à moins de dresser une embuscade." (18)

En vérité, l'organisation même de la phrase reflète celle de l'idée et aide à concevoir la logique de la pensée : "Deux projets se présentent au nomade : atteindre l'expédition avant qu'elle n'eut rejoint ses terres de chasse et lui dérober le Feu par la ruse; ou bien la devancer, parvenir avant elle près de la horde, privée de ses meilleurs guerriers, et guetter l'heure favorable." (19)

La couleur n'est point négligée chez Rosny, elle est originale, nuancée et expressive. Les "faces" de l'eau sont argentines tandis que les îles vert-de-grisées, ses longs "frissons" rappellent le malachite, les perles, les soufres "pâles" et les "écaillures" de mica.

Assistée de l'odeur, la couleur acquiert plus de signification, et sa présence est plus tangible : "son odeur était plus douce à travers les saules et les aulnes.... Fahoum considérait sa tribu. Le désastre était sur elle comme une portée de reptiles : jaune de limon, écarlate de sang, verte d'algues, elle jetait une odeur de fièvre et de chair pourrie(20).

D'autre part, le style de Rosny est remarquable par cette poésie, cette beauté qui s'en dégage, même en décrivant un combat entre les fauves; la touche humaine n'y manque jamais : "chaque bête transformée en énergie fuyante, en projectile de panique, les forts terrassant les faibles, les véloces fuyant sur le dos des autres, tandis que les os craquaient ainsi que des arbres abattus par le cyclone." (21)

Maîtrisant sa plume, l'auteur ne manque pas, en faisant parler ses personnages, de faire revivre le langage simple ou les signes de l'époque :

- Nam et Gaw devront obéir à mon commandement.
- Nam obéira jusqu'à la mort.
- Gaw ne craint rien avec Naoh. (22)

(18) Ibid, p. 129.

(19) Ibid, p. 111.

(20) Ibid, p. 25.

(21) Ibid, p. 52.

(22) Ibid p. 87.

Dégradation très significative d'ailleurs, marquant l'agonie du Feu et la détresse de la horde.

Par ailleurs, Gemmla rappelle la plante, elle est végétale. Chaque fois que son nom est mentionné l'auteur lui attribue des qualités d'arbre ou de feuillage : "allongée flexible et mystérieuse, la chevelure comme un feuillage"[14]. Elle s'intègre à la nature d'où elle est issue : "elle s'avancait tremblante, levant ses yeux variables, pleins du feu humide des fleuves"[15].

D'ailleurs, si les personnages sont intégrés à la nature, celle-ci est également personnifiée, ou métamorphosée en bêtes ou autres, à l'exemple du Feu. Le Fleuve est un animal féroce. A travers les pays de pierres et de verdure, on le contemple "boire" les sources, "engloutir" les ruisseaux, "dévorer" les rivières, "rugir" en cataractes. Ailleurs c'est un homme, "plein de vie", sensible jusqu'au point de "sangloter"

Quant à la forêt, elle rappelle les sociétés humaines ou animales, les arbres sont des hordes ou des tribus, organisés en files ou en clans : les "hordes" de figuiers, les "tribus" de sycomores,...les "troupeaux" de noyers, les "files" de peupliers, les "clans" d'aulnes, etc.

Cette description exprime mieux cet amalgame réussi du monde humain, animal et végétal, d'où surgit un monde nouveau "original et poétique.

Les comparaisons, autant que les métaphores, se multiplient à travers le texte. Il suffit d'apporter quelques exemples pour montrer leur fréquence et leur signification : "des poissons de course, qu'une flexion lance à travers l'eau pesante, aussi vite que la frégate sur les nues, des reptiles souples comme les roseaux...quelque hypopotame oscillant comme un tronc d'érable."(16) Parfois la comparaison sert à accentuer la voix ou le mouvement : "le blessé semblait plus étrange. Ses yeux étaient pareils à du jade, son long corps cylindrique se tordait aussi facilement qu'un ver." (17)

(14) Ibid, p. 27.

(15) Ibid, p. 38.

(16) Ibid, p. 127.

(17) Ibid, p. 213.

pages entières à la description, ne négligeant aucun détail, aucun phénomène. Certaines parties sont consacrées à la description d'un animal, ou d'un combat entre les fauves. La description est tellement minutieuse et vivante qu'il nous semble assister à une scène de la vie préhistorique. On admire les membres "trapus" du tigre, l'élasticité de ses vertèbres et la flexibilité de son corps. On assiste au combat lion/tigre où s'emmêlent griffes et mufles; on entend claquer les "dents dévorantes" et les "souffles rauques". Le tigre cherche à saisir la gorge de l'ennemi mais il se trouve terrassé par la patte "souveraine" du lion géant.

D'autres parties décrivent les différentes races d'êtres humains. Rappelons à titre d'exemple les Nains-Rouges à tête "enbloc", au visage "triangulaire", à la peau comme "l'ocre rouge" et, dont les mouvements et l'éclat des yeux reflètent une race "pleine de vie". En plus, ils comprenaient les signes mieux que les Oulhamr ou les Dévoreurs-d'Hommes.

Toutes les descriptions ici illustrent les règnes différents : animal ou humain, végétal ou minéral, parfois même social. La métaphore et la comparaison, [figures essentielles [par excellence, concourent à la superposition des registres variés. Le Feu est personnifié, c'est un homme sinon la vie elle-même: "le Feu était mort. ... Ses dents rouges protégeaient l'homme contre le vaste monde. ... C'était le Père, le Gardien, le Sauveur"[12]. Parfois le Feu est un animal, "une bête" qui n'a ni pattes ni "corps rampant", plus rapide que les antilopes; qui n'a pas d'ailes, cependant il atteint les nuages; pas de gueule, mais il peut souffler, gronder, rugir; pas de mains ni de griffes, bien que s'emparant de toute l'étendue. Parfois même le feu est sauterelle ou vipère: "Des sauterelles rouges, des lucioles de rubis, d'escarboucle ou de topaze-agonisaient dans la brise; des ailes écarlates craquaient en se dilatant; une fumerolle brusque montait en spirale et s'aplatissait dans le clair de lune; il y avait des flammes lovées comme des vipères, plapitantes comme des ondes, imprécises comme des nues"[13]. D'autres fois le Feu, prêt à mourir, rappelle les insectes: d'abord grande comme une guêpe, ensuite comme une mouche, puis toute minuscule comme ces petites insectes qu'on voit flotter à la surface des mares, enfin tout s'éteint..

(12) Ibid, p. 21 22.

(13) Ibid, p. 116.

accident suivi du triomphe de l'héros dû au hasard ou à ses stratagèmes⁴ enfin l'amorce d'un nouveau danger.

3. L'intrigue se poursuit du bout à la fin tant qu'on suit le héros au cours de son expédition.

4. Le lecteur retrouve souvent le même héros, même s'il manque une scène. Ceci est dû au caractère simple des personnages. C'est vrai qu'il y a beaucoup d'action, mais peu de développement psychologique, ce qui s'adapte avec la mentalité préhistorique. *La Guerre du feu* offre une unité cohérente, soit par le monde où elle se déroule, soit par le détail.

c) *Une épopée* :

Cet ouvrage renferme les éléments structurant l'épopée. Il est axé sur la quête, un de ses éléments fondamentaux.

En plus, le héros court des aventures au cours d'un voyage extraordinaire. Il connaît l'amitié virile et l'objectif commun qui le lie à ses compagnons, rencontre le merveilleux loin des dieux et l'évasion au sein de la nature, court les dangers, s'engage dans les combats de groupe ou les affrontements singuliers, triomphe de la faim, de la soif etc. ...

D'autre part, ce voyage est une occasion d'apprentissage pour le héros de la lointaine préhistoire. Il apprend à développer son intelligence, sa ruse, sa force physique et morale, ses connaissances (technique, armes, pansement des blessures etc ...).

C'est une épopée de technique ou de progrès ouvrant de nouveaux horizons à une race régénérée.

La Guerre du feu nous rappelle plutôt la poésie de Lucrèce chantant la nature féconde, mère de l'homme. Le poète latin affirme que le bonheur est possible sur terre à tout stade du progrès, idée illustrée par le couple Naoh/Gammla. Pourtant la nature renferme mal et douleur qu'incarne l'agression suivie des bêtes et des hommes. En plus, on y trouve le hasard, non la loi ou les dieux, qui contrôle les destinées.

4. **Style:**

Vu la nature de cet ouvrage, lequel aborde une société différente de la nôtre inconnue de la plupart d'entre nous, l'auteur consacre des

pas, il disparaîtra dans la terre, les eaux, le ventre des hyènes, ou il rendra le Feu aux Oulhamr"[10].

Par ailleurs, l'image de la femme est souvent associée à celle du Feu. C'est vrai que Naoh part à la recherche de cette force redoutable qui sauverait son peuple des nuits froides et obscures et des dangers menaçants, mais il est également à la recherche du bonheur dans l'épanouissement de son grand amour. En d'autres termes, si le Feu est le but avoué de la quête, Gammla en est sans doute l'objectif latent. Également associée à la lune, dans "la nuit des âges", cette jeune fille est la lumière qui éclaire les ténèbres. Dans sa victoire, Naoh regarde Gammla comme son heureux avenir, sinon celui de sa race entière.

Nièce du chef Fahoum, Gammla est certainement munie d'un certain pouvoir, pourtant Naoh n'y voit que la fille de ses rêves. Dans un geste courtois qui marque le dénouement du roman, il exprime tout son amour et sa tendresse: "Naoh, ayant abaissé sa main sur Gammla, la releva sans rudesse"[11].

En réalité, Naoh se comporte souvent en chevalier galant, non pas uniquement vis-à-vis de Gammla, mais des blessés qu'il refuse d'achever. Il l'est également en renonçant à la force brutale en faveur de l'alliance et de l'intelligence sage.

Bien plus, l'auteur élève son héros, le quêteur qui, parti pour la recherche de la cage du feu, réussit à découvrir la technique de la production de cette force mystérieuse sinon merveilleuse. Ainsi l'objet essentiel disparaît devant la grande valeur qu'il incarne : l'intelligence.

b) *Un roman-feuilleton :*

Cette oeuvre offre le modèle d'un roman-feuilleton; elle en renferme tous les éléments essentiels:

1. *Épisodes autonomes :*

Chaque chapitre constitue une unité à part, renferme une description et une scène complète d'une action titrée séparément et tracée précisément.

2. Dans chaque chapitre, les scènes sont reliées entre elles par un procédé de suspens bien défini : une difficulté quelconque ou un

(10) Ibid, p. 36.

(11) Ibid. p. 288.

vraie nouveauté tandis que la technique de production du feu n'est ni une "invention datable" ni un signe d'accession à l'histoire (Catherine Perlès-La Recherche-mars 1982).

Le génie de Rosny se reflète notamment dans l'épisode du mammoth aussi bien que dans le dénouement ouvert du roman : "et les temps sans nombres' étendaient devant eux". Bien plus, la préhistoire est, sous la plume de Rosny, terrible et magnifique; elle nest ni bestiale ni inférieure à l'histoire. Déjà l'homme y connaît certaines techniques et valeurs, parfois même l'amour et la poésie.

3- Genre :

a) *Un roman courtois :*

Cette oeuvre renferme les éléments essentiels du roman courtois. L'amour et la quête sont illustrés dans un cadre d'amitié et d'aventure, de voyage et d'embûches, de conquête réussie et de dénouement heureux.

Le héros part à la recherche du feu, fin en soi sans doute mais également un moyen d'obtenir Gammla, son idéal longtemps désiré. La femme représente donc la récompense; et l'amour devient moteur de l'action. De ce fait même, le héros cherche la perfection qui lui rappelle sa bien-aimée.

En outre, si Gammla n'apparaît que très peu au début et à la fin du roman, elle est cependant toujours présente. Elle est le centre des rêves exaltants du héros et, par conséquent, de l'action elle-même. Elle est présente dans toutes les situations importantes; jetant une lueur d'espoir : "Noah, avec un doux désir, voulait le braconner du campement et les lueurs qui effleuraient le visage de Gammla"[7], atténuant la souffrance : "la figure des femmes flottait autour de lui comme une force plus douce, plus sûre plus durable que celle des mâles"[8] ou illustrant le triomphe : "Gammla) palpitante d'orgueil, ... était dans cette admiration dont toute la horde enveloppait Noah" [9]. Le héros lui offre, en chevalier galant, sa quête : "Fille du Marécage, Noah ne reviendra

(7) Ibid. p. 77.

(8) Ibid. p. 73.

(9) Ibid, p. 284.

leurs alliés Naoh fils du Léopard, Nam et Gaw, représentant l'intelligence et la solidarité, triomphent des aurochs, d'Aghoo, fils de l'Aurochs et de ses frères, incarnant l'ancienne loi de la force et de la brutalité bête.

Le voyage des Wah, appuyant les Oulhamr et leur enseignant leurs techniques et connaissances, rappelle celui des mammouths, protégeant les Oulhamr des fauves et des races humaines redoutables. Bien plus, ces deux équipes animale et humaine, se distinguant par l'intelligence et la solidarité, sont cependant condamnés à la disparition. En outre, Naoh apprend de part et d'autre un don essentiel : il apprend du groupe animal la valeur de l'alliance tandis que le groupe humain lui enseigne la technique ; deux clefs pour triompher de la force aveugle.

En effet, cette organisation se caractérise par la précision et la clarté. Elle est fondée sur le chiffre : le temps est marqué par des lunes, des saisons, des comptages ne dépassant jamais le 10: "Le tigre était chez lui ! Depuis dix saisons, il détenait le territoire, et les autres fauves... y vivaient à son ombre." (6) Ce procédé est une trouvaille réussie de Rosny, reflétant un réalisme qui nous ramène au temps même de notre héros.

Bien qu'intelligents, les Oulhamr n'avaient pas atteint un degré remarquable de technique et de connaissance. [Ils comptaient par dizaines à l'aide des doigts des deux mains, utilisant parfois les Rameaux. Ils dénombrèrent mal d'ailleurs et ne pouvaient pas dater. Ils n'étaient conscients ni de la fuite du temps, ni des dieux, mais de la mort immédiate. Ils vivaient dans la très lointaine préhistoire, dans "la nuit des âges", dans une époque où la chronologie était absente.

Le dernier chapitre rappelle le premier. [Ce n'est là qu'un épisode de la préhistoire, une vision générale de la horde. Cependant, la découverte de la production du feu à volonté demeure un des moments cruciaux du récit et de la vie humaine. Ceci n'est point étrange car la technique de la production du feu a été souvent considérée, dans la mythologie, comme l'accession à la technique, à l'intelligence, à l'histoire. Certains estiment par contre que maîtriser la peur du feu est la

(6) Ibid, p. 70.

les plus redoutables : mammouth, aurochs, ours gris, lion géant tigre ; refuge dans la caverne et sous les blocs erratiques ; fuite en pleine nuit.

Deuxieme partie :

Découverte et conquête de la cage du Feu, chez les Dévoreurs-d'Hommes, dans les lieux d'eau (longeant le lac, ou suivant les rives du Grand-Fleuve) ; amorce du retour ; alliance, grâce aux signes et aux paroles, avec la société modèle des mammouths, procurant la sécurité à la petite équipe d'hommes.

Troisieme partie :

Retour par le chemin inverse, rencontre avec les Nains-Rouges dans une nature rude : plaine de craie, landes de plantes dures, pleines de pièges, mares ensevelies, nuit sur le marécage ; découverte de la technique de la production du Feu, voyage dans le désert et le Pays des Eaux avec les Wah, forêt des Hommes-au-Poil-Bleu, retour à la savane. Il y a donc là un itinéraire parfaitement tracé pour mettre en valeur l'expédition des trois Oulhamr et faire revivre l'atmosphère préhistorique.

2- Technique :

L'auteur trace le récit selon la quête du héros et ses compagnons. Il la suit minutieusement sans avoir recours ni au flash-back (retour en arrière) ni à la projection (prévision). Sa technique est basée sur trois points essentiels qu'on ne pourrait étudier séparément puisqu'ils se combinent admirablement tout le long du récit : l'action, le temps et les nombres. Le texte est structuré par les chiffres et non les dates tel que nous remarquerons.

Trois étapes, trois parties, trois héros contre trois :

La victoire de l'équipe de Naoh sur celle d'Aghoo à la fin de la troisième partie : "le crâne d'Aghoo retentit ainsi qu'un bloc de chêne, le corps velu chancela ; un autre coup l'abattit sur la terre" (4) répond à celle des mammouths sur les aurochs à la première partie : "les mammouths ne songeaient pas à la poursuite : une fois de plus ils avaient donné la mesure de leur puissance, une fois de plus ils se connaissaient les maîtres de la terre." (5) La signification s'éclaircit : les mammouths et

(4) *Ib'i*, dp 275.

(5) *Ibid*, p. 52.

unique où l'homme se découvre des potentialités nouvelles en utilisant le feu ! Pour la plupart de nos contemporains, le feu est l'homme." (3) Aussi avons-nous consacré la première partie à étudier ce thème fondamental du feu aussi bien que les principaux thèmes qui s'en dégagent et qui se rattachent à la vie préhistorique : la faune, la flore, la terre, l'homme et la société.

Quant à la deuxième partie, elle porte notamment sur l'architecture de l'ouvrage, le genre auquel il appartient aussi bien que les caractéristiques essentielles du style.

Dans la conclusion, il est surtout question de l'originalité du travail et son importance.

D'ailleurs, vu la nature de ce livre qui mélange adroitement science et poésie ou réalité et fiction, cette étude se penchera sur ces deux éléments et leur fusion réussie dans un cadre littéraire attirant.

Deuxième partie

L'abord littéraire

Architecture-technique-genre-style

1- Architecture

a) *Le texte :*

Surmontant les difficultés de la nature, combattant les bêtes et les hommes, Naoh, avec ses fidèles compagnons Nam et Gaw, réussit à reconquérir le feu perdu par sa tribu, découvrir la technique de la production volontaire du feu et obtenir la belle Gammla. L'avenir "innombrable" s'ouvre à lui et à l'humanité entière.

b) *La division :*

Le récit se divise en trois parties distinctes :

Première partie :

Départ de la quête à la suite de la défaite des Oulhamr et de la mort du Feu, embûchés dans la savane et la forêt, rencontre avec les animaux

(3) Ibid, p. 10.

pour conquérir un monde nouveau, surmontant tous les obstacles— souffre d'une crise réelle. Or, à cette époque, la découverte géographique du monde est terminée. Les aventures et les inventions imaginées par les grands écrivains et qui paraissent impossibles et incroyables sont éclipsées par les progrès scientifiques réels. En d'autres termes, "le réel risque de dépasser l'anticipation.... La plus passionnante des aventures ne serait-elle pas notre propre histoire, l'aventure humaine de la préhistoire ? " (1)

Rosny conçoit pleinement que la préhistoire, autant que l'avenir, constitue dorénavant le seul voyage favorisant la fiction. En effet, la préhistoire constitue au début du XX^e siècle un champ fécond d'évasion et de création. Les romans préhistoriques se multiplient : "*Récits de l'Age de Pierre*" de H.G. Wells, "*Avant Adam*" de Jack London etc.... Rosny débute dans ce genre par *Wamireh* en 1894. Lecteur en 1883 du "*Préhistorique*" de Gabriel de Mortillet, suivi sept ans plus tard des "*Origines de la chasse et de la pêche*", Rosny voit dans la préhistoire une source originale d'inspiration. *La guerre du feu* le prouve. Dans sa dédicace à Théodore Duret, Rosny fait remonter ce voyage à "la très lointaine préhistoire, au temps où l'homme ne traçait encore aucune figure sur la pierre ni sur la corne, il y a peut-être cent mille ans. (2) Certains chercheurs vont au-delà, ils comptent même par millions d'années.

La beauté de ce travail est notamment accentuée par la vérité des éléments scientifiques et préhistoriques attestée par les illustrations expressives de Françoise Boudignon et la description de l'homme-an cien : les Dévoreurs-d'Hommes, les Nains-Rouges, les Hommes-au-Poil-Bleu etc...., des protagonistes animaliers" tels le lion géant, l'ours gris des cavernes, l'énorme mammouth etc..., d'une végétation et d'une nature différentes des nôtres.

"Le génie de Rosny aimé est certainement d'avoir choisi le thème fondamental de la très lointaine préhistoire, d'avoir choisi ce moment.

(1) *La guerre du feu*, J.H. Rosny aimé, Le Livre de Poche, Jeunesse Robert Borel-Rosny, 1277.LL Librairie Général Francaie, 1780, pour les illustrations. Introduction par le professeur Louis-René Nougier, directeur de l'Institut préhistorique de l'Université de Toulouse: p.8.

(2) Ibid, p. 18.

La Guerre du Feu
de
J.H. Rosny aîné
PREHISTOIRE
La Découverte du feu
dans un contexte littéraire

Par
Nirvana Harraz
Professeur - adjoint à
l'Université de Helouan

Introduction

Acquis à la science et à la poésie, Rosny aîné est, aux yeux des spécialistes comme Bergier Baronian ou Nougier, le véritable fondateur du genre: il réussit le premier à utiliser l'hypothèse scientifique comme moteur du roman et à créer des univers dont les êtres et les lois nous sont tout à fait étrangers. Nous y rencontrons des végétaux qui pensent des animaux qui parlent et raisonnent; autant de thèmes qui seront développés par la science-fiction moderne.

S'il réussit dans les romans de la préhistoire ou de la science-fiction ce n'est pas uniquement grâce à des qualités qui leur sont propres, mais plutôt à ce qu'ils sont les premiers du genre. C'est vrai que Joseph-Henri Boex nous laisse une production énorme: cent sept romans publiés sous son propre nom et près de cinquante avec la collaboration de son frère, mais il n'acquiert son véritable succès qu'avec les romans de la préhistoire dont le plus célèbre est sans doute *La Guerre du feu*, publié en feuilleton en 1908 et en édition complète en 1911. Etroitement lié aux grands scientifiques de l'époque, Rosny écrit les Xipéhuz appartenant à la science-fiction à laquelle il consacre le reste de sa vie. Ses ouvrages de science-fiction le sont plus que ceux de Jules Verne qui décrit surtout le monde connu, y ajoutant des éléments de science-fiction.

Ceci n'est point extraordinaire car vers la fin du XIX^e siècle, le roman d'aventures dont le thème principal est le départ d'un héros

REFERENCES

- Dinnerstein, Dorothy. *The Mermaid and The Minotaur*, Harper & Row, N.Y., 1976.
- Eisenstein, Hester. *Contemporary Feminist Thought*, G.K. Hall, Boston, 1983.
- Ellman, Mary. *Thinking About Women*, Virago, London, 1979.
- Jardine Alice. "Women in the Plural : Feminist Theories and Practices" A lecture given at Heliopolis Public Library Cairo, April 1st, 1987.
- Jenness, Linda. *Feminism and Socialism*, Pathfinder press, N.Y., 1972.
- Kessar, Helen. *Feminist Theatre*, macmillan, london, 1984.
- McAfee, Kathy. and Wood, Myrna. "Bread and Roses", *Radical Education Project*, Detroit, 1969.
- Mc Ferran Ann. Interview with Caryl Churchill, Time Out, october, 1977.
- Mehrhof, Barbara. "Class Structure in Women's Movement", mimeographed (N.Y., *The Feminists*, November, 1969).
- Rich, Adrienne. *On Lies, Secrets and Silence*, Norton, N.Y., 1979.
- Spender, Dale. *Feminist Theories : Three Centuries of Women's Intellectual Traditions*, Women's Press, London, 1983.
- Wandor, Michelene. *Understudies : Theatre and Sexual Politics*. Methuen, London, 1982.
- Wandor, Michelene. *On Gender and Writing*, Pandora Press, London, 1983.
- Wandor, Michelene. *Plays By Women*, Vol. 1, Methuen, London, 1984.
- Webb, Beatrice. *My Apprenticeship*, Penguin, Harmondsworth, 1971.
- Yates, Gayla Graham. *What Women Want : The Idea of the Movement*, Harvard University Press, Cambridge, 1975.

1. Gems, Pam. "Imagination and Gender", ed. Wandor, Michelene. *On Gender and Writing*, Pandora press, London, 1983, p. 149.
2. Wandor, Michelene ed. *Plays By Women*, Vol. 1, Methuen, Lodon, 1984.
3. From "Woman in the Plural : Feminist Theories and Practices", A lecture given at Heliopolis Library on April 1st 1987 by Dr. Jardine, Alice, Professor o Romance Languages and Comparative Literature, Harvard University. She based her idea of re-vision. on Rich, Adrienne. *On lies, Secrets and Silence*, Norton, N.Y., 1979.
4. Dinnerstein, Dorothy. *The Mermaid and The Minotaur*, Harper & Row, N.Y., 1976, p. 161.
5. Mehrhof, Barbara. "Class Structure in Women's Movement", Mimeographed. (N.Y., *The Feminists*, November, 1969), pp. 1—2.
6. Wandor. *Plays By Women*, Op. cit., p. 39.
7. Interview with Ann McFerran, *Time Out*, 21—27, October, 1977.
8. Wandor. *Plays By Women*, Op. cit., p. 71.
9. Kayssar, Helene. *Feminist Theatre*, Macmillan, London, 1984, pp. 132—33.
10. Ibid., p. 133.
11. Wandor. *Plays By Women*, Op. cit., p. 47.
12. Keyssar, Helene. Op. cit., p. 133.
13. Stone, Betsey. "Women and Political Power", ed. Jeness, Linda, *Feminism and Socialism*, Pathfinder Press, N.Y., 1972, p. 33.
14. Webb, Beatrice, *My Apprenticeship*, Perguin, Hammondsworth, 1971, p. 223.
15. Kayssr, Helene. Op. cit., p. 134.
16. Wandor. *Plays By Women*, Op. cit., pp. 71—2.
17. ———, Michelene. *Understudies : Theatre and Sexual Polittics*, Methuen, London, 1982, pp. 64—5.
18. Kayssar, Helene. Op. cit., p. 134.
19. Wandor. *Plays By Women*, Op. cit., p. 103.
20. McAfee, Kathy. and Wood, Myrna. "Bread and Roses", *Radical Education Project*, Detroit, 1969, p. 35.
21. Wandor. *Plays By Women*, Op. cit., p. 134.
22. Kayssar, Helene. Op. cit., p. 140.
23. Wandor. *Plays By Women*, Op. cit., p. 13.
24. ———, Michelene. "Masks and Option", *On Gender and Writing*, Op. cit., p. 1.

a crucial step in overcoming oppression. They foresee the next step — re-creation of men's and women's relationships to each other — as more difficult than any change yet attempted.

Feminism is a political movement that has developed a wide range of ideologies. In this concern, the four plays, under discussion, are overtly didactic. They preach feminism, inspire and instigate change. The plays, therefore, adopt a strategy of transformation, a metamorphosis of contexts, actions and characters. They do not rely on self recognition but on the recognition of others and the transformation of the self and the world. Characters change in front of our eyes, sometimes gradually and sometimes suddenly. Stas' metamorphosis in *Dusa, Fish, Stas and Vi* from physiotherapist to a high-class call-girl is startling. The world in which characters exist is non-naturalistic, fragmented and diverse. However, *Dusa, Fish, Stas and Vi* is more realistic than "the daring time-chopping structure of *Tissue*" (23). Music serves to link the scenes, conceived as movie takes. *Tissue* and *Dusa, Fish, Stas and Vi* present contemporary scenes whereas *Vinegar Tom* and *Aurora Leigh* retell history from a female perspective. *Tissue* and *Vinegar Tom* deal explicitly with female sexuality, the other two plays do so implicitly. In *Tissue* female sexuality is biologically defined, in the other plays, it is defined in social gender roles. Characters in *Dusa, Fish, Stas and Vi* are exclusively women, the other plays have men in them. Each of the female characters is a type but the majority resist stereotyping. In all the four plays, women are the central protagonists, the main explorers of their own dilemmas, relationships and destinies.

None of the four plays "would or could have been written ten years ago, before feminism had focussed a new, questioning spotlight on the experiences of women in the theatre" (24) in Britain.

heroine. She seeks artistic, economic and sexual independence. The focus of the play is not on her persecution for daring to step outside the social norms as in *Vinegar Tom* but it is on her aspiration and achievement. She succeeds in her endeavour to achieve autonomy. In contrast to Fish, she overcomes her ambivalence and chooses for her work.

You forget too much
That every creature, female as the male,
Stands single in responsible act and thought
For I too have work to do. (pp. 111-12)

She makes use of all her artistic and political tools "so that Aurora is turning the passive nature imagery with which women have been objectified in men's love poetry into an active weapon as part of her struggle for autonomy" (21). Furthermore, she steps towards community with others — an act Fish fails to take with her housemates — but Aurora encounters Marion who was once engaged to Romney, in Paris. The need and the love of the two women for each other grants them a strength of female identity and a sense of female solidarity and sisterhood, which will be a basis of power when they meet Romney again.

The end of the play is an alteration of Browning's poem in which a vanquished Romney, blinded in the fire that destroys his home, turns his life over to Aurora. Having depicted the steps a woman must take to achieve the kind of self-possession that would allow genuine partnership, Wandor concluded that to end with the domination of female over male was not progress but only an exchange of roles in the same intolerable structure. Her Romney thus returns to Aurora in full possession of his sight. Romney's and Aurora's reunion at the end of the play marks a rare instance in feminist drama of renewal and constructive change for both men and women (22).

Feminism to Michelene Wandor is not women over or against men. It is the mutual recognition of each other's human rights. This indicates that feminist plays are not primarily matters of revenge. Nevertheless, they argue forcefully that recognition of women by women is

Aurora's first lessons of infancy teach her to repress her feelings and to control her very thoughts. She is given books to read on womanhood to be womanly.

To prove, if woman do not think themselves,
They may teach thiking; books demonstrating
Their right of comprehending husband's talk
When not too deep, and even of answering
With pretty "May it please you" or "So it is", (p. 107)

But Aurora prefers reading poetry and feels that she is talented to write. Her will to write is resisted as writing requires a genuine transcendence of female identity. In the sense of self-development, it is in direct conflict with the subordination and repression inherent in the feminine ideal in the nineteenth century. Besides, the self-centeredness implicit in the act of writing makes this career an especially threatening one. It requires an engagement with feeling and a cultivation of the ego rather than its negation.

Aurora's cousin, Romney disparages her desire to write and tries to convince her to make better use of her natural talents as his wife, assisting him in his work of touching "life's victims". (p. 111) Aurora refuses to be in his service as a wife.

If I married him
I would not dare to call my soul my own
Which he had so bought for, every thought
And every heartbeat down there on the bill. (p. 113)

Like Fish, Aurora thinks marriage a hindrance on her way to self-autonomy. She is ready to stand alone in charge of her life away from men because as it is believed,

A woman of any class is expected to sell herself — not just her body but her entire life, her talents, interests, and dreams — to a man. She is expected to give up friendships, ambitions, pleasures, and moments of time to herself in order to serve his career or his family (20).

Aurora chooses to "write to live, live to write" (p. 108). She refutes the assumption that women are intellectually inferior to men or that writing is selfish, unwomanly and unchristian. She is a genuine

She feels aching discomfort and loss. She has to adapt herself to the new circumstances and learn new customs. If she marries someday she will not have children because the hormone produced by pregnancy may affect any cancer cells she might have lying dormant. She cannot face people or look in the mirror, "it will always be right shoulder to the mirror. Then I will turn full frontal and see one breast approaching opulence, I will always notice it curving round me and marking "It was here". I am disgusted My mark of degradation. It is so humiliating and demanding of attention". (scene 33, p.91) Sally cannot pull herself together and forget fear. She cannot imagine that time will remove that red scar. It will become pale, smooth and sunk into the skin. Besides, medical research into cancer is advancing fast. A breast can be reshaped by inserting a pad of silicone under the skin. Then no need for fear or shame. One day, Sally will stand in front a mirror and feel the air on her skin. She will find it fine and fun because:

Then I think what does it matter that a breast is not there,
because I am alive. (scene 50, p. 99)

Commenting on the play, Louise Page says, "I write plays because I want to say things". (19) The play is not only directed to hundreds of women who have mastectomy, but it is also directed to women in general. Sally's mastectomy is used as a political tool to challenge the predominant cultural definitions about femininity. Mastectomy is neither humiliating nor is it a mark of a woman's degradation. Losing a breast is not more important than losing an eye or a hand. But so long as women limit themselves to the same criterion of sex set by man they will not liberate themselves from man's exploitation as sex objects. Women have to change the male-derived ideas and images about themselves and raise a new female self-awareness.

Women's struggle against the male's cultural tradition is an extensively explored theme in feminist drama. Pam Gems deals with it in *Dusa*, *Fish*, *Stas and Vi* and her heroine's attempt ends by suicide. Michelene Wandor treats the subject in her verse-drama *Aurora Leigh* but with a different approach. The play is based on Elizabeth Barrett Browning's epic poem (1857) of the same title. *Aurora Leigh* is the heroine and the play centers around her presence and voice. She seeks autonomy in an age where girls were brought up in repression, concealment and self-censorship.

stop it. She has got secondaries and finds it difficult to explain to her children. The lady is horrified of what might happen to her children if she dies. She wants to survive, no matter how she looks because her relationship with her husband "wasn't much good before, just worse after". (scene 35, p. 92).

As Sally is on her bed memories emerge smoothly moving and blending inner suffering softly not through screams or yelling. She takes the audience on a long tour of physical examination's, from tranquillisers to mammogram and then to biopsy. Even the inside of Sally's breast is minutely charted.

Their components interlaced like a clump of trees on the skyline before the dawn. Blue, blues and bluish In one there is a blue shadow like the moon behind thick clouds. (scene 16, p. 84).

Sally is taken from the outpatients to be operated on. Her imagination is operative under the effect of drugs. Scenes quickly merge into scenes. The past intensifies the pain of the present which in turn foreshadows her fears about the future. Thinking about her ex-lover she asks her brother, "Simon, would you sleep with a woman without a breast?" (scene 34, p.91) Sally does not know whether it will be the same or different between her and her lover. She wonders if he can bury his face between a lone breast. Her anxiety is suppressed when each casts the other a ghostly look and the lover says nothing about coming again.

Sally's psychological torture is presented in nightmarish scenes. The irrationality and absurdity of those horrible dreams are interrupted by oppressive and paralysing physical pains. Sally opens her eyes to realize that she is still alive but her breast is gone.

No one has told me what they have done with it. Whether it collapsed itself to be accommodated, nipple upwards in one of those dishes, . . . or it was just put down somewhere, on some convenient surface after its nature of a pink blancmange with a cherry on top. (scene 13, p. 83)

Before writing the play she visited the mastectomy association to put her in touch with several of the members who are prepared to talk about their mastectomies in order to help other women. She wanted to bring home to people the exact sense of losing a breast.

The playwright strips her protagonist of all her defences so that we may see and acknowledge the true psychological and physical suffering of a woman threatened by mastectomy. Sally's sexual identity is biologically defined. It is problematically varied and the world in which she lives is fragmented and diverse. All her life-history is flashed back into her room in the hospital. Every detail is thoroughly examined under the effect of drugs. Scenes from the past are recapitulated. Sally's mother watching her daughter's body changing and becoming a woman comments:

Her body taking on contours. I watched her as her body tried to copy mine as I had tried to copy my mother's. I watched her as she began to look in the mirror closely. (scene 7, p. 77).

Sally does hard physical exercises to make her breast grow. She wants to buy a bra and her brother, Simon, reads the bra ads to give her advice. He wonders if his sister's will develop as big as those in the magazines. He sees pictures of ladies with no clothes on but he wants to see some real ones. These scenes expose how the cultural environment teaches women and young girls that breasts are important for their feminine appearance. They also remind the audience of the way young boys build up body images of the other sex. Moreover, they intensify Sally's fear and pain when she discovers that her breast must be removed.

Why me? It is a question as unsolvable as why I am here?
Why me? (scene 1, p. 77).

Sally is not the only woman in the play who suffers cancer. We hear about her boss' wife who wrecks her life when she tries to avoid mastectomy to keep her body whole. She prefers losing a life to losing a breast. Because her husband admires her body she thinks he means it must be complete. The husband seeing his wife losing fight with cancer explains himself. "I did not ask her to be beautiful but to be there". (scene 40, p. 95) Another patient wonders why they do it if they don't

only after experiencing injustice in a man's world. Alan is, likewise, a contemporary image of the persecutors. He loves Fish and is very supportive and encouraging but all of a sudden he gives her up. Alan's behaviour directs attention to the position of the so-called male-feminists and puts them in question. Are they promising supporters to the feminists' efforts to change the epistemological roots of culture ?

The awareness of sex-based sources and behaviour by the criterion of sex is a force in breaking cultural sexual stereotyping and in changing men's and women's ideas about themselves. The focus for this feminist thinking is on seeking a new female consciousness and a new definition of what it means to be female. Feminists adapt new politics whereby the male definition of women as sex object is turned into a political tool for consciousness-raising and for establishing new awareness out of very special female experiences. They write freely with a new confidence about feminine matters as a new area man does not dare to explore.

Louise Page chooses the taboo subject of breast cancer as a specific feminist subject matter for her fast-moving impressionistic play *Tissue*. She does not present women in their social gender roles as in *Vinegar Tom* and *Dusa, Fish, Stas and Vi* but in their biologically defined sexual identity. Close to the traditional image of wife and mother, is woman's body image. Page makes use of woman's body image to reveal how it is conceived, not only by men but also by women themselves. She is not defining any biological differences. She is simply exploring culturally derived concepts about the how of the woman's body. Man establishes large industries for the fashion in dress, cosmetics and hair dressing to keep woman in the image he desires, with smooth body and buxom breasts. Breasts are of a primary importance to woman's body image. They are a universal symbol of womanhood. Nevertheless, a great number of women suffer mastectomy. Man's dominant definitions of femininity made it difficult for them. If they lose a breast they will not fit in that image and will become déclassé.

Louise Page focuses a new questioning spotlight on the experience. And to probe the pain in that genuine subject she attempts answers to some questions. What is the importance of a breast to a woman? How does she feel if she has breast cancer? Can she get back to normal after losing a breast? Is there any difference? What is the effect on others?

Fish's suicide focuses attention on the "limitations of individual effort and the insufficiency of the liberation of women as a separatist endeavour. Fish tries to change herself, but she cannot overcome the mental structures of class and gender in which she was raised. "(18) Her end implicitly refutes the claim that women are victimized mainly in the economic class structure. In Caryl Churchill's *Vinegar Tom* oppression is total on the rich and the poor women. Though they are not removed from the company of men as Pam Gems's *Dusa*, Fish, Stas and Vi yet they are presented as a separate sexual class. All women suffer in a sexual class structure created by men's authoritarianism. The economic class structure emphasised by Fish contrasts with the sexual class structure in *Vinegar Tom* in that its aim is basically a social class modification, while the sexual class structure seeks a cultural change. Fish's suicide, thus, indicates that women's oppression in *Dusa*, *Fish*, *Stas and Vi* is related to the cultural attitudes and institutions, rather than to a particular male-derived political and economic system. Caryl Churchill and Pam Gems assert that if both men and women recognize the injustice and intolerance prevalent in their social sexual roles and in the attitudes based on them they can change their beliefs, behaviour, conceptions of themselves and of what is possible for them to do.

Vinegar Tom and *Dusa*, *Fish*, *Stas and Vi* present the agony of specific female experiences in two different ages. The existing cultural roots that govern our contemporary life demonstrate no much difference between the position of women in the two plays. Fish, the twentieth century liberated woman, is not saved from an end similar to that of the persecuted witches. Compared to them, she is from a higher social class, financially better off, educated and occupies a distinguished position as a working woman and orator of a socialist party. Because she wants to free herself from the limited roles of wife and mother she is faced with fear, disdain and resistance. Fish is a modern variation on the seventeenth century image of the witch and the shrew. Stas, the high-class -girl is also another variation on Alice but she is intelligent enough to save herself. Alice and all the other women in *Vinegar Tom* are not only separated from men but they are also divided from each other, whereas Stas enjoys solidarity and sisterhood with her housemates. Stas gives and takes much from men on the condition that she won't let them affect her life. Dusa and Vi overcome their crisis and that was

society but they are also the mothers. If they want to find an equitable way of living they have to deploy, not fight and violence, but the strength of spirit and love. Fighting is not for women but non-violence can be practised by everyone. It can make women as potent as the strongest men. Fish dies because she could not and would not fight. She espouses pro-working-class politics but lacks the working-class qualities of survival.

Michelene Wandor in *Understudies* demonstrates that Fish is presented as a political activist to explore her human sympathies and to reveal whether she can combine her psycho-sexual demands of being a female with being a liberated woman and leader of a left-wing political group.

The play treats Fish's dilemma poignantly when she is torn between trying to feel differently and trapped in jealousy and loneliness; but in setting her apart from the others as the only "politico" and in bringing her to suicide, there is an implicit judgement that political commitment either blocks people from coping with their emotions, or makes them even more vulnerable to their own moralism; they try piously to change the world on behalf of the working class but can't even get their own lives together. Matters are compounded by the fact that as far as one can tell Fish is not a feminist and therefore has no theory other than her mechanistic socialism to fall back on. The play asserts the dilemmas without exploring them. (17)

Fish is not like Michelene Wandor's heroine Aurora Leigh. Fish is defeated by the apparent opposition between her love and autonomy. Her liberation is insufficient to protect her from an emotional crisis. She inspires Dusa and Vi to fight for control over their lives while she herself is giving way. She attaches herself to middle class values because in upper classes men have more real power derived from social status. She thinks Marxism is a sufficient basis for the liberation of women. Nevertheless, she is oppressed by a marxist. Alan is very supportive but when her liberation goes against his own will it becomes out of the question.

from the chandeliers. . . I have done". (act 2,p.60) Fish tries to live as a liberated woman but she finds resistance. She the upper-middle class who gives help but is unable to receive it. She feels cheated and tired. "There is no love, and I can't face the thought of fighting. . . My loves, what are we to do? We won't do as they want any more ,and they hate it. What are we to do" (act 2,p.70). She collapses under her socialist fervour and is unable to cope with life without her lover.

Fish is unable to resolve the conflicts between her political theory and her personal inclination to subjugate herself to her lover that she suffers so intensely and finally kills that suffering and herself. Faced with the difficulty of being productive and reproductive, of being workers and mothers, of achieving and nurturing, each of the other women has narrowed her desires and commitments: Stas commits herself to her profession, Dusa to her children, Vi to her body. Fish is greedier than the rest, less willing to settle for what she sees as half a life. (15).

Fish's suicide shocks the audience. It also provokes controversy because she is associated with left-wing politics. Some socialists and non-socialists consider it an assault on the left. But Pam Gems defends herself and clarifies the motive behind Fish's suicide at the end of the play.

I now think that the reason for Fish's decision not to live was failure of love. The antagonism between the sexes has been painful, an indictment of our age. It is true that many women have been drawn, properly, to the Women's Movement after abuse by bad husbands, fathers...they have had hopes pushed aside, seeing brothers favoured from infancy. It makes for grievance, fear and resentment...Fish had tried a new, sharing life with her lover. He didn't want it...he felt better off in a traditional relationship. And she couldn't, wouldn't fight ... Fish does not want a fight. Not in the name of love. And without love she dies. (16).

Pam Gems considers the antagonism between the two sexes responsible for Fish's suicide. In this, she places on women the responsibility as equally as she places it on men. Women are not only half the

and gives a hand to the middle class. She believes in the ideologies of socialist-feminism which asserts,

The reason we are oppressed as women, the reason we are discriminated against on the job, the reason we don't have free child care, is not because of the psychological traits of males, but because equal pay and free child care go against the interests of a capitalist, profit-oriented system. If we want to win our full liberation, we are going to have to oppose the political parties that perpetuate that system, and expose them for what they are-rotten, undemocratic, and unrepresentative of the needs of the . . . people.(13)

In Britain, socialist-feminism places its emphasis on associating gender analysis with class analysis so that women's social and economic liberation may urge rather than follow structural changes in society.

Fish sees that it is the class system itself, created by capitalism,, that oppresses women. Women's oppression originated in the development of a class society based on private property. Prior to the rise of capitalism, women and men were equal in sisterhood and brotherhood. Therefore, Fish admires and defends middle class values and when she loves she chooses a man devoted to the same values and the same political party. She attempts to find a new equitable way of life with Alan because she cannot "have a career and five abortions in the name of progress. That's a fashion I'll leave out. We have to break new ground. Together". (act2, p. 67). Fish thinks motherhood will drain her political and intellectual energies. She wants "to remain celibate; so that the special force of womanhood - motherly feeling-may be forced into public work".(14) She refuses Alan's proposal "because he wanted it to shut me up". (act 1,p.52) Alan admires Fish's social career but he needs her as a wife and mother of his own children. He prefers a traditional relationship and she won't give him what he wants. Alan prefers marriage to struggle and politics. Fish too implicitly prefers love to freedom. Drinking a toast she says, "To love. . . Freedom". (act 1,p.58) Fish cannot live without love. She is so full of Alan's love that she cannot bear the news of his marriage. She makes a fool of herself, "I'm prepared to change myself! Anything he wants! I'll swing

and prudent. She cares about how to live and the why of life is a meaningless question to her. She is a realist and more practical than the other three. Unlike Fish, she does not see the importance of changing things because her old father taught her "that there is tendency in the world for things to collapse". (act 2, p. 61) She believes in using science for our good. Science can "replicate people now...can cross-breed. A deer with a monkey...an elephant with a cow...Fifty years from now we shan't need Concord, we'll all have fins and feathers". (act 2, p.61). Stas does not like the way Fish lives. She believes that her attitude and talks are only a fashion. Fish does not have to get involved in a political activity on the side of the middle class, "She can slum as much as she likes, she's never going to be one of the workers". (act 1, p. 55). Stas also advises Fish to forget Alan and stop bothering about him because he is not for her romantic love. Stas' attitude towards men is different from the others. She saves herself the trouble of fighting against men because she needs them. The moment she has her air-ticket to Hawaii she declares, "no more appointments after this month". (act 2, p. 66). Unlike the others, she avoids for herself the pain of an abortive experience because she is aware that if she loves she will do what a man wants. As the four "women's lives interrupt, punctuate and support each other, a structure emerges similar to that of a jazz quartet. In this structure, it is Stas who provides the counter-melody, the disconcerting sounds and images that make us pay attention". (12)

Fish is an upper-middle class intellectual, passionate and caring. She has the self-confidence and courage of her class. Searching for the way to confront political and social problems without malice she attaches herself to a political group on the left and seeks an adventurous and supportable way of life with her friend, Alan. Fish represents the modern woman torn between her traditional role and her social duties as an individual with a free will. She places her psychological struggles in the context of politics and accepts the notion that women's personal life is connected to political life. Like numbers of women in Britain who are active on the new left or members of the Communist Party, the Labour Party Young Socialists and the International Socialism Group, Fish becomes an effective orator for a left - wing political group. Though she belongs to the upper-middle class she cares about

Not one of these women is perfect in her generosity or recognition of the others, but they do learn and change from their failures. Not one of them is a model of the "ideal" woman, but, importantly, the absence of deceit and manipulation among them serves as a model for how women might be together. (10)

Vi is the youngest of the four women. She belongs to the urban working class. She is a waif given house room by Fish. "She is one of the vast numbers of working-class adolescents who are bright, restless or maladjusted enough to leave home and hit London, or any capital city". (11) At the beginning of the play she is anorexic and physically weak but after a short stay in hospital she returns with "Hitler's best buddy" (act 2, p. 61). Vi manages the household. She cooks and cleans and sometimes she plays the part of the housemother. Like Dusa she suffered an unfruitful relationship. She had an unpleasant experience that ended by abortion. Now, she is aware that "men have a tendency not to disapprove of rape, that is, unless their own mother, wife, daughter or sister are involved. When this is the case they are liable to become...hysterical" (act 1, p. 53). Vi learns a lot from her past experience and she is willing to help both Dusa and Fish to overcome their emotional distress. She bursts out blaming Dusa.

Well, it's her own fault! What did she let him treat her like dirt for? She really let herself go, it's ridiculous...bloody pushchairs, he got fed up with it,...Why don't she stand up for herself, it's ridiculous! (act 1, p. 56)

Vi suffers unemployment and lives on her social security. However, she advises Dusa not to confine herself to the role of the mother and the housewife and she herself surprises us with her traffic warden's uniform at the end of the play.

Stas is the most overtly divided of the four women. She works as a physiotherapist in a London hospital during the day and at night she works as a high-class call-girl to save money to do graduate work in marine biology in Hawaii. She transforms herself from an unremarkable, plain working woman to a "creature of sumptuous and startling beauty" (act 1, p. 47), before our eyes. She is reliable, efficient

devided from each other by men. Removed from the company of men in *Dusa, Fish, Stas and Vi*, women live together in concord. Each of the four women attends to the other's needs "and it is the ability—or inability—of each of the women to be responsible to the others that establishes the main tensions of the drama...In isolation, each of these women's struggles would be poignant but flat; juxtaposed to each other, each women's battle for strength and survival inspires the others and points to deep social structures that support patriarchy and women's own weak self-image." (7)

Dusa is in her late twenties. She represents "a Vogue fashion model, off duty". (scene 1, p. 47). Her dream was to be married and to have children, "I wish I were a cat or a horse. I'd have one a year!" (act 1, p. 52) She prefers to be fully feminine in the uniquely female order of bearing and nurturing children and having sexual relations with those children's father. None could have worshipped her husband more than she did. She worked all through the pregnancies, washed his socks and painted the wall. Dusa considers marriage a social duty, a personal fulfillment but nevertheless all of a sudden she finds herself abandoned, homeless and penniless. She suffers both as a deserted wife and as a mother deprived of her children. She complains of man's oppression, "In the old days first their mothers, then their wives...cradle to grave support systems" (act 1, p. 57). Fish, the owner of the flat, advises her that it is "Time to change the rules" (act 1, p. 57). Fish thinks that Dusa can change her weak-self image into something better. Female weakness can be changed into female power. Women's power of nurturing, of mothering, first of the child, then of the man, gives her the power for determining the manhood of man. Dusa is responsible for giving her husband the chance to treat her like dirt.

The play calls for some degree of attention to the woman as a changing, growing individual in a changing world. The other three women in the play react against their enclosure within the four walls of home and advise Dusa to start fighting but she has no energy. She is hooked on valium and heavily tranquillised to cope with the absence of her children. She is supported and helped to retrieve her children and she herself in turn gives a hand to the others when needed.

women's audience whereas some men were upset by it. They felt accused by the songs the playwright made use of to shift attention from the horror of the past to the contemporary oppression of women. The songs are performed in contemporary dress to emphasise the continuity between present and past and to provide a contemporary commentary on the action. The play is thus a re-vision of the history of the past and the present and through this re-vision Caryl Churchill makes a new kind of history— of the theatre and of society.

Unlike Caryl Churchill's *Vinegar Tom*, Pam Gems's *Dusa, Fish, Stas and Vi* is about contemporary survival. The play shows the lives of four young women as under a microscope. The play is void of men characters but men are only present in references in the four women's conversation. However, the absence of men on stage becomes itself a significant device to assert that women cannot gain their liberation by separating themselves from the male's societies because communities of women exist in a larger society that includes men. It is very difficult for women to become liberated because of the social pressures around them. Pam Gems explains that

It seemed to me when I was writing the play that for all the rhetoric, and the equal opportunities, and the Sex Discrimination Acts, that society had not moved one step towards accommodating the other fifty per cent of us and our needs. Not that the age of industry fires the imagination of any of us too much, men or women. But to be told, as women, that we were to be allowed to join, as fully fledged citizens was one thing. How we were supposed to do it, and breed and rear our young, particularly in a country which since the war had chosen to build offices and high-rises rather than houses where people might live in some sort of dignity and privacy – well, we've seen the result of all that. (8)

Dusa, Fish, Stas and Vi explores the psychology of women on the one hand and their social and political status on the other. The four women's failure to establish fruitful relations with men is a forceful indictment of the society itself. In Churchill's *Vinegar Tom* women are

The torture and the suffering of the women who attempt to defy the established conventions are thoroughly depicted to ensure that women are separated out in humanity and their humanity is denied as inferior beings whose only purpose is to enhance men's lives. Christian teachings against women and the connections between medieval attitudes to witches and continuing attitudes to women in general are also explored. Kramer and Springer, the Professors of Theology, explain why witches are predominantly women. They base their assumption on the role of Eve as temptress in the Fall. Thus women are assigned to a place of moral and intellectual inferiority in the universe. They are also "feebler in both body and mind" because Eve was "formed from a bent rib." (scene 21, p. 37)

There is no real witchcraft in the play. It exists only in the mind of the persecutors. All we can see is that "All witchcraft comes from carnal lust which is in women". (scene 21, p. 38) The witches are scapegoats for the male's bias, inconsistency and infirmities which men cannot acknowledge as their own.

Vinegar Tom is not only about women and addressed to women but it is also an attempt by a female per to break the hold of social pressures and constraints on women. The play does not only explore the witchhunts of women in the seventeenth century but it also demonstrates twentieth century feminist consciousness.

Speaking about playwrighting and her own personal experience, Caryl Churchill says,

...for years I thought of myself as a woman, but recently I've found that as I go out more into situations which involve women, what I feel is quite strongly a feminist position and that inevitably comes into what I write. However, that's quite different from somebody who is a feminist using writing to advance that position (7).

The play is a sincere expression of Churchill's feminist position. It received a very good reaction when it was presented at the Humber-side Theatre, Hull, on 12 October 1976. It gathered a large number of

Punishment is death for those who dare to step outside the social norm. Wives cannot even decide for themselves whether or not they wish to bear children. They have no right to control their own bodies. Susan has three children but her husband wants more. She is forced to resort to dangerous means to prevent the birth of unplanned children that wreck the chances of a decent standard of living for the family. Aborting a fetus is a sign that she is wicked and possessed and she has to pay with her life for it.

Men as a class have more power than women and if women live without men they sink in the social scale. It is not safe for women to live alone. If they "float" they are witches and if they sink they are "dead anyway" (scene 16, p. 34) Because Betty refuses a suitor she becomes in trouble at home. They say it is the devil in her and she has to consent to their will to save herself. She seizes upon the best chance a woman may have. That is to "marry a rich man, because it's part of his honour to have a wife who does nothing. He has his big house and rose garden and trout stream, he just needs a fine lady to make it complete and you can be that." (scene 16, p. 34) Betty is materially better off but she has no more choice or power over her life than Alice or Susan or any other woman in the play. Marrying a rich man grants Betty her identity card, her right to existence for unless she is the wife of someone or the mother of someone, she is nothing.

The play also expresses the seventeenth century cultural attitude toward female passion as a potentially dangerous force that must be punished and confined. Whipping girls to subdue the unruly flesh and the rebellious spirit was a routine punishment. It is interesting to note that men do not only oppress women in the play but they also use their ideologies to divide women from each other and that sexual discipline in the play is administered to women by other women, as agents for men. Goody is taught by Packer how to find out witches.

Though a mark is a sure sign of a witch's guilt having no mark is no sign of innocence for the devil can take marks off.
(scene 18, pp. 35-6)

herbs. She presents healing not harm and there is no devil in it, but how could she save herself a fearful end ?

You may be a mother, a child or a whore.
If you complain you're a witch
Or you're lame you're a witch
Any marks or deviations count for more.
Got big tits you're a witch
Fall to bits you're a witch
He likes them young, concupiscent and poor.
Fingers are pointed, a nock at the door,
They're coming to get you, do you know what for?

(scene 16, p. 34)

Caryl Churchill "wanted to write a play about witches with no witches in it, a play not about evil, hysteria and possession by the devil but about poverty, humiliation and prejudice, and how the women accused of witchcraft saw themselves".⁽⁶⁾ The witches are victims of men's oppression, of sexual exploitation and of the conventions that consider women inferior servants of society and of men. The play reveals that women are further exploited in their roles as housewives, mothers and daughters. Women cannot live independently. They have to marry and have children and the completeness for women's life comes exclusively through homemaking. Women are domestically responsible for the family and for the nurture of children and they have no other strong identity as this one. The husband's conjugal rights are absolute and the wife cannot refuse his advances. Life runs smoothly when wives see themselves as subordinate to men and as persons whose duty is to please their husbands.

There is constant pressure on all women in the play to be subordinate to men and in the image they want. Margery works all day; milks the cows, churns the butter, bakes and helps her husband in the fields. She is the server of all the family needs and the comforter of her husband's woes. She finds her security in fitting into the role set to her by society and in being dependant on a husband.

who visits men by night. Alice is a "whore, damned strumpet, succubus, witch". (sence 1, p. 18) She is aware of her sin but she has no other profession. Unlike her, Man believes that no sin is in flesh, "I think if I'm damned anyway I might as well sin to make it worthwhile". (scene, 1, p.17). Man grants only himself the right to have premarital and extramarital sexual affairs, but women are to confine their sexual expression to marriage only. If they dare do what men allow for themselves they become witches and must be hanged.

Caryl Churchill in *Vinegar Tom* is not exploring female sexuality to show only that men treat women as sex objects but she is also demonstrating that gender is shown as a class in the play. Powerful masculine superiority explicitly oppresses women as a class.

Feminism maintains that women are a separate sexual class and considers men the originators of the class structure.

Males originated class and have fostered terrible inequities in society through the oppression of one group by another; their justification of these inequalities began when they first declassified women out of humanity. Thus, "humanity" or "society" in effect refers only to those individuals making up the male class – all men...The class of men is self-defining and well organized vis a' vis its counterclass—the class of women. The class of women is a class defined by the class of men. Both classes together constitute all those individuals called human beings ; since, in addition , this political division, is the basic one in all societies, it is the primary class system. (5)

Women's oppression in *Vingar Tom* is equivalent to class oppression of poor. All men characters are rich and powerful while all the witches are poor and helpless. Alice's mother is an old widow. She suffers the pain of hunger and want. She too thinks marriage the only means to be better off because she can hardly find anything to eat. She begs a little small crumb of yeast to bake a couple of little small loaves and brew a little beer . Ellen, the cunning woman is likewise poor. She has done nothing dangerous and people go to her for healing with

poor, single, and sexually unconventional. They are guilty of living without men, healing, aborting a fetus and taking pleasure in sexual intercourse. For these crimes they are eschewed, made objects of horror, tortured to provoke confessions and finally hanged.

The play depicts the suffering of each of the women who attempt to defy established conventions for women's behaviour. Alice is a poor girl who supports her fatherless child and old mother. There is no way she can get money but to accept the available offers:

If you come with me and give me body and soul, you'll never
want in this world. (sence 1, p. 17)

Man is presented in the image of the devil. He is a "man in black" and of a fearful "enormous size". His body is "rough and hairy" with "great burning eyes" and "cloven feet". He tempts Alice to be an obedient servant to all his insatiable desires.

Will you do everything I say, like a witch with the
devil her master ? (scene 1, p. 17)

But Alice would rather do what gives "us" pleasure. "I'll do like a wife with a husband her master and that's enough for man or devil" (scene 1, p. 17). She would like to be his wife, not his mistress. She wants a husband, "a man I can have when I want, not if I'm lucky to meet some villain one night" (sence 5, p. 23). Alice suffers the pain of indigence and she is aware that her social and economic security is dependant on man and that marriage is the singular route to her fulfillment. Nevertheless, she expresses both an awareness, of, and a revulsion from sexuality. She even reveals her hatred for her body.

Blood every month, and no way out of that but to be sick and
swell up, and no way out of that but pain. No way out of all
that till we we're old and that's worse. (sence 5, p. 22)

There is no way before Alice to break away from the yoke of biological femininity. She is young, beautiful and desired even by married men and a woman like her, aware of the animal aspects of her body, with its needs and appetites, and her passions is a witch, a night demon

We are able to begin to explore, to become aware of ourselves autonomously, to be on our own feet, and to write and rewrite our own history. We have to discover who and what we are. We must discern our own needs, our demands, in order to know what our contribution should relevantly be. (1)

These four playwrights are : Pam Gems (b. 1925), the author of the above lines, Caryl Churchill (b. 1938), Louise Page (b. 1955) and Michelene Wandor who compiles the four plays in question into one volume. (2) The volume includes Caryl Churchill's *Vinegar Tom* (1976), about witchcraft in the seventeenth century, Pam Gem's *Dusa, Flsh, Stas and Vi* (1976), an account of the lives of four young women, Louise Page's *Tissue* (1973), about breast cancer and Michelene Wandor's *Aurora Leigh* (1979), an adaptation of Elizabeth Barrat Browning's verse novel of the same title. The plays reveal the wide range of subject matter and style tackled by women playwrights. They explore the psychological, social and political status of women. They pay attention to the lives of women as individuals, in relation to men. With Caryl Churchill in *Vingar Tom*, this takes the form of retelling history from a female perspective. And in representing history, the play calls into question conventional notions of power and gender, of women's social roles and their sexuality. The re-vision of history for Caryl Churchill is an "act of looking back, of seeing with new eyes, of entering an old text from a new critical perspective – is more than just a chapter in cultural history, it's an act of survival... one must know the literature of the past but *otherwise* than we have known it before; not in order to perpetuate a tradition but in order to break its hold over us ..." (3)

The play is not based on any precise historical events but it is loosely set in the seventeenth century to explore the persecution of women in the name of witchcraft. It shows how fear of female sexuality which was considered evil and coming from the devil is the main motive for the witchhunts of women in seventeenth-century England. This fear which Dorothy Dinnerstein defines as, "the crucial psychological fact... that all of us, female as well as male, fear the will of woman". (4) Most of the women characters in the play refuse the image of The Virgin and they call for a return to Eve. The women accused of witchcraft are

FEMINISM IN CONTEMPORARY BRITISH THEATRE

HANA'A HASSANEIN ALY

In the last decade, feminism has risen affecting virtually every level of British life. It has begun to colour interpersonal relations, family life, the educational system, politics, business, the mass media, religion, law, the judicial system, the cultural value system and intellectual life.

Feminism in Britain is not one thing. It is a collection of ideas which are constantly changing and re-assessing themselves. Its aim is not to imitate the arrogance of the male patriarchy but to break its hold and reveal the weakness and contradictions of its system. The Women's Movement writes literature of it and about it, and especially in the theatre women playwrights struggle to let their voices be heard. They write plays that are informed by their consciousness of women as women. They guide themselves by their own impulses to self expression, to concern themselves with their individual identities and to articulate women's experience.

By the mid-seventies women developed their own theatre network. They established and ran theatre groups. Women's Theatre Group and Monstrous Regiment performed plays by, about and for women. They looked for women who were writing for the theatre or the radio because British radio has a long tradition of drama. These theatre groups discovered a number of women playwrights, among them, four are selected to be the subject of this survey. One representative play is chosen for each to show how these women playwrights capture disregarded details of women's lives and how they strive for authenticity and refuse to go back to the same ideas or language of men playwrights.

Literaturverzeichnis

1. Buehl, Harald : Kulturpolitisches Woerterbuch, Berlin 1970.
2. Der Große Brockhaus, Bd. 2,8, Wiesbaden 1953, 1955.
3. Deutsche Kulturgeschichte, Im Grundriß, Hrsg. Wilhelm Goeßmann, Muenchen 1863.
4. FRIEDEL, EGON : Kulturgeschichte der Neuzeit, Muenchen 1965.
5. YAISER, GERD : Moderne Malerei und Cézanne bis zur Gegenwart, Muenchen o.J.
6. HANSEN, HEMMY : Knaurs Kostuembuch, Muenchen 1954.
7. KNAURS LEXIKON : Moderner Kunst, Muenchen o.J.
8. KONIG, RENE : Kleider und Leute, Hamburg 1967.
9. MEYERS Neues LEXIKON, Bd. 3,5, Leipzig 1961, 1964.
10. RIED, GEORG : Wesen und Werden der deutschen Dichtung, Muenchen o.J.
11. RULAND, RICHARD : Nationen im Aufbruch, Muenchen o. J.
12. STIER, HANS ERICH : Deutsche Geschichte im Rahmen der Weltgeschichte, Berlin.
13. TENBROCK, ROBERT-HERMANN : Geschichte Deutschlands, Muenchen 1965,
14. TREUE, WILHELM . rjllustrierte Kulturgeschichte des Alltags, Muenchen 1952.
15. UHLMANN, IRENE Kleine Enzyklopaedie, Die Frau, Leipzig 1964.

Anmerkungen

1. H. Buehl, Kulturpolitisches Woerterbuch, 374.
2. ebd., 375.
3. I. Uhlmann, Kleine Enzyklopaedie "die Frau", 489.
4. Der Große Brockhaus, Bd. 2, 101.
5. E. Friedell, Kulturgeschichte der Neuzeit, 1004.
6. vgl. : Deutsche Kulturgeschichte, 98.
7. E. Friedell, a.a.O., 1003.
8. R. Ruland, Nationen Im Aufbruch, 29.
9. W. Treue, Illustrierte Kulturgeschichte des Alltags, 220.
10. H. Hansen, Knaurs Kostuembuch, 226.
11. E. Friedell, a.a.O., 1003.
12. ebd., 1041.
13. ebd., 10033.
14. ebd., 1305.
15. vgl. E. Friedell, a.a.O., 1051.
16. vgl. Deutsche Kulturgeschichte, 99.
17. vgl. H. e. Stier, Deutsche Geschichte im Rahmen der Weltgeschichte, 580.
18. E. Friedell, a.a.O., 1306.
19. ebd., 1301.
20. ebd., 1301.
21. vgl. ebd., 1302.
22. I. Uhlmann, a.a.O., 497.
23. Deutsche Kulturgeschichte, 122.
24. vgl. ebd., 123.
25. Der Große Brockhaus, Bd. 8, 340.

Schluß: Einige Gedanken zur Mode der gegenwaertigen Zeit
Wir leben heute in einer unruhigen Zeit, in einer Zeit der Unausgeglichenheit. Die Atomzertrümmerung hat nicht nur auf ihren Gebieten der Chemie und Physik große Veraenderungen hervorgerufen. Sie hat auch ihren Schatten auf das Leben des Menschen geworfen. Vieles ist "zer-mmert" worden, was früher heilig war; vieles Belastende wird dabei trüber Bord geworfen, aber auch viel Schoenes verschwindet. Die Wissenschaft hat neue Erkenntnisse hervorgebracht, die Technik hat sich gewaltig entwickelt; Raumfahrten, früher der Traum eines phantasiervollen jungen Menschen, sind in die Konkurrenz der Gro Bmaechte getreten, Menschen haben ihren Fuß auf den Mond gesetzt, damit sind zu neuen Forschungen die Wege geebnet.

Der Mensch lebt inmitten aller dieser Geschehnisse sein Leben, es ist erregend geworden, nicht mehr stabil, und wechselt von Esxtrem zu Extrem.

Auch die Mode ist weiterhin in die Selbstgestaltung der Massen mit hineingezogen worden, sie gibt ihnen das Profil und spiegelt den Geist der Zeit wieder, sie wandelt sich heute noch schneller. Auf den übertrieben kurzen, den Mini-micro-Jupe, folgt der Midi-maxi, der Geschmack geht unbekümmert mit, das Auge gewohnt sich. Doch wie jeder Stil lebt, waechst sich zum Hoehepunkt entwickelt und eines Tages stirbt, werden auch die heutigen Lebensgewohnheiten anderen weichen. Die Keime für das Neue schießen schnell hoch, was gerade die modernste Zeit beweist.

Es bleibt nur die Hoffnung, daß sich der Mensch seines Wesens bewußt bleibt, daß er seinen Geist, seine Menschenwürde nicht vergißt.

Die Maennerkleidung veraendert sich in dieser zeit wenig, sie behaelt ihr charakteristisches Bild aus dem vorigen Jahrhundert. Was sich veraendert, ist hoechstens die Laenge des Jacketts und vielleicht seine Form. Die MaBanzuë erhalten eine Polsterung zur Koerperkorrektur, Knoepfe dienen mehr zur Verzierung als zu einem Zweck, Taschen werden aufgesetzt oder eingesetzt. Der Abendanzug bleibt elegant, doch faellt der Zylinder fort, auch der Frack wird seltener, an dessen Stelle tritt der Smoking. Im taeglichen Anzug beginnt die Neigung zum "Saloppen", zunaechst verschwindet die Weste langsam, wird durch den neuen Pullover ersetzt. Auch fuer den Herrn haben Prestigepersoenlichkeiten einen groëen Reiz, etwa der Prince of Wales wird zu solch einem Prototyp, nach ihm richtet sich die Herrenmode.

Obgleich die Raeumlichkeiten jetzt besser beheizt sind, hat sich der Herr noch nicht mit einer extra Hauskleidung befreundet, im Gegensatz zu der Frau.

c) Nebenerscheinungen der Zeit:

Die Frau ist um ihre Gesundheit, um ihre sellische Gesundung besorgt. Die von S. Freud erstmalig angewandte Psychoanalyse, der Wissenschaft schon seit zwei Jahrzehnten bekannt, dringt auch zu der allgemeinen Menschheit. Der Begriff des Komplexes taucht auf, die Frau findet in ihm ihren Grund fuer ihre fraulichen Leiden, sie wendet ihn bei der Erziehung und gesundheitlichen dliege ihres Kindes an und kommt dabei gar zu leicht in Ubertreibungen, aus denen dann die Modekrankheiten weden. Die billige Lektüre der Courths-Mahler, das Problem der "unverstandenen Frau", wird von vielen aufgegriffen.

Eine aehnliche Erscheinung ist der Glaube an ein Horoskop,^F das taeglich im Kalender abgelesen, die Tagesstimmung skandiert, Andere neue Gewohnheiten sind das Kreuzwort - Raetsel, das in dieser Zeit verbreitet wird, und welches bis heute noch zur besten Zerstreuung vieler Menschen dient.—Modisches Zubehoer sind ferner der F llhal. • ter, die Armbanduhr,

Kunst und Musik gehen auch neue Wege, und der moderne Mensch ist immer bereit, das "Neue" aufzunehmen, wenigstens aber sich verstaendlich zu zeigen, um als "gebildet" zu gelten und an dem Fortschritt beteiligt zu sein.

Ebenfalls legt man auch größere Wichtigkeit der Unterwäsche bei. Vor allen Dingen soll sie nicht dazu beitragen, daß die Frau durch sie üppiger aussieht, sie soll nicht "auftragen" und nur diskret dienen. Ein neuer Stoff, das "Jersey", ist in Mode gekommen, die Unterhemden werden in vielen Farben, den sogenannten Waesche-farben, hergestellt, mit viel Spitze verziert und finden sich im Waesche-schrank jeder Frau.

Großer Wert gilt auch dem Make-up, an man richtet sich nach der fran-zoesischen Art, nach dem besten Vorbild. Man schminkt sich aber nicht allein für sich im Hause, sondern trägt in der Hand-tasche Puder, Lippenstift und Augenschwarz bei sich, um sich auch außerhalb des Hauses vor jedem Spiegel zu verschönern.

Das Hütetragen kommt langsam aus der Mode, Man beginnt sich mit Schals ein phantasievolles Aussehen zu geben; sie werden in beson-deren Knoten um den Kopf gewickelt. Hauptgrund dafür sind die neuen Frisuren, "die Dauerwellen" sind aufgekommen, fast jede Frau unterzieht sich dieser Prozedur und will sich dann auch zeigen.

Vielfach nimmt man sein Modevorbild auch aus dem Reich der Stars; eine Neuerscheinung dieser Zeit. Man kleidet sich wie "Greta Garbo" und "trägt" das Lächeln der "Henny Porten". Auch aus dem Sportbericht ist vieles übernommen worden, so der Pullover, von Herren und Damen gleichgetragen. Aus der Welt der Arbeit entnimmt man das Oberhemd mit angenähten Kragen, das man sogar ohne Kra-watte tragen kann.

Im Sport selbst gehen die Damen so weit, daß sie Hosen tragen, auf jeden fall aber die sogenannte Rockhose; das ist eine große Revo-lution, denn seit dem Altertum ist für die Frau der Rock das einzig mögliche Kleidungsstück gewesen. Als Arbeitskleidung tritt die Hose jedoch schon ver-schiedentlich auf, die Frauen, die während des ersten Weltkrieges teilweise Männerarbeit machen mußten, haben sich an sie gewöhnt und wollen sie jetzt nicht lassen.

Alles in allem ist die Mode dieser Zeit, besonders das Gewand der Frau, gesundheitsfördernd und stört die Bewegungsfreiheit nicht. Bedenken wir doch, wie die Frauen noch fünfzig Jahre vor dieser Zeit schon am Morgen und bis zum Abend mit einem engen Korsett herumgehen mußten, und wie ungesund es für sie war.

Die Damenmode hat auch jede überflüssige Torheit gelassen, sie ist praktisch ausgerichtet, dem modernen Leben und dem Beruf angepaßt. Im Zeichen der neuen Sachlichkeit sind die Stoffe dieser Zeit praktisch und doch schön. Eine Neuheit ist der Plisseestoff, ein klares Erzeugnis moderner Fabriktechnik und des neuen Reinigungsverfahrens. Stoffe gibt es für Kleider jeder Tageszeit, wie überhaupt die Frau dieser Jahre einen scharfen Unterschied zwischen den Kleidern verschiedener dem sogenannten "Hemdkleid" gekennzeichnet, einem formlosen Kittel, ein Gürtel umschließt es in Hüfthöhe. Die lange Perlenkette und das Muster der Stoffe stellen die sparsamen Unterbrechungen in der schlichten Kleidform dar, die für schmale Frauen ist. Das Schneiderkostüm gilt als Straßenanzug, es hat große Ähnlichkeit dem Anzug des Herrn, vor allen Dingen das "Smoking-kostüm", das streng auf Taille gearbeitet ist, ein Taschentuch schmückt die Brusttasche.

Im Vergleich zu den prachtvollen Gewändern anderer Zeiten sind die Kleider um 1730 einfacher, ohne viele zeitraubende Stickereien und andere kostspielige Handarbeiten—diese werden höchstens durch Maschinenarbeit ersetzt, sie sind auch billiger, und man hat viele Kleider. Als Abendtoilette trägt man lange Kleider, nachdem sich wieder einiger Wohlstand ausgebreitet hat. Sie sind zwar lang, aber verbergen nicht viel im Vergleich zu den langen Kleidern anderer Stilperioden, die der Dame ein festliches Aussehen gaben. Diese Abendkleider schmiegen sich um Hüften und Beine bis zu den Knien an, enthüllen den Frauenkörper und sind oft im Rücken dekoltiert. Die dafür verwendeten Stoffe sind aus schwerer Seide, in schnell wechselnden Modelfarben; lange Perlenketten werden Mode und gehören zum Abendkleid.

In den zwanziger Jahren haben die Tageskleider der Damenmode eine Neigung zum Kürzerwerden, als ob die Frauen beweisen wollen, daß auch sie Beine haben. Der Mensch hat jetzt eine andere Einstellung zu seinem Körper. Nach 1930 werden die Kleider wieder etwas länger, erreichen aber nicht die Länge der Mode aus der Gründerzeit 30 cm vom Boden entfernt bleibt die Linie stehen. Daraus erwächst ein besonderer Luxus in der Mode der Damenstrümpfe, sie werden aus glänzender Feide hergestellt, die Farbnuancen liegen zwischen fleischfarben und dunkelbeige.

Es ist auch mehr Interesse vorhanden, denn die großen und immer wieder neu entstehenden Kaufhäuser locken mit ihren prachtvoll dekorierten Schaufenstern an, reizen den Käufer durch billige Angebote, die "Ausverkäufe" sind an der Tagesordnung, wo "Ladenhüter" – auch ein Modewort dieser Zeit – zu sehr billigen Preisen abgestoßen werden.

b) Kleidermode im Allgemeinen und in ihren Auswirkungen:

Die Mode der Kleidung wechselt jetzt schneller als in früheren Zeiten, wie überhaupt das Leben schneller ist, ein anderes Tempo herrscht, die Tage sind ausgefüllt. Durch Reklame in Kinos, Radios, Inserate wird jede Änderung gleich von der großen Masse übernommen, deren Lebensstandard sich gehoben hat, Arbeiter und Angestellte können die modischen Massenartikel, die {verhältnismäßig} billig hergestellt werden, ohne weiteres kaufen und nehmen so an der Mode und ihrem Wechsel teil. So ist im Zeichen dieser Massen und ihrer Suggestion auch die Mode ein Massenobjekt. Obgleich die Allgemeinheit sich zu einer einheitlichen Mode entschließt, wobei jeder den anderen nachahmt, haben einige eine Individualität hervorgebracht, wie es bereits bei der Innenarchitektur bemerkt wurde.

In enger Verbindung mit der Frauenmode steht die Position der Frau von diesem Jahrzehnt. Sie ist den Lebensbereich des Mannes eingedrungen im Zuge ihrer Emanzipation, sie ist im öffentlichen Leben, im Beruf und hat eine eigene persönliche Stellung zu ihrem Mann und in ihrer Familie. Dem ist die allgemeine Kleidermode angepasst, doch ist die Frau eitel und will keine uniformierte Berufskleidung tragen.

Im Gegensatz zu der Frau der Biedermeierzeit – die Salonfrau hat sie mehr Freiheit und Rechte, sie kann jetzt auf der Straße ohne Gardedame gehen und Diskussionen mit einem Mann allein führen, was früher als "unerhört" angesehen wurde.

Eine extreme Erscheinung dieser Zeit ist das "Mannweib"; diese Art Frau betont, daß sie dem Mann gleich ist in ihrer Kleidung, sie trägt einfache graue Röcke, Hemdblusen, dem Oberhemd des Mannes gleich, eine Schleife am hohen Kragen, um die Krawatte zu imitieren, und derbe Schuhe. Die Haare werden nach Männerart gekämmt, die Frau beginnt auch zu rauchen. Sie nutzt ihre Selbständigkeit in jeder Beziehung.

Industrie und Handel, Sportstaetten und Schulen errichtet; große Wohnblochs entstehen, typisches Zeichen des Massendaseins. Keine Schnoerhelei, sondern ein klares, geordnetes Gebilde. Das zeigt sich auch bei den neu errichteten Fabriken.

Auch die Innenarchitektur richtet sich nach diesem Vorbild, die Raeume sind nicht mehr uiberlastet, sie werden einfach moebliert, wie z.B. praktische Sofas, die zugleich Schlafstelle sein koennen. Die neuen Raeume von Le Corbusier haben die Bedeutung der "guten Stube", mit ihren Apparaten, ihrer Helligkeit und mit weiten Fenstern, offen fuer jeden Blick, moechten sie jetzt ein Wohnen fuer den produktiven Menschen sein, der sich als Arbeiter am Gemeingut der Menschheit fuhlt, und nicht fuer den Traeumer oder den Rentner.

Bei allem herrscht doch ein guter Geschmack, man liebt die asymmetrische Linie, wie sie in der Kunst des Expressionismus als absoluter Ausdruck Zeichen dieser Zeit ist. Die von der Technik geschaffenen neuen Materialien sollen schoen sein, vor allem aber gebrauchsfuehig. Also Beispiel: man will nicht nur auf hohen, stilvollen stuehlen Steif sitzen, sondern auch bequem, die Form des Stuhles muess sich also der des also der des koerpers anpassen. Das Schoenheitsideal ist jetzt die Einfachheit und Schlichtheit, die Funktionalitaet.

Die Entwicklung der Technik laeuft zu einer Perfektion, viele neue Erfindungen wie Radio, Kino, eine Unmenge graetischer Hausgeraete aendern nicht nur das Leben der Gesellschaft, sondern auch des einzelnen Buergers, vor allem auch der Frau. Durch die Technik und Bau von Fabriken haben sich die Menschen in großen Staedten zusammen geballt und verursachen das Massendasein. Trotzdem der Mensch unter vielen anderen lebt, ist er einsam geworden; es fehlt ihm Ruhe fuer "Dialoge". Der Mensch laesst sich von der Masse beeinflussen, hat jetzt eine Gemeinschaftsseele, obgleich sich gerade daraus eine gewisse Individualitaet entwickelt hat, ein nivellierter Wert wird gelegt. Sowohl die Straesen, besonders die Schaufenster, wie Theater- und Festsaele strahlen hellstes Licht aus, so daess die Menschen einander gut beobachten koennen und die Modedetails studieren. Zeit zum Straesbummel gibt es jetzt mehr, denn durch die festgelegte und verkuerzte Arbeitszeit ist auch mehr Freizeit geschaffen.

III. Die Mode in Deutschland um 1930:

a) Die Tendenz der Zeit im Allgemeinen:

Zwischen der Zeit der Jahrhundertwende und 1930 liegen für Deutschland Ereignisse von weltgeschichtlicher Bedeutung, die für die damalige Generation in ihren Richtungen und Tendenzen zu einer Krise, eigentlich schon zur Zerstörung des Alten und Erwartung des Neuen werden. In der Mitte dieser Zeitspanne liegt der erste Weltkrieg, der den friedlich lebenden und sich in Sicherheit wiegenden Menschen aus seiner Ruhe bringt, in eine anfängliche Begeisterung versetzt, die sich mit den letzten Kriegsjahren und dem unglücklichen Ende in Niedergeschlagenheit, äußere Armut umwandelt. Die Revolution von 1918 bringt den Sturz der Monarchie und eine große Verschiebung in der Gesellschaftsschicht, mit dem Aufwärtstreben und größere Geltung und Achtung verlangenden dritten Stand, den Arbeitern. Die Inflation in den zwanziger Jahren nimmt dem Menschen vollends sein Vertrauen auf eine sichere Existenz zwingt ihn in ein hektisches Dasein, in einen Kampf um das tägliche Brot.

Auch im dritten Jahrzehnt haben sich die Wellen noch nicht beruhigt, die politische Zersplitterung Deutschlands in mehr als dreißig Parteien läßt auch den Bürger noch nicht an ein behagliches, friedvolles Leben .

Leben denken, stehen doch schon im Innern des Reiches neue politische Änderungen bevor : wir gehen der Ära Hitlers entgegen.

Solche Umwälzung wird auf das ganze Leben des Menschen übertragen, auf die Mode und auch auf die Bauten. Ein neuer Sinn für Bauten setzt sich durch. Die zweckmäßige Sachlichkeit bestimmt den Stil der Baukunst. Die um die Jahrhundertwende begonnene "Neue Sachlichkeit" verbreitet sich und will den Unterschied zwischen Technik und Kunst überbrücken. "Diese Sachlichkeit – Neue Sachlichkeit, wie sie genannt wurde, ist eine neue Wendung zur Gegenständlichkeit ... Die Neue Sachlichkeit läßt die Formgebung in Architektur und Kunsthandwerk vom Zweck bestimmt sein, alles schmückende, soweit es überhaupt geduldet wird, sich aus der streng zweckbestimmten Form entwickeln". Nach diesem Grundsatz sind für die Berufstätigen ihre Arbeitstätten, wie Verwaltungsgebäude für

ismus folgten. Die jugendlichen Dichter des Expressionismus (1911/12) wollten eine ganz neue Kunsteinrichtung schaffen, sie rebellierten gegen die Oberflächlichkeit der Zeit in der Jahrhundertwende, sie wollten eine echte Innerlichkeit nach außen tragen, Vertreter waren Heym, Trakl, Edschmid, denen sich im Laufe des beginnenden 20. Jahrhunderts viele andere anschlossen. Thomas Mann begann mit seinen Werken (Buddenbrooks, 1901) auch in dieser Zeit, doch kann man ihn zu keiner dieser Richtungen hinzurechnen, er hatte seinen ganz eigenen Stil. Ferner waren hier noch Kafka, Musil und viele andere Dichter zu nennen, deren Wirkung aber mehr in die spätere Zeit fällt.

In der Form wurde der Roman, später die Kurzgeschichte bevorzugt, sowie die Novelle, während das Drama eine geringeren Aufschwung zu verzeichnen hatte.

In der Malerei entstand der Impressionismus, von Frankreich ausgehend mit den Malern, Manet, Degas u.a. In Deutschland stand der Expressionismus mehr im Zeichen der modernen Malerei und nahm seinen eigenen Weg. Es wurde die "Brücke" gegründet, denen die Maler, Nolde, Schmidt-Rottluff, Kirchner, Kokoschka u.a. angehörten. Später wurde die Künstlergruppe "Blaue Reiter" in München gegründet, der Name stammt von einem Bild von Kandinsky her. Hierzu gehörte auch Paul Klee. Das sind alles Namen von Künstlern, die weit in die gegenwärtige Zeit hineinreichen. |

Auch in der Plastik zeigte sich die neue Richtung, hier sind Kolbe und vor allem Barlach zu nennen, letzterer war auch Dichter.

In der Architektur kam man ganz von dem überladenen Jugendstil ab und ging zur neuen "Sachlichkeit" auch in der Innenarchitektur über.

In der Musik herrschte zu Anfang des neuen Jahrhunderts noch die Generation vor, die noch viel Romantik in ihre Klangwirkungen einbezog, und erst langsam diese zu überwinden trachtete. Hier tauchten Mahler, Reger, Strauß und Pfitzner auf, deren Werke auch bis heute nicht ohne Erfolg wiedergegeben werden. Neben Orchestermusik und Kammermusik begann die Zeit der großen Opern, besonders vertreten durch Weber, Wagner, Richard Strauß. Später ging die Musik auch moderne Wege, es begann die Atonalität mit Schoenberg, Hindemith u.a.

kennt keine Juoons – gestaerkter Unterrockmehr, die Frauenfigur erscheint jetzt schlank und groß. Umfangreiche Hüte schmücken ihren Kopf. In der Hauptsache jedoch bleibt die Mode an die Gründerzeit gebunden und lehrt sich wenig in allen ihren Details.

Der Wert dieser Reformbewegung in der Mode, das Streben nach praktischen und rationell-sachlichem Leben hat auf jeden fall eine große Bedeutung dadurch, daß ein Grundzug für die folgende Zeit bis in unsere Gegenwart gegeben wurde, der in vielem maßgebend geblieben ist.

c) Das Bild der Zeit in der Literatur, Kunst und Musik Kunst ist immer Ausdruck der Zeit und ihrer geistigen Gestaltung, sie bringt das verborgene Gesicht der Menschen hervor. So tritt in ihr auch nicht das Unechte des äußeren Lebensstandards auf. Wie Friedrich Schlegel sagt, "wie aber jeder Mensch seine eigene Natur hat und seine eigene Liebe, so traegt auch jeder seine eigene Poesie in sich".

Neue kunststroemungen treten auf, die vielfach entgegengesetzt verliefen, aber doch in ihrem Werdeprozeß eine Einheit bilden.

Kurz vor der Jahrhundertwende entsteht der Naturalismus, gegründet von Arno Holz und Johann Schlaf, der die reichen Formen der klassik und Romantik ablehnt und ein naturgetreues Darstellen in Lyrik und Prosa verlangt. Gleichzeitig gibt es eine Neigung zum Empfindsamen, oft "Neuromantik" genannt, die Vertreter dieser Richtung sind vor allem, Hofmannsthal, Rilke und George. Ihre Werke sind tief durchdacht, verbinden trotz vielem Gefühl den Menschen mit seiner Wirklichkeit und wollen die wahrheit wiedergeben. Besonders in den Mysterienspielen von Hofmannsthal wie "Jedermann" und "Das Salzburger große Welttheater" wird der Mensch in seinem Ewigkeitsgefühl dargestellt. Diese Dichtungen wurden zu Volksschauspielen und sind auch heute auf dem Theaterprogramm. Rilke hat in seiner feinen Sensibilitaet eine wunderbare lyrische Sprache geschaffen, in der sich die Seelenzustaende des Menschen, geistige, religioese und persoenliche Eindröcke finden. George vertarat besonders die Würde der Kunst und schuf in seinen großen lyrischen Zyekln fast eine Nachbildung des Kultischen. Er versammelte um sich einen großen Kreis von Anhaengern, mit denen er durch die kunst das Leben adeln wollte. Zu gleicher Zeit entwickelt sich in der Dichtung, vor al em in der Lyrik, der "Expressionismus", auf den spaeter der Surrealismus und der Dada-

ziehen; so übernimmt das beginnende zwanzigste Jahrhundert in vielem noch alte Traditionen und richtet sich nach der Stilimitation, in den neu eröffneten Kunstgewerbeschulen wird das Handwerk früherer Zeiten gelehrt. Diese künstlerischen Bestrebungen ermöglichen aber auch, Stoffe zuschaffen, die frei und natürlich um den Körper fallen.

Mit Beginn des zwanzigsten Jahrhunderts entwickelt sich die Reformbewegung, die den Menschen, im Gegensatz zur Biedermeierzeit, in das Massendasein des technischen Zeitalters reißt, ihn in eine praktische Lebensweise führt.

Besonders ist diese Bewegung gegen die komplizierte Kleidungsweise der Frau gerichtet. Künstler, Wissenschaftler und Aerzte bemühen sich um ein neues gesundes, praktisches, stilvolles Kleid, vor allem aber um den Verzicht auf das gesundheitsschädliche Korsett. Es wird "gegen das Kind" genannt und gibt der Frau eine merkwürdige S-Form, denn es drückt den Leib zurück, Busen und Hinterteil erhalten eine starre Fülle. Um die Bewegungsfreiheit zu ermöglichen, soll der Körper entlastet werden von der großen Anzahl der Kleidungsstücke. Aber man will nicht auf Atmut und Schönheit verzichten. Unter dem Motto "Kampf gegen die Mode" beginnt die Reformbewegung. Diese Versuche haben ihre Wurzel in der Zeit des Neu-Rokoko mit der Entwicklung des "Bloomer-Kleides" (besteht aus Jacke, kurzen Röcken und langen breiten türkischen Hosen) und der Entfernung des Korsetts. Doch diese Mode siegt nicht, wie die Reformatoren es sich gewünscht haben. Das Korsett bleibt weiter, denn die Frauen, besorgt um ihre schönen Körperformen, wollen das Korsett, den Schnurleib, nicht aufgeben. Erst im folgenden Zeitabschnitt erreichen die Modereformatoren das, was sie gewünscht hatten.

Ab 1910 legt man mehr Wert auf Zweckmäßigkeit; in dieser neuen Idee wird auch die Frauenkleidung gestaltet.—Man spricht von einer "Revolution in der Mode", doch macht sich diese auch nicht frei von der Stilimitation, sie sucht nicht in der Renaissance Anregung, sondern im japanischen Stil.

Der Pelzmantel ahmt den japanischen kimono nach, dessen einfacher Schnitt vor allem nicht die Ärmel wie getrennte Röhren aussehen läßt. Der "reine" Kimono mit seinen langen, beutelförmigen Ärmeln dient als Morgenmantel. Die neue Frauenkleidung

Viele neigen sich aber dem Altdeutschen zu und tragen Rembrandthüte. Ein winziger Sonnenschirm begleitet die Dame im Freien, der zum hervorgehobenen Modeputz und der Ueberladungssucht im Gegensatz steht, aber die Schleifen, Fransen usw. schont.

Kennzeichnend für die Herrenkleidung dieser Zeit ist der Gehrock, 'Cut', und eine hellfarbene Sommerkleidung, die Strohhut gehört auch dazu. Aus dem Mantel wird in der zweiten Hälfte des Jahrhunderts der Ueberzieher. Das Jackett kommt als neues Kleidungsstück auf, die in einen schönen Knoten geknüpfte Krawatte und der steife Hemdkragen nehmen den Platz des Jabots und des Halstuchs ein, das Tragen des Zylinderhutes wird üblich. Perücken werden getragen, die Stiefel haben Absätze.

Entsprechend dem Hang zum Unechten jener Zeit trägt der Herr wattierte Brüste und Schulterstücke. Die Manschetten des Hemdes sind abnehmbar, um ihre Weiße zu erhalten; ebenso dient ein frisch gestärkter, weißer "Serviteur" zum Vortauschen des Jaegerhemds.

Der Tendenz des Unechten entsprechend, hat auch eine Prüderie eingesetzt, Das ist für die anständige Frau sehr wichtig. Auch ist es ihr völlig unerlaubt, mit einem Herrn allein in einem Zimmer zu bleiben oder auf der Straße zu gehen ohne Gardedame. In ihrem Vokabular sollen Worte wie "Geschlecht" und "Hose" nie auftreten. Im Zeichen der Prüderie steigt auch die Frau zum Seebad in ein Badekostüm, das ihren Körper von oben bis unten verdeckt, außerdem trägt sie auch hier ein Korsett, eine Schärpe mit großer Schleife und Bademütze mit Kinnband.

Wassersport wie Schwimmen, Rudern und Tennisspielen sind die ersten fortschrittlichen Sportmöglichkeiten für die Frau dieser Zeit; Reiten bleibt nur den reichen Bürgerklassen vorbehalten. Radfahren ist auch eine beliebte Bewegung im Freien; und da kommt es der unpraktischen Mode zugute, daß die Räder jener Zeit einen hohen Sitz, haben.

b) Reformversuche und Jugendstil (1890 bis 1910):

Die der Gründerzeit folgende Epoche steht im Zeichen der Reformbewegung, in der Kunst "Jugendstil" genannt. Natürlich läßt sich keine scharf abgegrenzte Linie zwischen den einzelnen Stilepochen

Durch die schon 1850 entstandene Haute Couture wird der Schneider zum Modeschöpfer, der für jede Saison Kollektionen anfertigt, die er durch Mannequins vorführen läßt. Die Mode richtet sich nach England, Italien und vor allem Frankreich, weil dort die "Modeschöpfer" sitzen, mindestens seit der Renaissance; neuerdings auch nach den USA.

Die Bekleidung der Frau wird in den Jahren 1871 bis 1895 von der fortschreitenden Industrialisierung durch deren Massenproduktion der persönlichen Geschmack leidet, beeinflusst, wie es wohl immer der Fall ist.

Das Nebeneinander verschiedener Stoffe gleicher Farbe, Kombinationen, ist beliebt. | Dieses erinnert an das Mi-parti des Mittelalters. Anfang der achtziger Jahre nehmen die Puffärmel und die Gretchen tasche an der Mode teil. | Die | Nachahmung des Rokoko spiegelt sich in der Damenmode des "Manteau" und der "Fortagne", des Spätbarocks im Tournurekleid und im Kapottchen. Nach dem Zusammenbruch des empire schlüpft die Frau von der Krinoline in ein noch groteskeres Kleidungsstück : den "cul de Paris", einem unter dem Rock getragenen Hinterpolster, das der Betonung des Busens entspricht. Die Tournure, das hinten aufgebäumte Wunderwerk, herrscht in den achtziger Jahren (bis 1890) obschon mit Intervallen, in denen das spärlichere philistrose Prinzenkleid erscheint.

Sie verschwindet in der Zwischenzeit, aber die Raffungen bleiben. Der Rock ist so eng anschließend an den Körper daß die Damen nur in ganz kleinen Schritten gehen können, als ob die Füße zusammengebunden sind. Denselben Effekt haben die hohen Stiefelabsätze.

Seit 1885 erweitern sich die Puffärmel zu Keulenaermeln. Gleichzeitig kommt die Tournure wieder hervor, selbst im Schneiderjackett und Eislaufkostüm. Die Weite des Rockes nimmt zu, so daß die Bewegung freier wird.

Die Haare werden als "Pony-locken" in Fransen nach vorn gehämmert, zur Nacht wird eine Großmutterhaube aufgesetzt. Der ganzen "aufgeputzten Erscheinung entspricht auch der kleine Baenderhut, der die inmitten Nacken zusammengesteckte Frisur—oft genug aus falschem Haar—kront." 22)

wie es z.B. auch der berühmte Architekt Gottfried Semper-Erbauer der Dresdner Oper-als Programm aufstellte. Der Stil des Gebaeudes sollte historische Assoziationen erwecken : ein Gerichtshaus wie ein Dogenpalast aussehen, "ein Theater an eine roemische Arena, eine Kaserne an eine mittelalterliche Befestigung erinnern".20) Ihren Ausdruck findet sie in einer Überladenheit, besonders im Wohnstil. Uppig drapierte Gardinen schließen die Wohnung von der Außenwelt, vom Licht und von der Luft ab, spielen jedoch für die Behaglichkeit der Wohnung eine große Rolle. Die Zimmer sind überfüllt mit Fabrikwaren, die nichts mit kunst oder schoenem Handwerk zu tun haben und im Material wertlos sind. Sie dienen nur zur Schau und haben auch keinen praktischen Wert. Die Gründerzeit hat eine große Vorliebe für volle Räume und Überstopfung.

Ein auffallender Mangel an Sinn für Sachlichkeit und Zweck ist sichtbar. Leicht umfallende Schrankchen, voll mit überflüssigen und nie gebrauchten Dingen, Prunksessel stehen in der sogenannten "guten Stube", die aber nur für den Besuch benutzt wird. Auch Bücher erscheinen als Riesenprachtwerke, die man nicht lesen kann, weil sie zu schwer zum Halten sind. An den Fenstern hängen schwere Vorhänge, die das Öffnen und Schließen beeinträchtigen, die Fensterscheiben sind bemalt und verhindern das Eintreten von Licht, Makartbuketts stehen auf den Tischchen, Obst aus Wachs ziert den Teller auf dem Buffet. An den Wänden hängen Schwerter, Kampfesmut darstellend, die nie benutzt worden sind. Kurz, der Hauptzug dieser Zeit des fin de siècle ist die "Lust am Unechten." 21)

Ueppigkeit herrscht auch in den Speisen : Vier Gänge zur Mittagsmahlzeit sind etwas Gewöhnliches in wohlhabenden Bürgerhäusern; bei festlichen Anlässen werden daraus acht bis zwölf. Doch fehlt der Gründerzeit, der Zeit des Pompoesen und der Augebauschheit, das Echte und Wahre. Thomas Mann gibt in seinen "Buddenbrooks", besonders in der Toni, ein beziehungsvolles Bild einer hohen bürgerlichen Familie. Die Überladung und Tendenz zur Stilimitation überträgt sich auch auf die Kleidung, auf alle Dinge der Mode. Die Entwicklung der Industrie ermöglicht den begüterten Schichten, sich modisch zu kleiden, jedoch zeigt man keinen Geschmack, man läßt sich von den kitschigen Nachahmungen der billigsten Industrieerzeugnisse beeinflussen. Die bürgerliche Kleidung wird von der Mode der führenden Gesellschaftsschicht angeregt.

er 1881 den Weg für eine soziale Gesetzgebung, zu dem das Krankenversicherungsgesetz 1883, das Gesetz der Unfallversicherung 1884 und das Gesetz über Alters- und Invaliditätsversicherung gehörte .17). Trotzdem aber bleibt der Arbeitslohn niedrig und die Lage des Proletariats drückend. Dadurch wird Frauen und Kinderarbeit noetig, die ursprüngliche Einheit von Familie, Wohnung und Berufsarbeit zerrissen. Die Mechanisierung und Technisierung, die alle Bereiche ergriffen hat, verursacht grobe Schichtenunterschiede. Der eigentliche Traeger der wirtschaftlichen Entwicklung in Deutschland ist das Bürgertum, während der deutsche Adel nicht an der Industrialisierung teilnimmt, sondern seine wirtschaftliche Grundlage im Großgrundbesitz sieht.

Die Gründung des Deutschen Kaiserreiches, 1871, die politisch wichtige Machtstellung Deutschlands geben dem Bürger der Gründerzeit nach Außen das Ansehen einer Grobe, dem eine innere Unsicherheit, "seeliche Ratlosigkeit" und Unaufrichtigkeit gegenübersteht. Wir koennen von dieser Zeit als einer Zeit der "Unausgewogenheit" sprechen :

Wie beim Biedermeier bestimmt auch in diesem Zeitalter nur eine kleine Schicht die Mode, hier ist es das elegante Grobbürgertum, das sich aus der kleinbürgerlichen Bescheidenheit durch die wirtschaftliche Entwicklung gehoben und sein Selbstbewubtsein gestaerkt hat. Es hat einen üppigen Lebensstil, der eine innere Unsicherheit und Verwirrung verdeckt. Waehrend Menschen "nach Wahrheit, Sachlichkeit und exakter Wissenschaft riefen, lebten sie vielfach in Selbsttaeuschung, Unaufrichtigkeit und Heuchelei. "18) Die Zeit um 1900 ist eine Zeit voller Widersprüche, Unzufriedenheit trotz des Friedens, des groben Reichtums und innerer Dürftigkeit, trotz Glanz der Gesellschaft und Hohlheit der Menschen. Sie sind von groper Realitaet erfüllt, die sie mit der Materie verwechseln, sie denken materialistisch. "Sie leben daher dauernd in einer armseligen und aufgebauchten Welt aus Holz- wolle, Pappendeckel und Seidenpapier." 19)

Als geistige Armut gchoört auch die Stilimitation dazu, die charakteristisch für das 19. Jahrhundert ist. Man bevorzugt in Deutschland den Renaissancestil, den Stil der Lutherzeit. Die dadurch entstehende Stilverwirrung und Stilmischung, die den Gegenstaenden einen eien historischen Reiz geben soll, gilt als künstlerische Weitherzigheit.

der ersten Robert Owen in England, 15) dem ein Sozialismus von oben vorschwebte. Den 2000 Arbeitern seiner Fabriken verkürzte er die Arbeitszeit, schaffte gesunde Arbeitsräume, Krankenbehandlung und versuchte, allgemein eine bessere genossenschaftliche Organisation zu schaffen.—Mit Zunahme der industriellen Entwicklung, aber auch durch die zunehmende Bevölkerungszahl herrschte ein soziales Elend; was zu weiterer mehr privater Sozialfürsorge, besonders der christlichen Konfessionen führte. Die Gewerkschaften (Trade Unions in England ab ca (1850), zu denen sich die Arbeiter zusammengeschlossen hatten, sowie die ordenende Hand des Staates legten bereits den Grundstein zu den am Ende dieses Jahrhunderts geschaffenen sozialen Maßnahmen. 16)

Die Musik stand mehr und länger im Zeichen der Romantik : Schumann, Brahms, Mendelssohn u.a. gelten als die Nachromantiker. In der Malerei wurde die Romantik verdrängt durch den Realismus, man neigte mehr zur Wirklichkeit, wie wir sie bei Leibl, Hans Thoma u.a. finden. Ebenso beherrschte die Literatur auch der Realismus sowohl im Stil des Biedermeier, wie auch revolutionär im "Jungen Deutschland", vor allem aber bei Büchner, Boerne, Heine und in politischer Lyrik.

II. Die Mode in Deutschland um 1900 :

Die Jahrhundertwende steht im Zeichen der Gründerjahre, so genannt nach der Entstehung des Deutschen Kaiserreiches; ihre Wirkung dehnte sich aus bis in das erste Jahrzehnt des folgenden Jahrhunderts.

a) Gründerzeit :

Die Zeit um 1700, das "fin de siècle" bringt die schnelle industriell-technische Entwicklung, große technische Erfindungen wie die Telegraphie, das Automobil, das Flugzeug etc. Die deutsche Bevölkerungszahl erhöht sich, die Landflucht setzt ein, mehr Großstädte entstehen, die industrielle Revolution erfaßt das ganze deutsche Leben und wandelt es um. Rasch entwickelt sich in Deutschland der Reichtum mit ihm der Imperialismus durch die Industrialisierung bedroht, sie müssen sich in der Industrie eine Existenz suchen und bilden das Proletariat. Bismarck schuf verschiedene Gesetze sowohl politischer, als auch sozialer Art. Er verbot die sozialdemokratische Partei ("Sozialistengesetz"), da er in ihr einen Feind des Landes sah. Doch schuf

“Bürgerkoenigtum” sehr zutreffend bezeichnet.” 13) Fabriken entstehen; bisher ist alles in Handarbeit gemacht, besonders die Kleidung. Früher war die persönliche Leistung des Handwerkers das wichtigste gewesen, jetzt aber in der zweiten Hälfte der Biedermeierzeit herrscht das Produkt. Die Konsumtion nimmt immer mehr zu. Diese Zeit besaß bereits einen neuen Gott : nämlich das Geld. 14)

Die Kleidermode dieser Zeit ist von großem Interesse für uns, da sie die Grundlage der heutigen geworden ist. Die Herren tragen nicht mehr den Frack, der dient jetzt nur als Festanzug, sondern Gehrocke, als Kragen den sogenannten “Kummetskragen” (von Kunt Geschirr des Pferdes) dazu den “Vatermoerder”, eine schleifenartige Krawatte. Die Hosen sind weit, in dunkler Farbe, besonders in schwarz und grau, manchmal kariert. Ein weißes Vorhemd mit Goldknöpfen, Nadeln in der Halsbinde, oft eine bunte Weste vervollständigen den Herrenanzug. Die Haare werden in Lockchen gebrannt, die jüngere Generation trägt Bachenbaerte, die ältere Seehundbaerte oder Schifferbaerte. Der Dandy zeigt sich mit einem Monokel, meist an einem Band gehalten. Als Neuigkeit kommt das “Cigarro” auf und verdrängt das Tabakschnupfen. Anfangs als zu gefährlich betrachtet, mußte es in einem kleinen Drahtgeflecht stechen. Jetzt wird das Rauchen salonfähig und gilt als elegant.

Bei der Damenmode hat sich wieder der Reifrock eingefunden; diente er in der Rokokozeit als Kleid des Adels, so ist er jetzt auch im Bürgertum beliebt. Nach dem französischen “crin” (Roßhaar) heißt er “Krinoline” und wird durch Wülste in Form gehalten, dazu noch mit mehrfachen Volants verstärkt, die Trägerin wirkt so sehr herausgeputzt, Statt aus Naturleder sind die Handschuhe jetzt aus Glacéleder, die Freude am Glanz bewirkt diese Mode; hohe Stiefelletten, zugehnoepft, gehören dazu. Das Haar wird in der Mitte gescheitelt, am Hinterkopf hoch frisiert und mit Kämmen zusammengehalten. Das nennt man “chinesisch”; trägt man aber die Haare geflochten um die Ohren gelegt, nennt man es “griechisch”. Typisch sind auch Locken, die herabhängen.

Mit der langsam beginnenden Industrialisierung kommt auch die erste Fürsorge in sozialer Hinsicht auf; es fehlte noch die staatliche Unterstützung. Versuche zu einer sozialen Fürsorge machte als einer

hellgrau, dunhelblau, flaschengrün, kastanienbraun. Zum Frack, zur Jacke und zum Mantel, die eng nach den Körperformen gearbeitet sind, gehört eine kurze, gestickte Weste. Die Schinkenaermel des Mantels sind tief eingesetzt, darüber schlingt man einen langen Schalkragen oder wirft eine Pelerine über. Das Jabot wird langsam durch die Krawatte ersetzt, deren elegante Knotung nicht leicht ist und manchmal in einem Lehrkursus studiert werden muß. Die lange Hose, die Jacke und die Weste haben eine moderne Form gefunden. Die lange, roehrenfoermige Hose wird Pantalon genannt, "nach dem homischen Alten der italienischen Komödie, der mit langen roten Hosen bekleidet war." (11) Oben sind diese Pantalons weit, daß sie der Hüfte eine Breite geben. Sie haben auch einen Steg.

Um die gewünschte schlanke Taille vorzutauschen, trägt der Herr einen "Basken-Gürtel" oder ein Korsett. Zu hohen Festlichkeiten zieht man sich Kniehosen an, trägt dazu helle knielange Strümpfe und Schnallenschuhe. "Der Bart war verpönt, höchstens eine dünne Linie an den Wangen gestattet", 12) Barchenbart wird auch Mode.

Wie bei den Eltern wird auch die Kinderkleidung von der Mode ergriffen. Die kleinen Buben tragen ein Blusenkleidchen über den langen Hosen. Ein anderes Kleidungsstück, das an Mamelucken erinnert, ist eine lange Hose, unten an den Knöcheln offen oder gehraust.

Wegen der hellen, leichten Frauenkleider wird das Interesse für die Körperpflege geweckt, was im Rokoko gar nicht in Frage gekommen war. Die Waesche wird häufig gewechselt, und man waescht sich öfter. Auch wird erstmals die Hose als ein weibliches Kleidungsstück eingeführt.

b) 1830—1848 im Zeichen des Realismus :

Die zweite Etappe der "Biedermeierzeit" zeigt ein ganz anderes Bild. Die wirtschaftliche Entwicklung nach 1800 bildet den Hintergrund. Der Kapitalismus und die Maschinen werden langsam zum Hauptmerkmal dieses Jahrhunderts. Der Fromme, häusliche Kleinbürger hat jetzt einen anderen Gott, den Gott der Maschine, oder auch des Geldes. Die großen Erfindungen wie die erste Eisenbahn (1825 in England), die Schnellpresse, die Dampfschiffe lenken den Menschen in andere Bahnen, der Bürger wird der König, "diese Ära wird mit dem Wort

Um 1980 wird der Empirestil zurückgedraengt, es tritt eine Reaktion gegen die Nachahmung des klassischen Altertums ein. In England hat man die Gotik gewaehlt, im anderen Europa das Rokoko. Es ist eine Art bargerlicher Nachahmung des koeniglichen Rokokos, wie überhaupt das ganze Jahrhundert, besonders die spaetere Zeit, im Zeichen der Stilimitation steht.

“Einfacher als das Empire und doch gefaellig in der Form und einfallsreicher im Detail, schlicht und doch belebt war das Biedermeier”.⁹ So wird dieser Zeitstil charakterisiert. Die Mode bringt neue Variationen. In der Kleidung wird die Note in der Einfachheit durch die Neigung zur Disaretion bemerkbar. Besonders charakteristisch für die Damenmode ist das Aufkommen des fast zurückgedraengten Korsetts. Waehrend die Taille im Empire direkt unterhalb der Brust angesetzt war, kommt sie jetzt an ihre richtige Stelle. Unter der Taille ist der Rock breit, erhaelt durch sieben oder acht Unterroecke noch einen groeBeren Umfang, die Falten verteilen sich in der Runde. Mit vieler Handarbit und Sticherei werden Kleider aus billigen Stoffen ausgewertet, mit breiten oder schmalen. — waagrechten Rüschen und Garnierungen verziert. Die Kleider sind hoch geschlossen, breite Kragen fallen über die Schultern. Trotzdem tragen die Damen oft den Langschal aus Kaschmir oder Seide, der den Mantel ersetzt, denn wegen der in Mode gekommenen Riesenaermel, der Schinhen- oder Keulenaermel, wird das Tragen des Mantels sehr erschwert. Durch diese Aermel waechst der sehr beliebte Kragen und wird immer weiter. Beim Reitkleid, dem Amazonenkleid, sind die Aermel tief eingesetzt. “Die Kopfbedeckung hat immer noch die Haeubchenform, sie gleicht aber doch sehr einem Hut”, der mit Federschmuck chend und vielen Baendern ausgestattet ist. Den groBen Aermeln entsprend sind auch die Schuten, die zu dem damaligen Modetyp gehoeren, uhlappen und verhindern ein gutes Hoeren und Sehen.

Die Frisuren sind gekünstelt mit Mittelscheitel und Locken; die Schuhe sind flach, vorn eckig und werden mit Baendern gehalten. Man liebt auffallende Schmuckstücke, lange Ohrgehaenge, groBe Broschen, Gürtelschnallen und breite Armbaender. Die Herrenmode ahmt die Umrisse des Frauengewandes nach. Die Herren tragen den langen Rock, den Frack. Er kommt in ruhigen Farben vor,

system in die europäische Wirtschaftsentwicklung eingegliedert. Gleichzeitig blühte der Innenhandel auf, gestützt durch den 1834 gegründeten Zollverein, der die Zollgrenzen zwischen den einzelnen deutschen Ländern abbaute.

Das Volk flüchtet in die Idylle der Biedermeierzeit. Jeder sorgt für das tägliche Brot. Die bürgerliche Lebenshaltung dieser Zeit ist behaglich und in sich bescheiden. Unter dem politischen Druck der Restaurationszeit findet der Bürger sein Glück in der kleinen Welt, in seinem Haus und Gärtchen. Fridell umreißt das Bild des bürgerlichen Lebens und seine Atmosphäre im Biedermeier folgendermaßen: "Kleinstädtische Nachmittagsvorstellung, jener anheimelnde Duft von Kaffeekanne und Tabakspfeife, wachsbetropftem Tannenbaum und knisterndem Ofenreising, frisch geplätteter Wäsche und frisch gebackenem Kuchen"⁷. Bedachtsamkeit, Bescheidenheit, Sparsamkeit und die Zufriedenheit an dem Wenigen, Kleinen sind die wichtigsten Merkmale der Menschen dieser Zeit, wie es der Bildhauer Ernst Rietschel in seiner Erzählung aus seiner Kindheit (unter dem Titel "Treu und Redlichkeit")⁸ schildert. Der Kleinbürger lebt nicht in direkter Lot, auch in seiner Gesinnung ist er beschränkt, achtet scharf auf das, was der Nachbar von ihm hält, und richtet sein Leben danach ein. auch der Wohnstil ist schlicht, fast ärmlich, die Möbel sind einfach, ohne Schnörkelereien, aber gediegen in ihrer Verarbeitung. Viele selbstgemachte Handarbeiten finden Verwendung, Gefühlsäußerungen des Herzens in kleinen Stichen auf Deckchen oder Bildern gestickt.

Spitzweg gibt dieses romantische, beschränkt-bürgerliche Milieu wieder auf seinen Bildern, Eichendorff die Naturliebe in seinen herrlichen Gedichten.

Die Frauen sind vom Bildungsfieber ergriffen, sie beschäftigen sich mit Literatur, Kunst und Philosophie. Ein geringer Teil, der neue Frauentyp, treibt Sport mit Reiten und Jagen.

2. Kleidung als Hauptfeld der Mode:

Mit diesen neuen Zielen und Idealen der Frauen wechselt zugleich auch ihre Kleidung, sie wechselt aber auch den politischen Ereignissen entsprechend. Ihre Lebensart verkörpert sich in der Kleidungsmode.

a) 1815 – 1830 im Zeichen der Romantik:

1. Die politische, wirtschaftliche Situation im Zusammenhang mit dem bürgerlichen Leben:

Die Biedermeierzeit verdankt ihre Bezeichnung der Gestalt des "Biedermeier", eines allgemein "treuherzigen, aber philistines beschränkten, spießigen Menschen, wie ihn zuerst Ludwig Eichrods Gedicht, "Biedermeiers Liederlust" zeichnete, die 1850 in den "Fliegenden Blättern" erschienen"⁴. Die Jahre von 1815 bis 1848 höchstens dem Wohnstil nach einheitlich als Biedermeierzeit betrachtet werden. In anderer Beziehung läßt sich diese Zeit aufteilen in die Jahre 1815 bis 1830, 1830, die Zeit, in der das Leben der gebildeten Kreise durch politischen Druck der Metternichzeit beschränkt ist und in der wenig Teilnahme an dem politischen und öffentlichen Leben herrscht. Die Zeitspanne von der Julirevolution 1830 bis zur Februarrevolution 1848 (in Frankreich) ist ganz verschieden von der vorherigen. Lebten in der ersten des Biedermeier die Menschen im Zeichen der Romantik, ermüdet in Welterschmerz gehüllt, ein zurückgezogenes Leben, so gilt für den zweiten Abschnitt das Schlagwort des Realismus; die ersten großen technisch-maschinellen Erfindungen sind in die breite Masse gedrungen, wir stehen am Beginn des technischen Zeitalters, mit ihm verbunden der Beginn der bürgerlichen Revolution in Deutschland.

Heinrich Heine charakterisiert den Beginn der Biedermeierzeit und ihre Kultur mit den Worten: "Man hatte Entsagung und Bescheidenheit, man beugte sich vor dem Unsichtbaren, haschte nach Schattenküssen und blauen Blumengerüchen, entsagte und flegelte"⁵.

Nach der Besetzung ganz Deutschlands, nach der großen Niederlage (1806/1807) unter der napoleonischen Besetzung, erschöpft von der Teilnahme des ganzen Volkes an den Befreiungskriegen (1813/1814), ist das Bürgertum ermüdet und wünscht sich ein ruhiges Leben.

Die Resignation hat nicht bloß politische, sondern auch wirtschaftliche Gründe. Die überlegene Wirtschaftspolitik Englands, das eine Festlandsperrung eingeführt hatte und hohe Zölle auf fremdes Getreide erhob, durch die besonders die nord- und ostdeutsche Agrarwirtschaft litt, hat sich dann aber durch das eingeführte liberale Wirtschafts-

wirtschaftlichen Lage und der Gesellschaftsordnung u.v.a. In der Art, wie sich der Mensch kleidet, zeigen sich seine gesellschaftliche Stellung, seine Seelenhaltung und sein Charakter. Sie gibt ihm das Gefühl, Teilnehmer der sozialen Umwelt zu sein.

Die Frau lebt mit der Mode intensiver als der Mann.

Fern von diesem Begriff der Mode und verhältnismäßig konstant ist die Trachtenmode, d.h. die Volkskleidung, die ihren eigenen Charakter, den Charakter des Volkes beibehält und auf eine lange Vergangenheit zurückblickt. Die ersten Versuche des Kleidermachens stammen aus der Altsteinzeit. Neben Ernährung und Behausung wurde die Bekleidung zu einem wichtigen Bedarf der menschlichen Existenz, weiterhin zum Ausdruck von Kultur und Zivilisation und charakterisiert die Ethik und Moral jener Zeit. Die Kleidung wird als die künstliche Haut des Menschen bezeichnet, durch die der Unterschied der Geschlechter sich hervorheben sollte, etwas, was in unserer heutigen Zeit langsam im Schwinden ist.

In den folgenden Kapiteln wird die Mode in ihrem erweiterten Sinne während dreier verschiedener Epochen Deutschlands als Ausdruck der jeweiligen Zeit behandelt: In der "Biedermeierzeit", der Zeit des kleinbürgerlichen Lebens und des nachfolgenden "Bürgerkönigtums", in der Zeit um die Jahrhundertwende als Zeit des gehobenen Bürgers im Wohlstand, im Zeichen seiner Überlegenheit nach den siegreichen Kriegen und der Gründerzeit des Kaiserreichs und im Rahmen des Jugendstils; in der Zeit um 1930, in welcher der deutsche Bürger sich langsam von Niederlage des ersten Weltkrieges erholt, in der sich mit der Erhebung des dritten Standes nach der Revolution von 1918 eine soziale Bürgerklasse gebildet hat, und letztlich in einer Zeit, die die Keime des Atom-Zeitalters in sich trägt.

Hauptteil :

Die Mode in Deutschland im Biedermeier, um 1900 und um 1930 als Ausdruck der jeweiligen Zeit.

I. Die Mode in Deutschland in der Zeit des Biedermeier

**DIE MODE IN DEUTSCHLAND IN ZEIT
DES BIEDERMEIER, UM 1900 UND 1918 ALS AUSDRUCK
DER JEWEILIGEN ZEIT.**

DR. MONA NOUESHI

Einleitung :

Definition der Mode und der Gebiete, die sie umfaßt.

Unter "Mode" wird vielfach nur die Mode in der Kleidung, höchstens noch in Wohnstil verstanden. In diesem Sinne hat der Begriff "Mode" Bedeutung gewonnen, und dies ist verständlich, wenn man die häufige, ins Auge fallende Veränderung der Kleidermode in verhältnismäßig kurzer Zeit feststellt. Doch ist diese Definition unvollständig, vielmehr gilt für die Mode: sie ist ein "geprägter Maßstab für zeitbegrenzte Ausdrucksformen, besonders in der angewandten Kunst, aber auch in Literatur, Musik, Architektur, Sprache und in den gesellschaftlichen Umfangsformen"¹, sie ist "Spiegelbild des materiellen und geistigkulturellen Entwicklungsstandes, sowie des Lebensmilieus einer Gesellschaft".²

Damit ist ein weiter Begriff umrissen, wir haben die Mode in der inneren und äußeren Lebenshaltung des Menschen zu suchen, gewachsen aus dem Geist seiner Zeit, wir sprechen von Modestil. "Die Stileinheit einer Epoche ergibt sich aus der Übereinstimmung zwischen Bedürfnissen und Zeitgeschmack. Beide sind abhängig von der Weltanschauung, Gesellschaftsordnung, vom Stand der produktiven Möglichkeiten und der technischen Errungenschaften."³ Das ist auch der Fall bei der Mode, die ästhetischen Gesetzen von Farbwirkungen unterliegt.

Zum Träger der Mode wird das sich entwickelnde Bürgertum; in den Zeiten des Wohlstandes wird sie zum Instrument der herrschenden Klasse, um ihre ökonomische Macht zu versichern und ihre Lebensfreude auszudrücken. Die Mode hängt ab von der politischen,

REFERENCES

1. Hjelmslev, L., *Essais linguistiques* in *Travaux du cercle linguistique de Copenhague*, volume 12, Copenhague, 1959.
2. Hjelmslev, L.; *Principes de Grammaire Générale* in *Annuaire de l'academie royale des sciences et des lettres du Danemark*, tome XVI, Copenhague, 1928, 363 pages, in 80.
3. SECHÉHAYE, Ch. A., *Programme et méthodes de la linguistique théorique*, Eyquiman, Genève, 1908, 267 pages, in 80.

En guise de conclusion, une dernière remarque, que nous ne développerons pas, car elle relève plus de l'impression que de l'observation. La théorie générale des fonctions linguistiques, dont nous cherchons la préhistoire dans les *Principes*, semble, à cette époque de la pensée de Hjelmslev, devoir se situer entièrement dans le domaine de l'expression, et elle exigerait que soient, traitées de la même façon unités signifiantes et non signifiantes. Quand on lit les *Principes*, on ne peut pourtant pas ne pas sentir que ce qui intéresse avant tout Hjelmslev dans le langage, c'est son aspect sémantique. Il nous semble donc psychologiquement impossible que Hjelmslev ait pu pousser très loin ses recherches fonctionnelles tant qu'elles paraissaient condamner la linguistique à ignorer le domaine le plus fondamental de la langue. Toutes les conditions que nous avons énumérées auraient-elles été remplies, il serait donc resté un obstacle majeur, quoique difficile à formuler explicitement : la linguistique à laquelle il aurait abouti aurait risqué de n'avoir plus grand intérêt à ses yeux. Pour que cette barrière soit levée, il faut que la pensée de Hjelmslev accomplisse un nouveau progrès et arrive à concilier l'étude des fonctions et la recherche sémantique.

la linguistique générale, de discuter les thèses sociologiques sur la multiplicité des mentalités collectives. Sa réponse est que les "idées" linguistiques appartiennent à un substrat psychologique très profond, et bien plus inhérent à la nature humaine que les diverses mentalités analysées par Levy-Bruhl (1). On voit alors pourquoi Hjelmslev n'a pas pu substituer franchement une notion générale de fonction à l'idée de forme héritée de Sècheyay. Si l'on établissait des catégories fonctionnelles parmi les éléments de l'expression quels qu'ils soient, et sans tenir compte du fait qu'ils ont ou n'ont pas de valeur sémantique, il n'y aurait aucune raison pour que les catégories obtenues soient liées à des significations déterminées, et puissent donc avoir une quelconque universalité : chaque langue aurait ses propres catégories, impossibles à comparer avec celles d'une autre langue.

La nécessité de cet enchaînement d'idées a été explicitement notée par les distributionalistes américains. Le but avoué de Harris, au moins dans ses premières oeuvres, était d'établir des catégories parmi les éléments d'expression d'une langue, en se fondant uniquement sur leurs relations combinatoires dans un corps (en entendant d'ailleurs relation combinatoire dans un sens très large, et qui comprend bien d'autres rapports que la relation à laquelle s'intéresse surtout Hjelmslev). Mais il admet sans hésitation la contrepartie de cette attitude : des universaux linguistiques, et donc une linguistique générale, une théorie générale du langage, sont inconcevables. Tout au plus peut-on définir des méthodes recommandables dans l'étude des langues les plus différentes. Bien que même enchaînement d'idées ne soit pas explicitement formulé dans les *Principes*, il nous y semble lisible au filigrane, et c'est lui qui explique finalement les ambiguïtés qui subsistent dans le livre. On peut sans doute comprendre l'évolution ultérieure de la pensée de Hjelmslev comme la recherche d'une nouvelle justification de la linguistique générale, justification qui ne soit plus psychologique, et qui permette d'exploiter à fond le concept de fonction.

1— Hjelmslev, *Principes*, P. 265.

Une troisième raison encore empêchait Hjelmslev de concevoir une théorie d'ensemble de la fonction linguistique : elle tient à l'objectif même que s'étaient fixés les *Principes*, celui de fonder une linguistique générale, ou, plus exactement, à la façon dont ils justifient cet objectif. La linguistique générale, avons-nous dit, cherche à définir des concepts et des catégories utilisables pour décrire n'importe quelle langue. Hjelmslev n'entend d'ailleurs pas par là qu'ils doivent être réalisés en fait dans toutes les langues, mais que leur réalisation constitue pour toutes les langues une possibilité (1). Supposons que nous ayons défini la catégorie de verbe ; cette définition ne serait pas invalidée par le fait que, dans certaines langues, peut-être en chinois, on ne trouverait pas d'éléments à verser dans une telle catégorie. Ce que demande Hjelmslev, c'est seulement que la définition permette de donner un sens à la question : y a-t-il des verbes en chinois ? Si on était arrivé à ce résultat, on pourrait alors poser, comme un trait caractéristique du chinois, qu'il ne possède pas de verbe : cette détermination négative aurait la même valeur descriptive que n'importe quelle remarque positive. Ainsi replacée dans l'univers du possible, l'universalité de la catégorie linguistique n'en demande pas moins une justification. Rien n'assure en effet que la notion de verbe ne soit pas liée à un type linguistique particulier, et qu'en l'utilisant pour caractériser, positivement ou négativement, d'autres langues, on ne produit pas une de ces grammaires louchantes dont se moquait Jespersen.

La solution que propose Hjelmslev dans les *Principes* est d'ordre psychologique. Chacune des catégories, selon lui, exprime une "idée" (hypothèse du "contenu significatif") (2). Il y a une signification générale du substantif, du verbe, du genre, du cas : ce qui sauve donc la linguistique du régionalisme, ce qui garantit que les mêmes catégories sont applicables à toutes les langues, c'est l'identité de l'esprit humain à travers la multiplicité des civilisations. Si la catégorie du verbe correspond à une idée humaine, l'existence de verbes est donc possible en chinois comme en français, et on a décrit de façon intrinsèque le chinois en signalant qu'il n'a pas réalisé cette possibilité. Hjelmslev prend tellement au sérieux cette justification qu'il croit nécessaire, pour fonder

1— Hjelmslev, *Principes*, P. 104.

2— *Ibid.*, pp. 163—71

Nous avons indiqué une première raison qui empêchait Hjelmslev à l'époque des *Principes*, d'entrer dans cette voie : il ne voyait pas de divergence entre le critère de la fonction grammaticale et celui de la valeur psychologique. Une deuxième raison, et destinée sans doute à subsister plus longtemps, tient à ce que la notion de rection grammaticale, telle qu'elle est utilisée dans les *Principes*, n'est encore qu'à moitié combinatoire. Certes elle l'est beaucoup plus que la "fonction" de Jespersen, qui repose seulement sur l'idée d'une dominance : le substantif est senti comme dominant l'adjectif. Pour Hjelmslev, au contraire, il s'agit d'une nécessité de coexistence : le genre du substantif appelle nécessairement celui de l'adjectif, on ne peut pas trouver le premier sans le second. Mais, quand il s'agit de distinguer plusieurs types de rections grammaticales, les *Principes* font appel à des faits qui ne sont plus d'ordre combinatoire. Pour distinguer la concordance pure de la rection complexe, par exemple, Hjelmslev doit noter que dans le premier cas l'accord signale seulement l'existence d'une dépendance, et que dans le second il précise en outre de quelle sorte de dépendance il s'agit. Comme des critères de ce type ne s'appliquent évidemment pas à des phonèmes (la nécessité du "l" mouillé après le "K" ne signifie rien), la classification des rections établie pour les signifiants n'a plus de sens lorsqu'il s'agit de phonèmes. Fonctions grammaticales et fonctions phonétiques auront non seulement des objets différents, mais elles ne seront pas de même nature. L'analyse à laquelle on a soumis les premières ne peut donc pas être transposée aux secondes et il ne saurait être question d'une science générale des fonctions linguistiques. Pour que cet obstacle puisse être levé, une condition préalable devra être remplie. Il faudra que la notion de rection ait été l'objet d'une analyse plus poussée, et cela du pur point de vue combinatoire. Si les *Principes* distinguent les fonctions par les phénomènes sémantiques qui accompagnent la relation combinatoire, si par suite ils rendent ces fonctions impropres à caractériser les phonèmes c'est que Hjelmslev connaît alors un seul type de fait combinatoire : A exige B. Pour pouvoir faire abstraction de l'accompagnement sémantique, il faut que le lien de deux éléments dans le déroulement du discours puisse être autre chose que la simple nécessité de rencontrer l'un quand on a rencontré l'autre : l'article sur "La notion de rection" et toute la "Théorie des morphèmes" montrent le travail accompli par Hjelmslev dans ce sens.

dont ses éléments s'associent dans le discours ; il s'agissait là pour eux, d'un phénomène secondaire, qui intéresse surtout la pratique de la langue. Hjelmslev, au contraire, donne aux relations combinatoires une place centrale dans l'économie du langage. On peut, nous l'avons vu, discuter les arguments à l'aide desquels ce thème est défendu ; son apparition constitue néanmoins, dans l'histoire de la linguistique, un fait décisif. Que la recherche des régularités combinatoires puisse s'étendre bien au delà des problèmes de grammaire, Hjelmslev l'a reconnu sans ambiguïté. Il remarque (1) qu'il y a des "fonctions" à l'intérieur de ce qui le plus incontestablement conventionnel dans la langue, son aspect phonique. On peut, dit-il, découvrir de véritables réactions entre les phonèmes, donc entre les unités d'expression dépourvues de toute valeur sémantique. Ainsi, en anglais, le son " 'n " mais non " n " se combinent avec " K ". On peut donc poser que " K " régit la "mouillure" de la consonne nasale qui le précède(2). Certes Hjelmslev ne signale ce fait que pour l'éliminer de la grammaire : "Cette sorte de fonctions se distingue facilement des fonctions grammaticales"(3). La distinction peut cependant apparaître fragile... Elle tire sa plus grande force, en effet, du caractère suggestif (non conventionnel) des réactions grammaticales. Si celui-ci est mis en doute, on voit moins de raisons pour séparer radicalement les fonctions qui relient les signifiants et celles qui relient les phonèmes. Les unes comme les autres pourraient devenir l'objet d'une recherche plus vaste, qui viserait l'ensemble des régularités combinatoires. On entrevoit alors une nouvelle définition de la forme linguistique, d'où serait exclue la signification au sens de Sèchéhaye, et qui engloberait la totalité des relations distributionnelles décelables dans le déroulement du discours.

1— Hjelmslev, *Principes de Grammaire Generale*, p. 127

2— Cet exemple montre combien la pensée de Hjelmslev est, à l'origine, éloignée de la phonologie. Pour celle-ci, la mouillure du "n", dans la mesure où elle est nécessairement déterminée par le "k", est un trait non pertinent qui ne doit être noté que dans une deuxième étape de la description linguistique : la première étape, et la plus essentielle, consiste à relever les traits pertinents. Les faits de réaction ne peuvent pas avoir, en phonologie, une situation centrale. L'important, ce sont les possibilités de choix.

3— Hjelmslev, *Principes de Grammaire Generale*, P. 127.

par celle du substantif. Comme Hjelmslev pense que l'ordre de l'expression est un "phonème" au même titre que l'emploi de sons particuliers (1), rien n'interdit d'admettre, en anglais, une concordance pure entre l'adjectif et le substantif. Une objection bien plus sérieuse consisterait à imaginer une langue où les adjectifs seraient invariables, mais répartis en différentes classes, et où les substantifs devraient recevoir une flexion particulière lorsqu'ils sont accompagnés d'un adjectif, flexion déterminée par la classe de celui-ci. Dans cette langue, les éléments que nous avons appelés "adjectifs" régiraient donc les "substantifs", et, selon les critères de Hjelmslev, ils devraient être assimilés aux substantifs français. Rien n'interdit pourtant qu'ils ne soient compris, dans les énoncés où ils apparaissent, comme subordonnés au mot qui leur est accolé, et, plus généralement, qu'ils n'aient les caractères sémantiques des adjectifs français. Il importe peu que notre exemple soit imaginaire : il suffit pour la démonstration qu'il n'apparaisse pas invraisemblable, et qu'il n'y ait pas d'absurdité à ce que l'adjectif régisse le substantif : s'il en est ainsi, lorsque la capacité d'être régi en concordance pure signale la signification adjectivale, cela ne peut être attribué qu'à une règle conventionnelle, aussi conventionnelle que l'indication du pluriel par un "s" en anglais. Plus généralement, il n'y a guère de raisons pour que le principe de l'arbitraire du signe vaille moins pour les constructions grammaticales que pour les signifiants constitués directement par des unités phoniques. Ce n'est pas parce que la langue a établi certains rapports nécessaires dans le déroulement du discours, que ces rapports reflètent nécessairement certaines relations sémantiques. Le critère de la fonction rejoint donc difficilement la première définition de la forme.

Si Hjelmslev, en privilégiant la notion de fonction, n'a pas réalisé le programme de Sècheyaye, il a, en revanche, introduit une idée nouvelle, et qui allait se révéler fort féconde : l'idée de considérer la langue comme une combinatoire, et de rechercher systématiquement les relations régulières qui y apparaissent. Peu de linguistes, avant lui, jugeaient essentiel, pour la connaissance d'une langue, d'établir la façon

1 — Il s'oppose en cela à Sècheyaye, qui place l'ordre linéaire hors du conventionnel et lui attribue un retentissement psychologique direct (cf. *Principes*, p. 113—4).

est possible, et il l'inscrit au programme de la linguistique ultérieure. Quant à la concordance pure qui attache l'adjectif au substantif, elle fait plus, dit-il, que signaler, elle suggère que le premier est sémantiquement subordonné au second. Dans l'expression "une grande fille", "grand" doit recevoir la désinence du féminin, désinence injustifiable par le sens ; l'idée désignée par "grand" ne saurait être affectée par le morphème "féminin". Qu'un élément doive ainsi se plier, pour entrer dans un syntagme, à des conditions exigées par un autre, qu'il doive s'adjoindre une désinence qui lui reste totalement extérieure — comme la livrée du valet —, cela impose à l'esprit l'idée d'un ordre hiérarchique. L'impossibilité même de *comprendre* le féminin de "grande" (car il est absurde d'attribuer un genre à une qualité), incline nécessairement le sujet parlant à considérer l'adjectif comme une dépendance du substantif. De telles spéculations sont sans doute — et bien heureusement — étrangères à la linguistique d'aujourd'hui ; on les comprendra mieux, sans les excuser, si on les rapproche des débats de la philosophie linguistique du 19ème siècle. Elles rappellent par exemple les discussions sur la valeur psychologique des différents moyens utilisés pour fléchir les mots (cf. G. de Humboldt). On se demandait alors quelles représentations sont évoquées dans l'esprit selon que la flexion se fait par l'addition d'un suffixe ou par une transformation interne du mot. Les recherches de Hjelmslev sur la valeur psychologique des rections étendent seulement au groupé de mots le type de remarques habituellement faites à propos du mot.

Que la thèse soutenue dans les *Principes* soit particulièrement risquée, et que Hjelmslev ait bientôt cessé de la soutenir, on le comprendra sans peine. Pourquoi y aurait-il une harmonie préétablie entre le fait sémantique qu'une notion soit rapportée à une autre, et le fait matériel qu'une certaine flexion soit attachée au signifiant de la première, en étant uniquement déterminée par le signifiant de la seconde ? Certes il ne suffit pas d'objecter que, dans une langue comme anglais il est raisonnable d'admettre des adjectifs comparables à ceux du français, alors que ces adjectifs n'obéissent à aucune concordance de genre ou de nombre. Hjelmslev pourrait répondre, bien que l'objection ne soit pas explicitement prévue dans les *Principes*, que l'ordre des mots, en anglais, joue le rôle du genre en français : la place de l'adjectif est régie-

d'une dépendance (ainsi le féminin de "grande" dans "une grande table" marque seulement que "grande" se rapporte à "table") ; dans la rection "complexe" le morphème indique en outre le "caractère spécial de cette dépendance" (ainsi le nominatif et l'accusatif dans "Petrus amat Paulum" marquent de quelles façons respectives "Petrus" et "Paulus" se rapportent à "amat" ; dans la "concordance complexe", enfin, qui présente un cas intermédiaire (et que nous avouons mal comprendre), la concordance fait moins que de décrire et plus que de signaler la dépendance : elle signale qu'une certaine nuance de signification est également présente dans le régissant et dans le régi (ainsi le pluriel du verbe dans "homines currunt" marque qu'une sorte de pluralité appartient à la fois au sujet agissant et à l'action accomplie). Selon Hjelmslev, cette analyse de la rection peut permettre de définir des sous-catégories dans l'ensemble des nominaux : le substantif et l'adjectif ne se comportent pas par exemple de la même façon par rapport aux trois types de rections. Un substantif est un terme qui, lorsqu'il entre dans une concordance pure, est d'ordinaire régissant. Un adjectif est un terme qui est toujours régi en concordance pure, et qui peut ne pas être régi en rection complexe (1).

En introduisant la notion de rection dans la définition de la forme, Hjelmslev s'écarte-t-il du concept de forme dont il était parti ? Ce n'est certainement pas son sentiment, au moins au moment où il écrit les *Principes*. Il ne croit même pas étendre ce concept, mais seulement le préciser, en relevant un type particulièrement important de phénomène formel. Nous rappelons que pour lui, comme pour Sècheyaye, les phénomènes formels sont ces particularités de l'expression qui sont attachées par un rapport causal, et non pas conventionnel, à certains traits sémantiques. C'est le cas, selon Hjelmslev, pour les fonctions grammaticales telles qu'il les a définies. Certes il n'arrive pas à montrer effectivement que la signification du verbe est liée à l'impossibilité de recevoir une flexion casuelle, mais il maintient que cette démonstration

1— En fait la démarche de Hjelmslev comporte une étape intermédiaire : les rections servent d'abord, selon la façon dont elles se combinent, à définir trois types différents de fonctions, et ces fonctions sont ensuite utilisées pour établir les parties du discours. Les définitions données [ici ont été obtenues en rapprochant les définitions des fonctions en termes de rections (cf. P. 153) et des parties du discours en termes de fonctions (p. 306)

qualification, précision, limitation. Après avoir établi cette notion de fonction, Jespersen en limite aussitôt la portée; il ne pense pas qu'elle puisse définir chaque partie du discours par une ou par plusieurs fonctions privilégiées; on s'apercevrait par exemple que dans le groupe nominal "des chiens aboyant furieusement", c'est une sorte d'adjectif, "aboyant", qui a la fonction secondaire, dévolue tout à l'heure à un verbe. C'est cette réserve de Jespersen que Hjelmslev critique; il voudrait que les éléments de la langue, les formes, puissent être caractérisés, au moins partiellement, par leur rôle possible dans le discours. Pour arriver à ce résultat, il lui faut remanier la notion de fonction. Pour Jespersen elle avoit un contenu sémantique très net (c'était une relation intellectuelle entre les mots d'un énoncé). Hjelmslev ne retient qu'une seule chose de cette définition : la fonction relie les éléments d'un énoncé. Mais, il entend la relation en question comme un rapport purement combinatoire. Il appelle fonction grammaticale d'un sémantème :

" 1) La faculté de se combiner exclusivement avec certains morphèmes donnés, et

2) La faculté de se combiner avec les autres sémantèmes exclusivement au moyen de certains morphèmes donnés ".

Ainsi définies les fonctions apparaissent capables de fonder une classification des sémantèmes en parties du discours. Par exemple, le premier type de fonction permet immédiatement de délimiter la catégorie des verbes (toujours incapables de s'adjoindre un morphème de cas), et de l'opposer à celle des morphèmes nominaux, qui en sont capables : on considère donc comme nominaux à la fois les substantifs, les adjectifs et les adverbes. Pour subdiviser les nominaux, on aura recours au deuxième type de fonction, c'est à dire au phénomène habituellement appelé "rection" ; un sémantème subit une rection chaque fois que sa situation dans la phrase rend nécessaire qu'on lui adjoigne certains morphèmes. Ainsi le sémantème "grand" ne peut s'insérer dans le contexte "une table" qu'à condition de se combiner au morphème "féminin".

Analysant la notion de rection, Hjelmslev en distingue trois espèces. Dans la "concordance pure", le morphème de l'élément régi ne comporte aucune indication de sens, mais indique seulement l'existence

“obtus” possèdent en commun à la fois une certaine qualité sonore et une même caractéristique sémantique (1). Etant donné que les sémantèmes considérés doivent par hypothèse être considérés comme des signes élémentaires et non comme des syntagmes on ne peut pas dire que la qualité sonore qui leur est commune est un signifiant qui désignerait de façon conventionnelle le trait sémantique commun. On doit plutôt parler de symbolisme d’expressivité. Le son suggère le sens, il ne le nomme pas : le sujet parlant ne peut pas ne pas croire que telle sonorité possède en elle-même, de façon inhérente, un caractère de grossièreté, de compacité. Dans la collectivité linguistique considérée il y a donc un lien causal entre certaines particularités phoniques et sémantiques (même s’il en est autrement dans une autre collectivité). Fidèle à la définition de la forme selon Sècheyay, Hjelmslev soutient que dans ce cas, les catégories de sémantèmes devraient être considérées comme formelles, et qu’elles mériteraient le titre de grammaticales au même degré que les catégories du verbe ou du cas. Dans ses ouvrages ultérieurs (2) Hjelmslev a explicitement rejeté cette thèse mais il importe de voir qu’elle découle logiquement des premières définitions dont il est parti.

En regard toutefois de cette fidélité à Sècheyay, on trouve dans les *Principes* certaines indications plus originales, et dont on peut montrer qu’elles s’accordent mal avec la ligne de pensée initiale. C’est ainsi qu’on y voit esquissée une définition “fonctionnelle” de la forme, Jespersen avait, depuis longtemps, défini trois fonctions linguistiques essentielles qu’il appelait primaire, secondaire et tertiaire. Dans “Les chiens aboient furieusement”, “les chiens” a fonction primaire, car ce terme exprime l’objet même du discours; “aboient” a fonction secondaire, car il détermine (qualifie, précise) le terme primaire, et “furieusement”, qui ajoute une détermination à “aboient”, à la fonction tertiaire. La fonction d’un terme dans un énoncé est donc fondée sur une certaine relation de ce terme avec ceux qui l’entourent, relation d’ordre sémantique, que Jespersen a du mal à définir, et qu’il désigne à la fois comme

1— *Ibid.*, P. 182 ou l’auteur utilise des remarques de Marouzeau.

2— Hjelmslev, *Le Langage*, p. 68

en antéposant, soit en postposant le mot essentiel, selon l'habitude de la langue dans laquelle il est élevé. L'appartenance n'est pour lui qu'une association d'idées orientée. A l'opposé l'emploi d'une préposition autonome, quelle que soit la nature phonique de cette préposition, prouve que les sujets parlants possèdent de façon claire l'idée d'appartenance, qui est tout autre chose pour eux qu'une attention privilégiée accordée à un objet (1). Ce qui est conventionnel dans l'expression de l'appartenance, c'est donc l'emploi de telle préposition plutôt que de telle autre, ou de l'antéposition plutôt que de la postposition du terme subordonné. Quant au fait même de recourir soit à l'ordre des mots, soit à une préposition, il constitue à la fois, et de façon indissoluble, une particularité de l'expression et un trait psychologique. Il n'est donc conventionnel, arbitraire, que pour le linguiste qui, du point de vue de Sirius, compare différentes langues; du point de vue du sujet parlant il apparaît au contraire motivé, nécessaire, et à ce titre il relève de la forme.

Telle est donc la notion de forme que Hjelmslev a empruntée aux élèves directs de Saussure : est formel tout aspect du signifiant qui est attaché par un lien causal à un trait de signification. Bien plus, l'ayant empruntée, il en a tiré les conséquences extrêmes. Cela apparaît par exemple dans le paragraphe consacré aux catégories de sémantèmes (2). Ce paragraphe se présente comme une sorte d'expérience intellectuelle. Hjelmslev envisage une hypothèse qu'il considère seulement comme plausible, et il se demande à quelle conclusion amèneraient ses principes au cas où cette hypothèse se trouverait vérifiée. Supposons donc une langue où l'on pourrait, parmi les signes minimaux (c'est à dire inanalysables en signes plus petits), constituer certaines catégories dont les éléments se ressembleraient à la fois du point de vue phonique et du point de vue du sens. Supposons par exemple, comme on l'a signalé, à tort ou à raison pour plusieurs langues africaines que "tous les sémantèmes qui signifient des sensations semblables revêtent une forme commune pour exprimer cette sensation par opposition aux autres" (3). Ou encore admettons qu'en français les adjectifs "sourd", "lourd", "gros", "grave",

1— Sèchehayé, *Programme*, PP. 117—119

2— Hjelmslev, *Principes de Grammaire Générale*, PP. 171—196.

3— Hjelmslev, *Principes de Grammaire Générale*, P. 185

La réponse de Sècheyaye est qu'il faut distinguer deux types radicalement différents d'arbitraire. L'un est sensible au sujet parlant lui-même, qui peut se rendre compte aisément de la distance entre sa pensée et les moyens d'expression qu'elle utilise. C'est le cas pour ce qui concerne la réalité phonétique du signe. L'autre n'apparaît qu'à une réflexion sur la langue, ou, selon l'expression de Sècheyaye, il ne vaut que pour celui qui "regarde les choses du dehors". En revanche, "pour celui qui veut penser à l'aide de sa propre grammaire", la classification du monde opérée par le lexique, les catégories et relations imposées par la grammaire, sont des "éléments constitutifs de la pensée". Je ne peux pas me représenter le sens des expressions "Pierre viendra" et "L'enfant dort" sans attribuer aux idées exprimées par *Pierre* et par *l'enfant* un même rôle dans chacune des deux représentations. En revanche, la ressemblance phonique entre *Pierre dort* et *Il lance la pierre* ne correspond à aucune analogie intellectuelle entre les deux énoncés. On appellera *conventionnels* les procédés, les techniques d'expression dont l'arbitraire peut apprendre au sujet parlant lui-même, car elles sont sans rapport avec la signification exprimée. Inversement on considérera comme non-conventionnelles toutes les habitudes linguistiques qui se réfléchissent dans l'esprit du sujet parlant, et qu'il ne peut donc pas distinguer de ses propres façons de pensée.

Un exemple précis fera mieux comprendre comment Sècheyaye entend cette réflexion de la langue dans la pensée. Il s'agit du passage où il soutient, contre Wundt, que l'ordonnance des mots dans la phrase relève de la forme grammaticale. Soit par exemple l'idée d'appartenance ("Le chapeau de Charles"). Le langage enfantin l'exprime souvent par la simple juxtaposition "Chapeau Charles"). Beaucoup de langues utilisent la flexion "Karls Hut", en incorporant une désinence particulière dans le mot désignant le possesseur. Une langue dite analytique comme le français intercalera un mot indépendant, la préposition *de* entre les deux termes de la relation. Selon Sècheyaye le choix d'un de ces trois modes ne doit pas être considéré comme conventionnel, car il est inséparable d'une certaine conception de la relation d'appartenance. L'emploi du procédé enfantin montre que la relation n'est pas dégagée pour elle-même. La seule représentation qui se trouve dans l'esprit de l'enfant quand il dit "chapeau Charles", c'est qu'un des termes est plus important, l'intéresse plus vivement, que l'autre, ce qu'il exprime soit

par une méthode directe (1), et qui rend manifeste le sens. A cette première subdivision Hjelmslev ajoute une seconde, intérieure, cette fois au signifiant. Il faut, dans celui-ci, opposer nettement ce qui est conventionnel, arbitraire et ce qui ne l'est pas. C'est ce deuxième aspect du signifiant défini de façon purement négative, qui constitue la forme du signe. Hjelmslev ne fournit guère d'indications supplémentaires, mais renvoie le lecteur au *Programme* de Sècheyay avec lequel il se déclare d'accord sur ce point (2). Quand Sècheyay fait allusion au côté conventionnel du signe, il veut parler "des sons, des éléments articulatoires, de la matière en un mot" (3) de ce signe. Ainsi : "il n'y a aucune relation nécessaire, aucune identité entre l'idée de l'animal solipède que chacun connaît et les deux syllabes du vocable *cheval* avec lequel cette idée est associée". "Au lieu de *cheval* rien n'empêche d'imaginer une autre combinaison de signes articulatoires, ou même de n'en imaginer aucune, et de penser seulement un symbole algébrique, un *a* ou un *x* qui serait le substitut abstrait et général du signe quelconque dans lequel cette idée se réalise" (4). Ayant placé sous la rubrique "Conventionnel" tout l'aspect phonique du signe, Sècheyay se fait à lui-même l'objection suivante, où transparaît l'influence de Saussure. Cet aspect phonique constitue-t-il tout ce qui est arbitraire dans le signe ? Deux langages ne diffèrent pas seulement par la qualité sonore des signes qu'ils emploient, mais aussi par leur contenu intellectuel. Le mot français "forêt" et l'allemand "wald" ne couvrent pas la même zone de signification, puisque le sens de "forêt" limité par celui de "bois", alors que "Wald" n'a pas de concurrent analogue. La façon dont chaque langue découpe l'expérience peut donc bien être considérée elle aussi comme arbitraire. Bien plus les catégories Syntactiques diffèrent d'une langue à l'autre : "comme le chinois et l'allemand préfèrent d'autres sons, ils ont d'autres déterminations syntactiques" (5). Si donc certaines langues connaissent la catégorie de sujet, et d'autres, non, ne doit-on pas admettre que l'existence de ces catégories dans une langue est un fait arbitraire, conventionnel ? Que reste-t-il alors d'une langue, quand on en a extrait tout le côté conventionnel ?

1— Cf. P. 116

2— P. 110

3— Ibid., P. 109

4— Ibid., P. 112

5— Sècheyay, *Programme*, P. 113

presque, de nos jours, comme une réaction contre une thèse centrale de Saussure, celle qui affirme l'autonomie de la linguistique (1).

Si nous avons donné ces précisions, c'est pour mieux situer les remarques que nous allons faire sur les *Principes*, et éviter l'illusion rétrospective qui découvrirait dans cet ouvrage l'influence du C.L.G. Nous extrairons en effet des *Principes* les réflexions qui concernent le concept de "forme". Nous montrerons une tendance à assimiler forme et relation, qui pourrait sembler d'inspiration nettement saussurienne. Or cette tendance se manifeste avant tout par certaines modifications apportées aux thèses de Sècheyay. En les faisant, l'auteur devait avoir le sentiment de s'écarter du courant de pensée saussurien; c'est beaucoup plus tard seulement qu'il s'est présenté comme un authentique, et même comme le plus authentique héritier du C.L.G. Hjelmslev n'est nullement parti de Saussure; il serait plus exact de dire qu'il le rejoint, et au moment même où il croyait sans doute le quitter.

Quel est, pour Hjelmslev, l'objet de la grammaire générale ? Comme la linguistique générale, dont elle est une partie, elle vise à rétablir des concepts utilisables pour la description de toute langue naturelle, quelle qu'elle soit, des concepts donc qui puissent servir de référence pour comparer les langues, et qui permettent ainsi une typologie linguistique. A l'intérieur de ce programme d'ensemble, la grammaire générale a la tâche particulière de définir les notions qui intéressent un secteur bien particulier de la réalité linguistique, la grammaire elle-même définie comme l'étude des *formes*. Nous voudrions préciser l'idée que Hjelmslev se fait à l'époque de la forme, notion, qui jouera un rôle essentiel dans le développement ultérieur de sa doctrine.

Les *Principes* fournissent sur ce point d'une part. une définition explicite, qui se situe dans la perspective de Sècheyay, et d'autre part des indications fragmentaires, qui témoignent d'une orientation intellectuelle assez différente. La définition proprement dite prend son point de départ dans la représentation saussurienne du signe, comme une réalité à double face: il comprend un signifié, en lui-même imperceptible et un signifiant, perceptible, *tangible*, susceptible d'être "constaté

1— Cf. P. 20 Sècheyay félicite WUNDT d'avoir voulu "tirer de la psychologie moderne une linguistique théorique".

HJELMSLEV AVANT LA REVELATION SAUSSURIENNE

LES PRINCIPES DE GRAMMAIRE GENERALE

CHRISTINE SIRDAR/ISKANDAR

Université du Caire

Les *Principes de Grammaire Générale* est le premier ouvrage de Hjelmslev entièrement consacré à des problèmes linguistiques. L'influence de l'école française (Meillet, Vendryes) apparaît très importante, combinée à celle de l'école genevoise, et principalement de Sècheyay dont le travail est constamment cité, et de façon généralement approbative. Comme les deux écoles se réclament également de Saussure—la première de façon allusive, la seconde, avec la plus grande insistance—il pourrait sembler que les débuts linguistiques de Hjelmslev se situent dans un courant de pensée nettement saussurien. On en viendrait ainsi à mettre en doute le passage d'un article des *Studia Linguistica* (1) où Hjelmslev déclare avoir pris connaissance assez tard des idées de Saussure, et que ces idées l'ont seulement confirmé dans une orientation issue d'une origine toute différente (une réflexion sur le positivisme logique).

En fait ces doutes ne seraient pas justifiés. On remarquera d'abord que le *C.L.G.* lui-même n'est que très rarement cité dans les *Principes*, et que Hjelmslev ne paraît guère, à l'époque, en avoir perçu l'importance. On notera d'autre part que le saussurianisme transmis par Meillet et Sècheyay était assez flou; on a montré par exemple (2) que la notion saussurienne de "système" n'est que verbalement présente dans l'oeuvre de Meillet. Quant au *Programme* de Sècheyay, il est si proche d'assimiler linguistique générale et psychologie du langage qu'il apparaît

1— "Structural analysis of Language" in *Studia Linguistica* No 1, P. 67—78, Cf. *E.L.* p. 32

(*E.L.* est l'abréviation de *Essais Linguistiques*) et *C.L.G.* celle de *Cours de Linguistique Générale*).

2— G. MOUNIN, *La Linguistique*, 1966, No 1.

